محمد متولى الشعراوى

الفتاوى

كل ما يهم المرأة المسلمة

الطهارة - الصلاة - الحجاب
تربية الأولاد - زينة المرأة وزيها - مهمة المرأة فى الحياة

دراسة وتحقيق
مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

دار الروضة
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانيـة
رمضـان ١٤٢٢
ديسمبر ٢٠٠١

١٠٠ سؤال وجواب
للمرأة المسلمة



مقدمة الناشر :

إن الحمد للَّه ؛ نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يهده اللَّه ؛ فلا مضلَّ له ، ومَنْ يُضلل ؛ فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

– ١ –

ولما كان المجتمع البشرى له أساس ، وله بناء ، وله سكن ؛ فأساسه الأسرة التى تقوم على منهج الشرع ، وبناؤه تطبيق المنهج فى حياة الأسرة ، وسكنه المعايشة على المودة ، والرحمة ، والسكينة ؛ بهذا تتكون الأسرة المؤمنة التى ينطلق منها الرعيل الصالح لمسيرة المجتمع الصالح الذى يعرف الانتماء لدينه ، ولمجتمعه ، ووطنه .

(١) رواه النسائى فى الكبرى [٤٥٠/٣] وأخرجه مسلم [٤٣/٨٦٧-٤٥] بدون زيادة « وكلَّ ضلالة فى النار » .

فالأسرة فى وقتنا المعاصر تمر بخلل مؤداه الملل تحت مسميات تبريرية ، فهذا التحايل الذى منيت به الأمة بعوامل الإيفاد الغربى ، هو تبرير لجرائم لا يحمد عقباها ؛ فعلى الساحة الآن ولدٌ بغير أب ، وامرأةٌ لكل الرجال ، ورجلٌ لكل النساء حتى اختلت موازين القيم بالتقليد الأعمىٰ والتبرير المنحل .

– ٢ –

الرجل والمرأة نوعان لجنس واحد وهو الإنسان ، فكأن هناك أشياء تُطلَب من كل نوع من جنس الإنسان ، أشياء تطلب من الرجل كرجل ، ومن المرأة كامرأة بحيث نستطيع أن نقول أنهما كنوعين من جنس واحد لهما مهمات ، مهمات مشتركة كجنس ، ومهمات مختلفة كنوع ، وعن طريق مهمة كل منهما تسير الحياة .

– ٣ –

وهذا الكتاب هو فصول منتقاة من إجابات فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى على تساؤلات النساء فى دينهن وبيتوهن حتى تؤدى كل منهن وظيفتها فى بيتها وحياتها بما يعود على أسرتها ومجتمعها بالفائدة التى خُلقت من أجلها .

واللَّه نسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره وأن يجزى فضيلة الشيخ الإمام عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

غرة المحرم ١٤٢٢ هـ
مارس ٢٠٠١ م

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

المحتويـــات

أحكام الطهارة

الحائض وقراءة القرآن :

س : كيف تتعامل الحائض مع القرآن الكريم ؟

ج: قراءة القرآن للحائض بأيِّ صورة حرام ، وذلك لقداسة القرآن الكريم ، فلا يصحّ أن يُقبِل الإنسان على قراءته إلا وهو مُتطهِّر[1] ، بل إن الوضوء واجبٌ أيضاً إلى جانب الطهارة .

وكما أعفى الله سبحانه الحائض من الصوم والصلاة ، فلا تصلى ولا تصوم ، امتثالاً لأمر الله ، فعليها ألاَّ تقرأ القرآن أيضاً امتثالاً لأمر الله عز وجل ، وفى ذلك الامتثال أجر عند الله تعالى .

وكما أن قراءة القرآن فى الطُّهْر عبادة ، فكذلك عدم قراءته للحائض اعترافاً منها وتقديراً لقداسته عبادةٌ أيضاً ، ولكن يمكن للحائض تمرير القرآن على ذهنها ، إيناساً لها ، واطمئناناً لقلبها .

((١) يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]. وقد أخذ فضيلة الشيخ هنا برأى من قال إن المراد بالقرآن ههنا المصحف ، وأن المطهرين معناها: المتطهرون من الجنابة والحدث ، وقد قال الجصاص فى أحكام القرآن (٣/ ٥٥٥): « فى الآية احتمالٌ له » وإلا فهناك قول آخر أن القرآن هنا هو القرآن المكتوب عند الله لا تمسه الشياطين ولا يمسه إلا المطهرون وهم الملائكة . ولكن يبقى أنه لا بد من انقطاع دم الحيض قبل مس المصحف أو قراءة القرآن .

◘ صحة صلاة المرأة مع وجود إفرازات :

س: هل يمكن الصلاة مع وجود إفرازات ؟

ج : قد يكون العلاج لهذه الحالة طبياً ، ولكن إلى أنْ يتم العلاج يمكن للمرأة أن تصلى مع وجود الإفرازات ، على أنْ تتوضّأ المرأة لكل صلاة وضوءاً خاصاً ، فلا تصلى الظهر والعصر بوضوء واحد ، ولو لم ينتقض وضوؤها .

ولكن يجب أنْ تتوضأ لكل فَرْض وضوءاً خاصّاً ، وتصلى ، وتُتِم صلاتها، حتى مع نزول الإفرازات ، على أنْ تحتاطَ الاحتياط اللازم لمثل هذه الحالات ، بحيث لا تصيب الإفرازاتُ الثيابَ ، بل تنحصر فى المكان الذى تفرز منه باستعمال وسائل الحفظ الصحية .

◘ ثوب المرأة الحائض :

س : كيف تصنع المرأة فى ثوبها الذى أصابه دم الحيض ؟

ج : عليها أنْ تحكّ ثوبها إذا كان جَافّاً والدم يابساً ، وتدلكه بأطراف أصابعها وأظفارها ، مع صَبِّ الماء عليه ، حتى يذهب أثره ، ثم تنضح ثوبها أى : تَغْسله .

وقد سألتْ امرأةٌ رسولَ الله ﷺ فقالتْ : إحدانا يصيب ثوبها من دَمِ الحيْض ، فكيف تصنع به ؟ فقال لها رسول الله ﷺ :

«تحتُّه ، ثم تقرصه بالماء ، ثم تنضحه ، ثم تُصلِّى فيه »[1].

---

(1) معنى تحته: تقشره وتحكه وتنحته. ومعنى تقرصه : الدلك بأطراف الأصابع والأظفار مع صب الماء عليه حتى يذهب أثره. ومعنى تنضحه : تغسله . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب لوضوء - باب ٦٣)، ومسلم فى صحيحه (٢٩١)، وأحمد فى مسنده (٦/ ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣) من حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق ﷺ .

حكم المستحاضة :

س : ما هى الاستحاضة ، وكيف تصلى وتصوم المرأة المستحاضة ؟

ج : الاستحاضة عبارة عن استمرار نزول الدم فى غير أوانه ، وعلى المستحاضة إذا كانت مُدّة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة فإنها تعتبر هذه المدة المعروفة ، فلا تُصلِّى فيها ولا تصوم ، وما يزيد على ذلك استحاضة .

رُوى عن أم سلمة ﵂ أنها استفتتْ النبىَّ ﷺ فى امرأة تهراق الدم ، فقال ﷺ :

«تنتظر قَدْرَ الليالى والأيام التى كانت تحيضهُنّ ، وقدرهن من الشهر ، فَتَدعُ الصلاةَ ، ثم تغتسلُ ، وتستثفر[1] ثم تُصَلّى» [2].

أما إذا كانت أيام الحيض غَيْر معروفة لها ، أو نسيتها ، ولا تستطيع تمييز دَمِ الحيْض ، فإنها فى هذه الحالة يكون لحيضها ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء .

ورُوِى عن فاطمة بنت أبى حُبَيْش أنها كانت تستحاض ، فقال لها النبى ﷺ :

«إذا كان دم الحيض ، فإنه أسودُ يُعرف ، فإذا كان كذلك فَأَمْسكى عن الصلاة ، فإذا كان الآخر فتوضَّئِى وصَلِّى ، فإنما هو عرِق» [3]. أى : دم عرْق انفجر .

---

(١) تستثفر : أى تشد فرجها بخرقة عريضة أو قطنة تحتشى بها وتوثق طرفيها فى شىء تشده على وسطها فتمنع سيلان الدم (لسان العرب ـ مادة : ثفر) .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٦/ ٢٩٣) ، وأبو داود فى سننه (٢٧٤) من حديث أم سلمة ﵂ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣٣٣) ، وأبو داود فى سننه (٢٨٢) من حديث فاطمة بنت أبى حبيش .

وللمستحاضة أحكام تتلخص فيما يأتى :

١ـ عليها أنْ تصوم .

٢ـ يجب عليها الوضوء لكلِّ صلاة .

٣ـ ألاَّ تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة .

٤ ـ أنْ تغسل فَرْجها قبل الوضوء من غير مبالغة ، وتحشوه بخرْقة أو قُطْنة ، دَفْعاً للنجاسة وتقليلاً لها .

٥ ـ يُبَاح لزوجها أنْ يطأها إذا شاء فى غير وقت الصيام ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : « المستحاضة يأتيها زوجها » .

٦ ـ لها حكم الطاهرات : تعتكف ، وتقرأ القرآن ، وتمس المصحف ، وتحمله ، وتفعل كل العبادات على اختلاف أنواعها .

◻ الحيض أذى للنساء والرجال :

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ .. (٢٢٢)﴾ [البقرة]

ج : الحيْض هو دَمٌ يحتوى على أنسجة غير حيّة ، وتصبح منطقة المهْبل والرحم فى حالة تهيُّج ، لأن منطقة المهبل والرحم حساسة جداً لنمو الميكروبات المسبِّبة للالتهابات سواء للمرأة أو للرجل ، إنْ جامع زوجته فى فترة الحيض .

والحيض يصيب المرأة بأذىً فى قُوتها وجسدها ، بدليل أن الله رخَّص لها ألاَّ تصوم وألاَّ تصلى . إذن : فالمسألة مُنهكة ومُتعبة لها ، فلا يجوز أن يُرهقها الرجل بأكثر مما هى عليه .

والذى يحدث أن الحق سبحانه قد خلق رحم المرأة وفى مبيضيها عدد مُحدّد معروف له وحده سبحانه وتعالى من البُويْضات ، وعندما يُفرز أحدُ المبيضين البويضة ، فقد لا يتم تلقيح البويضة ، فإن بطانة الرحم المكوّن من أنسجة دموية تقلُّ فيها نسبة الهرمونات التى كانت تُثبِّت بطانة الرحم ، وعندما تقلُّ نسبة الهرمونات يحدث الحيض .

ودَمُ الحيض هو أذىً للرجال والنساء معاً ، لأن الآية أطلقتْ الأذى ، ولم تُحدد مَن المقصود به ، والذى يدلُّ على ذلك أن الحيض يصيب الرجل بقذارة فى مكان حسَّاس هو موضع الإنزال عنده ، فإذا وصلتْ إليه الميكروبات تصيبه بأمراض خطيرة .

◘ كفارة من أتى حائضاً :

س : ما هى كفارة من أتى حائضاً ؟ وما هى الأضرار الجسمانية بالنسبة لهم ؟

ج : الوَطْءُ أثناء الحيْض يُسبّب تعفُّن الرحم ، فضلاً عن أنه قد يُسبِّب العُقْم ، فهو من أشدِّ الأمراض إيلاماً للمرأة ، حيث تقاسى منه آلاماً فى الحوض لا تُطَاق ، وارتفاعاً فى درجة الحرارة ، والمضاعفات الأخرى الخطرة التى تكون نتيجة ذلك التعفُّن .

هذا بالنسبة للمرأة ، أما بالنسبة للأضرار التى تصيب الرجل ، فمن أهمها : التهابات حادة تُصيب أعضاءه التناسلية إذْ تمتدُّ الجراثيم داخل القناة البولية ، بل قد تُصيب الإحْليلَ وغُدَّة كوبر ، والبروستاتا والحوصلة المنوية ، والخصيتين ، والبَرْبخ .

أما بالنسبة للكفارة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن الذى يأتى زوجته وهى حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار » (١).

والحديث يدل على وجوب الكفارة على من وطئ امرأته وهى حائض .

◘ مدة النفاس :

س : كم تمكث النفساء دون صلاة أو صيام أو قراءة قرآن ؟

ج : دم النِّفاس هو الدم الخارج من قُبُل المرأة بسبب الولادة ، وإنْ كان المولود سَقْطاً . ولا حَدَّ لمدة النفاس ، فيتحقّق بلحظة ، فإذا وُلِدَتْ وانقطع دَمُها عَقِب الولادة ، أو ولدت بلا دَمٍ ، وانقضى نِفَاسُها لزمها ما يلزم الطاهرات من الصلاة والصوم وغيرهما .

وأما أكثره فأربعون يوماً ، لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : « كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ ، أربعين يوماً » (٢).

فالنفساء تَدَعُ الصلاة أربعين يوماً ، إلاَّ أنْ ترى الطُّهر قبل ذلك ، فإنها تغتسل وتصلى ، فإن رأت الدم بعد الأربعين ، فإن أكثرَ أهل العلم قالوا : لا تَدع الصلاة بعد الأربعين .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (٢٦٤) ، وأحمد فى مسنده (١ / ٢٣٠ ، ٢٣٧) ، وقد أورد أبو داود فى سننه (٢٦٥) عن ابن عباس : « إذا أصابها فى أول الدم فدينار ، وإذا أصابها فى انقطاع الدم فنصف دينار » .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٦/ ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩) ، وأبو داود فى سننه (٣١١) ، وكذا الترمذى فى سننه (١٣٩) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

◻ هل تجوز العبادة مع الإجهاض ؟

س : هل تجوز لمن أُجْهضت أن تصلى وتصوم إلا بعد أربعين يوماً مثل النفساء ؟ وهل يجوز لها أن تطهو الطعام أو أن تستمع إلى القرآن فى هذه الظروف ؟

ج : يقترن ذلك بنزول الدم ، فتستطيع المرأة إذا انقطع عنها الدم أربعين يوماً أنْ تتطهر ، وتمارس عبادتها بشكل طبيعى ، أما إذا نزل الدم أكثر من أربعين يوماً فعليها أن تتطهر بعد الأربعين ، وتمارس عبادتها بعد ذلك ؛ لأن هذا الدم ليس طبيعياً ، فلا يفسد صلاتها ولا صومها .

أما عن طَهْو الطعام وهى على غير طهارة فهذا ممكن ، وتستطيع أنْ تؤدى كُلَّ واجباتها اليومية بلا أىّ حرج ؛ لأن الإنسانَ المؤمن لا ينجُس أبداً ، وأما الاستماع إلى القرآن فيمكنها ذلك ، ولكن الممنوع هو إمساك المصحف الشريف ، أو قراءة القرآن .

◻ احتلام المرأة :

س : هل على المرأة أنْ تغتسل إذا احتلمت ؟

ج : نعم ، إنما الماءُ من الماءِ[1] .

وقد قالت أم سلمة ﵂ : جاءت أم سليم إلى النبى ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحى من الحقِّ ، فهل على المرأة من غُسْل إذا هى

(١) أخرج مسلم فى صحيحه (٣٤٣) من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «إنما الماء من الماء» ، وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (٣/ ٢٩، ٣٦) .

احتلمتْ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم ، إذا رأت الماء » فقالت أم سلمة : أوَ تحتلم المرأةُ ؟ فقال ﷺ : « تَربت[1] يداك ، فَبِم يشبهها ولدها ؟ »[2] .

◘ غُسْل المرأة :

س : هل يجب غَسْل الشعر كله عند الغسل من الجنابة ؟

ج : غُسْل المرأة كغُسْل الرجل ، إلا أن المرأة لا يجب عليها أن تنقض (تحلّ) ضفيرتها ، إنْ وصل الماء إلى أصل الشعر ، لحديث أم سلمة ﵂ أن امرأة قالت : يا رسول الله : إنى امرأة أشدُّ ضَفْر رأسى ، أفأنقضه للجنابة ؟ قال: « إنما يكفيكِ أن تحثى عليه ثلاثَ حثيات من ماء ، ثم تُفيضى على سائر جسدك، فإذا أنت قد طهرت » [3].

◘ المانيكير وصحة الوضوء :

س : هل طلاء الأظافر (المانيكير) يبطل الوضوء ، لذلك يجب إزالته عند كل وضوء ؟

ج : المانيكير طلاء ، ومعنى هذا أنه طبقة تستطيعين إزالتها ، إذن : فهو شيء عازل يعزل ما تحته عن أنْ تُصيبه الطهارة عند الوضوء ، فهو ليس صبْغاً كالحناء مثلاً ، فلو كان صبْغاً لما أمكن إزالته ، والفرق بين الاثنين كبير ، بدليل أن المرأة تستخدم عند إزالة الطلاء مادة تُعرف بـ « الأسيتون » ، والحناء لا يفلح عند إزالتها ألف « أسيتون » .

---

(١) ترب الشيء : أصابه التراب . وترب الرجل : صار فى يده التراب . وفى حديث خزيمة : أنعم صباحاً ، تربت يداك . فإن هذا دعاء له وترغيب فى استعماله ما تقدمت الوصية به . (لسان العرب ـ مادة : ترب) .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣١٣)، وأحمد فى مسنده (٦/ ٢٩٢، ٣٠٢) من حديث أم سلمة ﵂ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣٣٠) ، وأبو داود فى سننه (٢٥١) والترمذى فى سننه (١٠٥) من حديث أم سلمة ﵂ .

أحكام الصلاة

صلاة المرأة فى ملابس شفافة ؟

س : هل تصح صلاة المرأة فى الملابس الشفافة ؟

ج : يُشترط فى الملابس التى تُؤدِّى فيها المرأة الصلاة ألاَّ تكون واصفة ولا كاشفة ، بمعنى ألاَّ تكون ضيقة تُحدِّد شكل جسمها ، ولا شفافة بحيث يظهر ما تحتها ، وأن تكون ساترةً لبدنها كُلِّه .

انكشاف ذراع المرأة فى الصلاة :

س : ماذا أفعل إذا انكشفت ذراعى فى الصلاة ، لتطاير طرحتى مثلاً ، هل أعيد الطرحة بسرعة وتصح صلاتى ، أو أعيد الصلاة ؟

ج : إذا انكشف ذراعك أثناء الصلاة ، فَغَطِّه بحركة سريعة ، وعليكِ أنْ تحتاطى بعد ذلك قبل الصلاة ، بأن ترتدى من الملابس ما يستر ذراعك تحت الطرحة ، فلا تتعرضى لمثل هذه الظروف .

ونحن نرى بعض فُضْليات النساء وقد صَمَّمْنَ زِياً خاصاً للصلاة ، بحيث تُصلِّى المرأة فى هدوء ، وتكون مطمئنة لستْرِ كل ما طلب ستره ، فلا ينشغل بالها أثناء الصلاة إلا بوقوفها بين يَدَىْ ربها عز وجل ، فتؤدى بذلك صلاة خاشعة مطمئنة .

هل على المرأة أذان ؟

س : هل يصح للمرأة أن تؤذن إنْ لم يوجد غيرها لأداء الأذان ؟

ج : من شرط المؤذن أن يكون رجلاً ؛ لأنه منصب من مناصب الرجل كالإمامة والقضاء .

قال رسول الله ﷺ : « يَؤُمُّ القومَ أقرؤهم[1] لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنة ، فإن كانوا فى السُّنة سواء ، فأقدمهم هجرة ، فإنْ كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سِناً ، ولا يَؤمنّ الرجلُ الرجلَ فى سُلطانه ، ولا يقعد فى بيته على تكرمته[2] إلا بإذنه » [3].

وأذان المرأة غير جائز ، لأنها إنْ رفعتْ صوتها ارتكبتْ معصية ، وإنْ خفضته فقد تركتْ سُنّة الجَهْر ، وأذان النساء لم يكُنْ فى السلف ، ولو أذَّنَتْ أجزأ أذانُها مع اعتبارها قد ارتكبتْ معصية ، وإنْ أذَّنتْ للنساء جاز ، لكنه غير مُستحب .

المرأة وصلاة الجمعة :

س : ما حكم صلاة الجمعة للنساء ؟ وإنْ صلَّتْ المرأة فى المنزل فهل تصلى ركعتين أم أربعاً ؟

---

(١) قال الشوكانى فى نيل الأوطار (٣/ ١٥٨) : « قد اختلف فى المراد من قوله « يؤم القوم أقرؤهم » فقيل: المراد أحسنهم قراءة وإن كان أقلهم حفظاً . وقيل : أكثرهم حفظاً للقرآن » .

(٢) التكرمة : الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويختص به دون أهله . وقيل: هى الوسادة، وفى معناها السرير ونحوه . ذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (٣/ ١٥٨) .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ١١٨، ١٢١) ، والترمذى فى سننه (٢٣٥) وقال : « حديث حسن صحيح » .

ج : صلاة الجمعة غير واجبة على الأنثى ، لكن إذا حضرت وأدَّتْها أجزأتْها عن الظهر ، وإنْ صَلَّتْ فى المنزل فَلْتُصَلِّ أربع ركعات ظهراً .

ومَنْ قال من العلماء بكراهة خروج الجميلة للجمعة خَوْف الفتنة أو حُرْمة خروجها ، أو قالوا بأفضلية صلاتها فى البيت مُطلقاً ، فإنما قالوا ذلك حينما كانت صفوف النساء فى الصلاة لا يفصلها شيء عن صفوف الرجال ، أما الآن وقد خُصِّص فى بعض المساجد مكان محجوب للنساء حتى يتعلَّمْنَ أمور الدين ، فلا حرجَ من حضور الجمعة مع الاحتشام .

وفى الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » (1).

◻ صلاة المرأة مع زوجها :

س : هل تصح صلاة المرأة مع زوجها ؟

ج : نعم ، تصحُّ صلاتها مع زوجها ، ويكون لها صَفٌّ وحدها وراءه ، أما إمامتها لنساء مثلها فلا تتقدمهم ، ولكن تكون فى وسط الصفِّ الأول بينهم ، ولا تجوز إمامة المرأة للرجل فى الصلاة .

***

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه (٤٤٢) الصلاة ، وأخرجه أحمد فى مسنده (٢/ ١٦) وأبو داود فى سننه (٥٦٦) وفى لفظ «لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » وفى حديث أبى هريرة ﷺ عند أبى داود (٥٦٥) أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، ولكن ليخرجن وهن تفلات » أى : تاركات للطيب .

أحكام الصيام

قُبْلة الصائم :

س : هل يجوز للرجل أن يُقبِّل زوجته وهو صائم ؟

ج : يجوز له هذا إنْ كان يملك نفسه عن أنْ يقع فيما هو أكثر من القُبْلة . وقد سأل عمر بن أبي سلمة رسول الله ﷺ : أيُقبِّل الصائم ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « سَلْ هذه » يقصد أم سلمة ، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل هذا . قال : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر . فقال ﷺ : « إنِّي لأتقاكم لله وأخشاكم له » [1].

وقد سأله ﷺ شاب ، فقال : أُقبل وأنا صائم ؟ قال : لا . وسأله شيخ : أأُقبِّل وأنا صائم ؟ قال : نعم[2] ، ثم قال : « إن الشيخ يملك نفسه » .

جماع الرجل زوجته وهو صائم :

س : ما حكم من جامع امرأته في نهار رمضان ؟

ج : هذا مُبطل للصيام ، ويجب فيه القضاء والكفارة ، والمرأة والرجل سواء في وجوب الكفارة عليهما ، ما داما قد تعمَّدا الجماع ، مختارين في نهار رمضان ، ناويين الصيام ، فإنْ أكره الرجلُ زوجته أو كانت مُفْطرة لعذر ، وجبت الكفارة على الرجل دون الزوجة .

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1108) الصيام من حديث أم سلمة .

(2) أخرجه أبو داود في سننه (2387) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : هلكْتُ يا رسولَ الله . قال : «وما أهلككَ ؟ قال : وقعْتُ على امرأتى فى رمضان . فقال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أنْ تصومَ شهرين مُتَتَابعين ؟ قال : لا . قال : فهل تجد ما تُطعِم ستين مسكيناً ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبى ﷺ بعَرَق فيه تمر ، فقال : تصدَّق بهذا . قال : فهل على أفقر منَّا ؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منَّا . فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : اذهب فأطعمه أهلك » [1].

***

(١) العرق : مكيال يسع ١٥ صاعاً . لابتيها : تثنية لابة . وهى الأرض التى فيها حجارة سود . والمراد ما بين أطراف المدينة أفقر منا . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (١٩٣٦) ، وكذا مسلم فى صحيحه (١١١١) الصيام من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

أحكام الصدقة والزكاة

الصدقة من مال الزوج :

س : هل يحقّ للمرأة غير العاملة أنْ تتصدّق من مال زوجها ؟ وإذا رفض عمل زوجته ، فهل يحقُ لها أنْ تُؤدى فريضة الحج عن والدتها المتوفاة برّاً بها من مال زوجها ؟

ج : يمكن للمرأة غير العاملة أن تتصدَّق من مال زوجها إذا استأذنته ، وكذلك لا يحقُّ لها أنْ تحجَّ عن والدتها من مال زوجها إلا إذا أذِن لها هو بذلك .

صدقة المرأة بدون إذن زوجها :

س : هل صدقة المرأة فى مالها بدون إذن زوجها حرام أم حلال؟

ج : أتت امرأة كعب بن مالك رسول الله ﷺ بحُلىٍّ لها ، فقالت : إنى تصدَّقْتُ بهذا . فقال : إنه لا يجوز للمرأة فى مالها أمْر إلا بإذن زوجها . فهل استأذنتِ كعْباً ؟

قالت : نعم . فبعث رسول الله ﷺ إلى كعب ، فقال : هل أذنتَ لخيْرةَ أنْ تتصدَّق بحليِّها هذا ؟ قال : نعم . فَقبِله رسول الله ﷺ منها [1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢٣٨٩) من حديث كعب بن مالك . قال البوصيرى فى الزوائد : فى إسناده يحى ، وهو غير معروف فى أولاد كعب . فالإسناد ضعيف .

أحكام الحج

حيض المرأة قبل طواف الركن :

س: ماذا تفعل المرأة إذا حاضتْ قبل أداء طواف الركْن فى الحج ، واضطرت إلى مغادرة مكة قبل الظهر لارتباطها بالفوج الذى تحج معه؟

ج : على المرأة أن تحتاطَ لنفسها بحيث لا يسيل منها دَمٌ ، ثم تتوجَّه مباشرة إلى الحرم وتطُوف ، لكن تذبح بَدَنة ، أى بقرة ، وإنْ لم تستطع الذَّبح تصوم .

لبس المرأة فى الإحرام :

س : ماذا تلبس المرأة عند إحرامها بالحج أو العمرة ؟

ج : لُبس الإحرام بالنسبة للمرأة هو الملبس العادى الذى تلبسه فى حياتها . ولا يحرُم إلا الثوب الذى مسَّه الطيب والنقاب والقُفّازان ، فقد «نهى رسول الله ﷺ النساء فى إحرامهن عن القُفَّازين والنقاب ، وما مسَّ الورس والزعفران من الثياب ، ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب من مُعصْفر ، أو خَزٍّ ، أو حُلى ، أو سراويل أو قميص ، أو خُفّ »[1] .

---

(١) **الورس**: نبت أصفر طيب الريح يصبغ به . **والمعصفر**: المصبوغ بالعصفر . **والخز**: نوع من الحرير . والحديث أخرجه أبو داود فى سننه (١٨٢٧) من حديث ابن عمر ﷺ .

◻ حج المرأة بغير إذن زوجها :

س : هل يجوز للمرأة أن تحج بغير إذن زوجها ؟

ج : لا يُستحبّ للمرأة أنْ تستأذن زوجها فى الخروج إلى الحج الفرض ، فإنْ أذِنَ لها خرجتْ ، وإنْ لم يأذن لها خرجتْ بغير إذنه ، لأنه ليس للرجل مَنْع امرأته من حَجِّ الفريضة ، لأنها عبادة وجبتْ عليها ، ولا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق .

ولها أنْ تعجلَ بالحج لتُبرئ ذمَّتها ، ويلحق به الحج المنذور ؛ لأنه واجبٌ عليها كحجّة الإسلام ، وأما حَجّ التطوع فَلَهُ منعُها منه .

***

أحكام الميراث

الأنثى نصف الذكر :

س : لماذا للأنثى نصف حظ الذكر فى الميراث ؟

ج : يقول الله تعالى : ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ... (11)﴾ [النساء] قد يقول قائل : ولماذا لم يَقُلْ « للأنثيين مثل الذكر » أو « للأنثى نصف حَظِّ الذكر » ، وهذه مَعَانٍ يمكن أنْ تُعبّر عن المطلوب ، لماذا إذاً قال الله تعالى :

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ... (11)﴾ [النساء]

لقد أراد الله أن يكون المقياس هو حظّ الأنثى ، إن الرجل هنا منسوبٌ إلى الأنثى ، لو قال الله تعالى : « للأنثى نصف حظ الرجل » لَكَانَ المقياس هو الرجل .

لقد قال الحق سبحانه تكريماً للمرأة :

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ... (11)﴾ [النساء]

لكن بعض الناس يُزايدون على الله ، ويظلمون أنفسهم بادعاء أن ذلك الحُكْم السماوى ظُلْم للمرأة ، وعلى هؤلاء أنْ يلتفتوا إلى عدالة الحق .

إن الذكَر مطلوب له زوجة ينفق هو عليها ، والأنثى مطلوب لها ذَكَر يكفيها ، وإنْ تزوجت فإن النصفَ الذى يخصُّها سيكفيها وسيكون لها زَوْج يعولها .

إذن : فأيُّهما أكثر حَظّاً في القسمة ؟

إنها الأنثى ، ولذلك جعلها الله الأصل والمقياس ، فهل في هذا القول جَوْر أم مُحاباة للمرأة ؟ إن في هذا القول محاباة للمرأة ، لأنه جعل نصيبها المكيال الذى يُرَدُّ إليه الأمر ؛ لأن الرجل مطلوب له أنثى ينفق عليها ، وهى مطلوب لها زَوْج ينفق عليها .

***

أحكام زينة المرأة وزيّها

زيّ المرأة المسلمة :

س : ما هو الزى الإسلامى الواجب على المرأة ؟

ج : شرط اللباس الإسلامي للمرأة ثلاثة أشياء :

ألاَّ يكون كاشفاً ، ولا واصفاً ، ولا لافتاً.

فهناك لباس طويل ولكنه ضيّق ، ومُبين مُفصّل للجسم ، وهناك أيضاً فتاة تتحجب وتضع على رأسها زينة أفتنَ من رأسِها .

إذن : فَخُذْ الوصف : لا كاشفاً ولا واصفاً ولا لافتاً. فلا يظهر منها إلا الوجه والكفّان.

النقاب :

س : هل النقاب فَرض على المرأة ؟

ج : النقاب غير مفروض وغير مرفوض ، فالذين يرفضونه لا يحقُّ لهم ذلك ، فما شأنُكَ بامرأة تُغطّى وجهها ، ولماذا لم تتدخل فى حال المتبرجة ؟ لماذا نُضيِّق على المنتقبات ونترك المتبرجات.

ولكى تتأكدوا أنهم يبيحون كل شيء يُغرِى بالتحلُّل ، فعليكم أن تحضروا حفلة لمعهد رياضى ، فتجد الفتيان يلبسون بنطلونات طويلة ، أما البنات فيلبسْنَ فراشة ، فهل الرياضة تصلح بالبنطلون أم بالفراشة ؟

إذن : فهذه كلها مسائل معروفة ومقصودة ، ولو قرأتم بروتوكولات حكماء صهيون لوجدتم هذه الأشياء منصوصاً عليها لإفساد المسلمين.

وما دام النقاب لا هو مفروض ولا مرفوض ، فالالتزام به يرجع لحرية البنت الشخصية.

وتحدث مشاكل للطالبات المتنقبات فى الجامعات بسبب التعنُّت والتضييق والفَهْم القاصر لهذه المسألة ، فلماذا لا يُؤتَى بموظفة على باب الجامعة أو فى الامتحان ـ وما أكثر الموظفات ـ للتأكد من شخصية الفتاة المنتقبة ، ولا داعى لكُلِّ هذا التعنُّت والتضييق.

الزى الإسلامى وطاعة الأم :

س : أردت أنْ ألتزمَ بالزىِّ الإسلامى، ولكن أمى تعارض فى ذلك، وأعلم أن طاعة أمى واجبة ، فكيف أوفق بين الطاعتين ؟

ج : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، والحجاب مفروض على نساء جميع المؤمنين ، وهو واجب شرعىّ مُحتّم ، للتعفُّف والتستُّر والاحتشام فلا تعودى إلى الفتنة بعد إذ نجَّاك الله منها ، وحاولى أنْ تُقنعى والدتك بأنك تُنفِّذين أمر الله ، وتصونين نفسك ، وعن طريق المناقشة الهادئة يمكنك أنْ تكتسبى رضاء والدتك ، ولا تخرجى عن طاعتها إلا إذا أصَرَّتْ على رأيها.

شروط الزى الإسلامى :

س : ما الشروط الواجب توافرها فى الزى الإسلامى ، وهل يجب ارتداء الزى الإسلامى أولاً ، أو معرفة أمور الدين وتنفيذها أولاً ؟

ج : يجب أن نعرفَ أن مَا نصنعه من الطاعة نأخذ ثوابه ، وما لا نصنعه نفقد أجره ، وما نفعله من معصية نأخذ عقابه ، فالله تعالى لا يُحاسبنا على

أعمالنا كلها جملةً واحدة ، فأوامر الدين نحاسب على كل أمر منها على حِدَة ، ومنها ارتداء الزى الإسلامى للمرأة.

ويجب توافر شروط فى الزىّ الإسلامى منها :

١ - استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى كالوجه والكفين.

٢- أنْ لا يكون زينة فى نفسه.

٣- أنْ يكون صفيقاً لا يشفّ.

٤ - أنْ يكون فضفاضاً غير ضيّق.

٥- أنْ لا يكون مُبخّراً مُطيّباً.

٦- أنْ لا يشبه لباس الرجل.

٧- أنْ لا يشبه لباس الكافرات.

٨- أنْ لا يكون لباسَ شهرة.

الزواج من غير المحجبة :

س : هل يجوز الزواج بامرأة مسلمة تقيم فروض دينها ، ولكنها لاترتدى الزى الإسلامى ، وهى مقتنعة به ، ولكنها لاتقدر عليه ؟

ج : قال رسول الله ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١)

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٠٩٠) ، وأحمد فى مسنده (٢/ ٤٢٨) وابن ماجه في سننه (١٨٥٨) من حديث أبى هريرة ﷺ.

والحسب : الشرف بالآباء وبالأقارب. وقيل المراد : الفعال الحسنة. ويؤخذ منه أن الشريف النسيب يستحب له أن يتزوج نسيبة إلا إن تعارض نسيبة غير ديِّنة وغير نسيبة دَيِّنة فتُقدم ذات الدين ، وهكذا فى كل الصفات .. ويؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير دينة والغير جميلة الدينة ، نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أَوْلَى. (فتح البارى ٩/ ١٣٥).

فإن كانت صاحبة دين فعليها أن تُعجّل بإرضاء ربها وطاعته ، أما حكم الزواج بمثل هذه المرأة أنه جائز شرعاً.

العروس والحجاب :

س : هل يجوز للعروس خلع الحجاب يوم زفافها ؟

ج : إذا كان الزفاف وسط جمع من النساء فمباح أنْ تفعلَ هذا ، أما الزفاف الذى نراه الآن من اختلاط الرجال والنساء فحرام ، ومُحرَّم أن تخلعَ العروسُ حجابها.

صباغة الشعر :

س : هل للمرأة أن تصبغ شعرها ؟

ج : إن كانت المرأة تقصد بصباغة شعرها التزيُّن لزوجها فلا مانعَ ، أما إنْ كان قبل الزواج وللفْتِ الأنظار فيُعتبر هذا نوعاً من التدليس والخداع.

عطر النساء :

س : هل يصح للمرأة أن تضع عطراً علي ملابسها ، وتخرج إلى الشارع أو إلى العمل ، حتى ولو كانت باللباس الشرعى ؟

ج : استعمال المرأة للعطر خارج بيتها حرام ، قال رسول الله ﷺ : «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية » .[1]

وفى حديث آخر : « إذا شهدتْ إحداكُن المسجد فلا تمسّ طيباً ».[2]

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠ ، ٤١٤ ، ٤١٨) وأبو داود فى سننه (٤١٧٣) من حديث أبى موسى الأشعرى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٤٣) ، وأحمد فى مسنده (٦/ ٣٦٣) من حديث زينب بنت عبد الله بن مسعود الثقفية.

وقد شدد الإسلام على المرأة ، وأمرها ألاَّ تُبدى زينتها إلاَّ ما ظهر منها ، وألاَّ تتعمد جَذْب انتباه الرجال فى الشوارع أو فى العمل بالعطور وغيرها.

أما زينة المرأة وعطرها لزوجها داخل بيتها فهو مُبَاحٌ مَنْدوبٌ إليه.

❑ قص الشعر :

س : ما رأى الدين فى قص الشعر بالنسبة للمرأة ؟

ج : لا شيء فى قَصِّ المرأة شعرَها ، ما دامتْ تتزيَّن لزوجها ، وعلى أن يكون الذى يتولى عملية القَصِّ امرأة مسلمة ، وإذا رأت فى القَصِّ جمالها.

❑ حجاب المرأة وأهل الزوج :

س : هل يجوز للمرأة أن تكون بدون الحجاب أمام أهل زوجها ؟

ج : يجب أن تلتزم المرأة بالحجاب من سِنِّ البلوغ ، ويظل الحجاب واجباً عليها حتى تصبح في سِنٍّ لايُرْجى زواجها أو طَلَبها ، وهُنَّ مَنْ عبَّر عنهُنَّ القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَالْقَوَاعِدُ [1] مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا... (٦٠) ﴾ (النور)

ولا تظن المرأة أن الزواج يُحصِّنها من أَعْيُن الرجال ، فمَنْ لا يخاف الله ولا يخشاه ، لا يختلف عنده الأمر ، ولا يُفرِّق بين المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة.

ويمكننا إيجازُ توضيح مَنْ لا يصح له رؤية المرأة بدون حجاب بأنه كُلُّ رجل أجنبى عنها ، كان يصحُّ له الزواج بها ، وهذا لا يعنى أن زواج المرأة يبيح لها التحلُّل من الحجاب أمام غير محارمها.

---

(١) القواعد : جمع قاعدة وهى التى قعدت عن الحيض والولد . قال الزجاج: هن اللواتى قعدن عن الأزواج. وهى المرأة الكبيرة المسنة. (لسان العرب - مادة : قعد).

◘ امرأة مسلمة متبرجة :

س : ما حكم الإسلام فى امرأة مسلمة ملتزمة بتكاليف العقيدة ومنهج الإسلام ، لكنها تنزل الشارع سافرة حاسرة الأعضاء ؟

ج : على الفتاة التى تزعم أن الدين يَحْجُر عليها فى لباسها وفى زينتها وفى حياتها أنْ تعلمَ جيداً كيف أن الدين أراد أنْ يُؤمِّنَ شيخوختها فى الهرَم وعند سنِّ اليأس ، فإن أول صدمة تقع في كيان المرأة تكون عند سنِّ اليأسِ عندما تنقطع عنها الدورة الشهرية.

فى هذه الأوقات الحرجة عندما تَذْوى [1] نضارة المرأة ، ويخبو جمالها نراها مُحتاجة إلى عطف زوجها وحنانه وبرِّه ، وهى ضعيفة مسكينة ، كثيرة التفكير فى المصير المؤلم من ناحية أخرى ، لأنها لم تَعُدْ تُشبع غرائز الزوج.

فعلى الفتاة أنْ تعلمَ أنَّ الإسلامَ إنما أراد أنْ يُؤمِّن هذه الشيخوخة الذَّابلة المنهكة ، وأنْ يدفع إليها البِشْر والتفاؤل والأمان.

على هذه الفتاة أنْ تعلمَ أنها لن تظل جميلة طول عمرها ، ولا فاتنة ساحرة مدى حياتها ، فإذا ما ذَبُلَتْ تلك الزهرة بتقدُّم العمر ، وامحتْ نضارتها ، واعتصرت محاسنها ، ولم تَعُدْ تصلح لإثارة غرائز الزوج ، وهى ليست فى مستوى الإهاجة ، ونزل إلى الشارع فرأى فتاة فى خير عمرها وفى كامل زينتها ورَوْنقها جرتْ شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر فى الشارع وما يراه فى البيت.

وبين هذا وذاك تتكالب عليه الهموم والحسرات ، ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسُرُّ أيَّ امرأة ، فنظر الرجل فى الشارع إلى حُسْن ظاهر سافر مبتذل تُبدِّد

(١) ذوى العود والبقل : ذبل. (لسان العرب - مادة : ذوى)

رصيد الحب بينه وبين زوجته ، لو لم يرَ في الشارع لما التهبتْ ولا تنبهتْ غرائزه، من هنا تنحلُّ الأسرة الزوجية ، وتنفكُّ المودة العائلية .

فاعلمي أيتها الفتاة أن الذى منعك منعَ من أجلكِ ، والذى منع منعَ ليحافظ عليك.

فبمقدار ما أغوتْ امرأةٌ رجالاً بمقدار ما زهد فيها رجالٌ ، وبمقدار ما رَغب فيها أناسٌ بمقدار ما رغب عنها أكثر منهم ، وبمقدار ما استحالتْ من نفوس فإن الله يُذلّ آخرتها فى الدنيا ، بأنْ ينصرفَ الكُلُّ عنها انصرافاً مُزْرياً مُحتقراً ، والذى كان يتمنى أن يحظى بنظرة واحدة لو رآها لَبصَق عليها.

تجميل المرأة للحواجب :

س : هل تجميل الحواجب حلال أم حرام ؟

ج : بعض النساء يَقُمْنَ بإجراءات لتغيير الخِلْقة ، كنَزْع شعر الحواجب من منَابته ، وإعادة رَسْم مكانه بوضع خَطٍّ بالقلم الملوَّن ، ويفضح ذلك نَبْتُ الشعر من جديد ، فتتحول إلى شكل قبيح ، وتنسى أن الجمالَ إبداعُ تقاسيم ، فقد يكون سرّ جمال امرأة أنْ يكونَ شَعْر الحاجبين كثيفاً ، وقد يكون سرّ جمال امرأة اتساع الفم أو طول الأنف.

ولقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله » (١)

---

(١) **الواشمة** : التي تجعل الخيلان (جمع الخال وهو شامة سوداء في البدن) بكحل أو مداد. **والمستوشمة** : المعمول بها. **والنماص** : إزالة شعر الوجه بالمنقاش لترفيع شعر الحاجبين أو تسويتهما. **وتفليج الأسنان** : التفريج بينها، وهو خلاف المتراص الأسنان.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٣١) ، وأحمد فى مسنده (١ / ٤٣٤) ، ومسلم في صحيحه (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أما مَنْع الزائد كالشَّعْرة الزائدة فهو المطلوب.

إطالة الأظافر :

س : هل تطويل الأظافر حلال أم حرام ؟

ج : الإنسان كائن حيٌّ مُستوى القامة ، مُقلَّم الأظافر ، لأن الأظافر جُعلتْ للتوحُّش ، وحيث ارتقيتَ فلا أظافرَ كأيِّ آلة من الآلات ، لا أستعملها إلا وَقْت الحاجة إليها.

وتقليم الأظافر من سُنن الفطرة ، كما قال ﷺ : « خَمْس من الفطرة : الاختتان ، والاستحداد ، وقَصّ الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط » (١)

قال أنس رضي الله عنه : « وَقَّتَ لنا رسول الله ﷺ في قَصِّ الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْف الإبط ، وحَلق العانة ، ألاَّ تترك أكثر من أربعين ليلة » (٢)

حلق النساء رؤوسهن :

س : هل يجوز للمرأة أن تحلق رأسها ؟

ج : يحرم على النساء حَلق رؤوسهن لقول علي رضي الله عنه : « نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها » (٣)

وذلك لأن في حَلق رأسها تشبهاً بالرجال وخروجاً عن طبيعة الأنثى ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧) برواياته عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٠٠) ، والترمذي في سننه (٢٧٥٨) ، وابن ماجه في سننه (٢٩٥) ولفظ «وُقِّت» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٩١٤ ، ٩١٥) ، والنسائي في سننه (٨ / ١٣٠) من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ونفور الرجال منها ، وظهورها بمظهر رديء وهو حرام.

وقد قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المتشبِّهين من الرجال بالنساء ، والمتشبِّهات من النساء بالرجال » (١)

ولكنْ إذا ما ظهر في رأسها ما يُحتِّم الحلق كـكثرة الهوام والحشرات أو ظهور تقرُّحات في جلدة الرأس ، فتلك ضرورة تبيح حَلْق شعر رأسها.

التزين بالآيات القرآنية في السلاسل الذهبية :

س : هل للمرأة أن تتزين بسلاسل ذهبية بها آيات قرآنية ، وهل هذا حلال أم حرام ؟

ج : يجوز التزيُّن بالسلاسل الذهبية التي كُتبت عليها بعض الآيات القرآنية أو عليها لَفْظ الجلالة ، ولكن على المرأة أن تحرص عند ذلك أن تكون على طهارة ، كما أنه لا يصحُّ الدخول بها دورات المياه.

***

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٣٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١٦٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، والترمذي في سننه (٢٧٨٤) وقال : « حسن صحيح ».



أحكام الزواج والطلاق

أولاً : الزواج وعلاقة المرأة بالرجل :

قوامة الرجل على المرأة:

س : ما المقصود من قوامة الرجل على المرأة ، وهل تعنى هذه القوامة تفضيلاً للرجال على النساء ؟

ج: القوامة تكليفٌ للرجل ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ **بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** .. (٣٤) ﴾ (النساء) ليس تفضيلاً من الله عز وجل للرجل على المرأة كما يعتقد الناس ، ولو أراد الله هذا لَقَال : بما فَضَّل الله الرجال على النساء ، ولكنه قال : ﴿ **بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** .. (٣٤) ﴾ (النساء)

فأتى ببعض مُبْهمةً هنا وهناك ، وذلك معناه أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود وحركة وكدح من ناحية الرجل ، ليأتى بالأموال ، يقابلها من ناحية أخرى ، وهو أن المرأة لها مهمة لا يقدر عليها الرجل ، فهى مُفضّلة عليه فيها .

فالرجل لا يحمل ولا يلد ولا يُرضع ولا يحيض ، ولذلك قال تعالى فى آية أخرى : ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** .. (٣٢) ﴾ (النساء)

لمن الخطاب هنا ؟ إنه للجميع ، وأتى بكلمة بعض أيضًا ، لكى يكون

البعض مُفضَّلاً فى ناحية ، ومَفْضُولاً عليه فى ناحية أخرى ، ولا يمكن أنْ نقيمَ مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن الآخر .

ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معًا سنجد أنهما متكاملتان ، فللرجل فَضْل القوامة بالسَّعْى والكدح ، أما الحنان والرعاية والعَطْف فهى ناحية مفقودة عند الرجل ، لانشغاله بمتطلبات القوامة .

ولذلك فإن الله عز وجل يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها ولا يحملها القوامة بتكليفاتها لكى تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذى خُلِقَتْ من أجله .

ولكن الشارع أثبت لنا أن الرجل عليه أنْ يساعد المرأة ، فقد كان ﷺ إذا دخل البيت ووجد أهله مُنشغِلات بعمل يساعدهن فيه ، مما يدلُّ على أن مهمة المرأة مهمة كبرى ، وعلى الرجل أنْ يعاونها .

إن المرأة تتعامل مع أرقى الأجناس على الإطلاق وهو الإنسان ، فهى تُربِّى سيد الوجود ، بينما يتعامل الرجل مع الجماد والتراب ومع النبات والحجر والحيوان .

مساواة المرأة مع الرجل :

س : مطالبة المرأة بالمساواة مع الرجل فى كل شىء ، ألاَ يتعارض هذا مع قوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨) ﴾ (البقرة) ، وقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... (٣٤) ﴾ (النساء) ؟

ج: إن الزوجة تقول « سأعمل حتى أُخفِّف عن زوجى الشقاء » ، وإنما هى جعلته فى شقائه كما هو ، وشَقيتْ هى أيضًا فهى لم تُخفِّف عنه شيئًا ، وهو لم يأخذ نصف عمل فى الخارج ، بل هو لا يزال يعمل .

وكيف تُخفِّف المرأة عن زوجها العمل وهو لا يزال يعمل لينهض بأعباء الحياة التى لا تنتهى ، ولا بُدّ أن ينظر الإنسان إلى عمله ويعرف المقدار الذى سيُدره عليه من دَخْل ، وعليه أنْ يجتهد كما شاء ، وبعد ذلك يُحدِّد مستوى حياته فى حدود مستوى الدَّخْل .

أما إذا حدَّد المستوى الذى يريد أنْ يعيشَ فيه ، ولم يستطع الدَّخْل أنْ ينهض بالمستويات ، فقد يتجه إلى عمل الأشياء الأخرى ، فقد يتجه إلى الرِّشْوة من أجل أن يواجه ذلك المستوى ، أو قد ينحرف أو يسرق .

وهنا نقول له : لا ، المستوى لا يُحدَّد إلا بعد أن تعرف أنت ما طاقتك فى العمل ، وبالتالى تعرف مقدار دخلك ، وعليه فمستوى حياتك يُحدَّد على هذا الدَّخْل .

فإذا أرادتْ المرأة أنْ ترفعَ مستوى حياتها بما لا يخرج بها عن مُهمتها كزوجة ، وعن واجبها كأُم تحضر أطفالها ، فالذين ينادُون بمساواة المرأة بالرجل : لماذا لا يقولون بمساواة الرجل بالمرأة ؟

يطلبون من المرأة أن تقومَ بعمل الرجل ، فكان من الواجب أن يطلبوا من الرجل أن يقومَ بعمل المرأة ، وإلاّ جاروا على مبدأ المساواة التى يطلبونها ، فإذا

قامت المرأة بالعمل المطلوب من الرجل وظلتْ هى بعملها الخاص الذى لا يُؤدَّى إلاَّ من جهتها لَكان معنى ذلك إلقاء حمْل جديد على المرأة .

وهكذا فَهُمْ لا يطلبون مساواتها ، بل يطلبون غَبْنها[1] وظلمها ، فلو أنصفتْ المرأة نفسها لَرأتْ فى الذين يطلبون مساواتها بالرجل فيما تجنح إليه فكرةُ المساواة خصوماً لها ، ولو أنصف الذين يطلبون مساواتها لَطلبوا لها أنْ تزاولَ كل أعمال الرجل ، وألاَّ يقتصر طلب المساواة على الأمور الهيّنة غير الشاقة ولا المجهدة .

الإعلان عن الزواج :

س : الطبل والزغاريد وتعليق الأنوار على البيوت فى الزواج ، ما فائدته ؟

ج : الإعلام والإعلان عن الزواج شرط من شروط الزواج ، لحماية أعراض الناس من الناس ، وكل ما نراه من مظاهر مختلفة فى الأفراح من دَقّ الطبول ، وإطلاق الزغاريد ، ووضْع الزينات والأنوار على البيوت ، كل ذلك إعلام عن الزواج ، لنحمى أعراض الناس من ألسنة الناس[2] .

ويجب أن نعرف أن الإعلام شىء ، والكتابة شىء آخر لحماية المصالح المدنية من مؤخر الصداق والنفقة أمام القضاء ، ثم إن الإصرار على ألاَّ يعلم أحد بالزواج يجعل الزواج باطلاً .

(١) الغَبْن : الظلم والخداع .

(٢) قال الشوكانى فى نيل الأوطار (٦/ ١٨٨): «يجوز فى النكاح ضرب الأدفاف ورفع الأصوات بشىء من الكلام نحو: أتيناكم أتيناكم ونحوه لا بالأغانى المهيجة للشرور المشتملة على وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور ، فإن ذلك يحرم فى النكاح كما يحرم فى غيره ، وكذلك سائر الملاهى المحرمة» .

▫ جهاز العروس :

س : هل جهاز العروس واجب على الزوج أو على الأب ؟

ج : جهاز العروس واجب على الزوج شرعاً ، فى حدود طاقته وَوُسْعه ، أما ما يحدث عندنا من أن الأب يُجهِّز ابنته فهذا عُرْف تعارف الناس عليه ، ولا يلتزم الأب به .

▫ خروج الفتاة مع خطيبها :

س : هل يجوز للفتاة التى وعدها شاب بالزواج وهو على خُلق ، ولكن ظروفه تمنعه من التقدُّم لخطبتها فى الوقت الحاضر، فهل يجوز لها أن تخرج معه إلى الأماكن العامة ، أو محادثته تليفونياً ، للتعرُّف عليه ؟

ج : كل هذا لا يجوز ، لا محادثته ولا الخروج معه ، ولا الخلوة فى بيتها بغير مَحْرم ، وليس له إلاَّ أنْ ينظرَ إليها مرة واحدة بمحضر من أهلها .

لقد أسرف الناس فى أمور الخِطْبة ، وحوَّلوها عشْرة ، وبرغم أن الأحداث أثبتتْ لهم سوء هذا النظام الذى ابتدعوه بفشل كثير من الخطوبات بعد أن يدخل الخطيبُ بيتَ خطيبته ويخرج معها ، وبعد ذلك يتركها لتجترَّ الآلامَ وحدها .

▫ خروج البنت مع رجل أجنبى :

س : هل خروج البنات مع الرجال الأجانب والجلوس فى أماكن عامة مثل الكازينوهات والنوادى وما شابه ذلك يُعتبر من المعاصى ؟

ج : لقد أحزننى هذا السؤال جداً ، وأسفتُ لأن الشباب لا يعلم الحكم فى هذا السؤال ؛ لأنه منطقىٌ وبدهىٌ .

اعلمى يا ابنتى أن الرجل المتمسِّك بدينه يرفض الزواج من فتاة خرج معها ودخل ، وإنْ فعل ذلك البعضُ من غير المتمسكين بالدين ، فإن الشكَّ دائماً يلعب دوراً هاماً فى هَدْم مثل هذه الزِّيجات .

ودليل ذلك فشل نسبة كبيرة جداً من الزِّيجات التى تتمُّ بمثل هذه الطريقة غير الشرعية .

مسألة الاختلاط بين الفتاة والشاب لا منطقيةٌ ولا طبيعية ، وقد سبق أنْ عالجْتُ هذا الأمر حينما تكلمتُ عن قصة موسى مع شعيب عليهما السلام وقلتُ :

إن خروجَ الفتاة إلى عمل فى غير مجال أسرتها أمر تحدده الضرورة المحْضَة ، وقُلْت : اسمعوا قول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ [1] قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ [2] الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص]

(١) تذودان: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا. (تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٣) .

(٢) قال المفسرون: وذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة ، فتجىء هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما فى فضل أغنام الناس ، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده ، ثم استقى لهما وسقى غنمهما ، ثم رد الحجر كما كان . قال أمير المؤمنين عمر: وكان لا يرفعه إلا عشرة ، وإنما استقى ذنوباً واحداً فكفاهما . (قصص الأنبياء ـ ابن كثير ـ تحقيق : عادل أبو المعاطى ـ دار الروضة ـ صـ ٢٢٥) .

وكلمة ﴿ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ حددتْ الضـرورة ، والضرورة التى أخرجت الفتـاة إلى مجـال الاحتكاك والاختـلاط تُؤْخَـذ بقدْرها ﴿ لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ ليست مجرد الضرورة التى أخرجتـها حتى يحتكُّوا بالناس فى حجاب إنْ كانت فى مجتمع ﴿ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ .

ثم تكلم عن دور المجتمع﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ يعنى : حين يـرى الرجل امـرأةً خرجتْ لتكافح فى الحياة عن ضرورة اقتضتْ ذلك ، فيجب عليه أنْ يقضىَ لها ضـرورتها ، حـتى تذهبَ إلى حـال سبـيلها ، ويجـب على الفتـاة أو المرأة التى تضطرها هذه الضرورة أن تلتمسَ الخروج من هذه الضرورة .

قالت ابنة شعيب :

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾ [القصص]

هى التى بحـثتْ عن حَلٍّ واحد يقـوم بهـذه المهمـة ، نحن لا نمنع المرأة من العمل ، لكن تـخرج إلى العمل إنْ كـان فى محيط أسـرتها ، وإن اسـتدعى أنْ تخرجَ إلى المجتمع ، لكن فى حِشْمـتها وفى وقارها وفى اتزانها ، ولا تجعل هذه الضرورة تبيح لها أن تختلط بالشباب ما شاء لها الاختلاط.

هبوا أن الضرورة اقتضتْ أنْ تخـرجَ المرأة إلى المجتمع للعمل ، ولا رجولة خاصـة فى مجـال القوى ، ولا رجـولة عامـة فى المجتمع ، وتُركـت المرأة لحال سبيلهـا تكافح فى الحياة ، ما هو الرابـط بين أن تتبرج لتخرج فى أبْهـى زينتها ، وأكمل حِليتها ؟ ما هى العلاقة بين هذا وهذا ؟

والفتاة التى تخرج لِتتعلّم ، إنما قُلْنا إنهـا ضرورة اضطرتها للاختلاط ، فما ضرورة أنْ يكونَ ميدان الجامعـة ميدانَ تبرُّج ، تلبس أحسن الأزياء ، ولقد قُلْتُ

سابقاً : هل العلم لا يُسمع إلا من بين الصدور الظاهرة للعَيان ؟

هل العلم لا يُستقبل إلا بالسيقان المكشوفة ؟ هل العلم لا يُؤتى إلا باللباس الكاشف ؟

والفتاة فى تبرُّجها خارج منزلها تُعبِّر عن إلحاح فى عَرْض نفسها على الرجل ؛ لأن مبالغةَ المرأة فى تبرُّجها خارج منزلها معناه إلحاح فى عرْض نفسها على الرجل تماماً ، ومعنى ذلك أنها تقول له : انظر أنا هنا .

والشباب ليس فى حاجة إلى مَنْ يهيج غرائزه ، الشباب الآن يحتاج إلى مُبرِّدات ، وليس إلى مُهيِّجات ، فَرِّقوا يا قَوْمِ بين حركة العمل فى الحياة وبين إغراءات هذه الحياة .

◻ نظر الخاطب للمخطوبة :

س : جاءنى شاب مسلم ليخطب ابنتى ، وكان قد رآها مرة واحدة وطلب منى أن يجلس يتحدث وينظر إليها ، وأسأل : هل نظر الرجل لمن يريد الزواج منها ليس مُحرماً ؟

ج : سئل رسول الله ﷺ من المغيرة بن شعبة عن امرأة خطبها ، فقال : « اذهبْ فانظرْ إليها ، فإنه أحْرى أن يُؤدَمَ بينكما » فأتى أبَوَيْها فأخبرهما بقول رسول الله ﷺ فكأنما كَرِه ذلك ، فسمعت المرأة وهى فى خدْرها ، فقالت : إنْ كان رسول الله ﷺ قد أمرك أنْ تنظرَ فانظرْ ، وإلاَّ فإنى أنشدك ـ كأنها استعظمت ذلك عليه ـ قال: فنظرْتُ إليها فتزوَّجتها ، فذكر من موافقتها له[1].

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ٢٤٥ ، ٢٤٦) ، وابن ماجه فى سننه (١٨٦٦) وأخرج الترمذى بعضه فى سننه (١٠٨٧) من حديث المغيرة بن شعبة وقال : هذا حديث حسن . ومعنى قوله (أحرى أن يؤدم بينكما) قال : أحرى أن تدوم المودة بينكما . والخدر : ستر يُمدُّ للفتاة فى ناحية البيت .

❑ إبداء الفتاة رغبتها فى الزواج :

س : كيف تُبدى الفتاة لأبيها رغبتها فى الزواج ؟

ج : للفتاة أنْ تُبدىَ لأبيها أو لوَلىٍّ أمرها رغبتها تلميحاً أو تعريضاً ؛ ولذلك لا بُدَّ أن يكون رب البيت ذَا فطنة وذكاء ، وعندما قالت ابنة سيدنا شعيب عليه السلام : ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ..** (٢٦) ﴾ [القصص] فَهِم شعيب نزوع ابنته ، فقال من فَوْره لسيدنا موسى عليه السلام : ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ** (٢٧) ﴾ [القصص]

ولا بُدّ من تخيير الفتاة ـ بكْراً كانت أم ثيباً ـ فى أمر زواجها .

فقد شكت امرأة إلى النبى ﷺ أن والدها زوّجها ابن أخيه بغير رضاها ، فخيَّرها الرسول ﷺ فى أنْ تقبلَ أو لا تقبل .

فقالت له : «يا رسول الله ، أجزْتُ ما صنع أبى ، وإنما أردتُ أنْ أُعلّم النساء أنْ ليسَ للآباء من الأمر شىء » [(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليِّها ، والبِكْر تُسْتأذن فى نفسها ، وإذنها صماتها »[(٢)] .

وقال ﷺ أيضاً : « لا تُنكح الأيم حتى تُسْتأمر ، ولا تُنكح البِكْر حتى تُسْتأذن » [(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه (١٨٧٤) عن بريدة الأسلمى .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٢١٩، ٢٤٢، ٢٦١، ٢٧٤) ، وابن ماجه فى سننه (١٨٧٠) ، وأبو داود فى سننه (٢٠٩٨) ، والترمذى فى سننه (١١٠٨) من حديث ابن عباس ، قال الترمذى : «حديث حسن صحيح» .

(٣) حديث متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٩٧٠) ، ومسلم فى صحيحه (١٤١٩) من حديث أبى هريرة ﷺ. والأيم هنا : الثيب ، أى المرأة التى سبق لها الزواج سواء كانت مطلقة أم أرملة .

◘ الأب يخطب لابنته :

س : هل يجوز خِطْبة الرجل لابنته ؟

ج : هنا ينجلى موقف سيدنا شُعَيْب مع موسى عليهما السلام :

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ (٢٧)﴾ [القصص]

وهناك عـمر رضي الله عنه فـاروق الإسلام والـذى فَرَقَ الله به بين الحق والبـاطل ، عرض ابنته حـفصة على سيدنا أبى بـكر ، فرفض ، ثم عرضها على عـثمان بن عفان فـرفض أيضاً ، وتألم عمـر فى نفسه ألماً شديداً ، وأحسَّ بمرارة مـا بعدها مرارة .

ثم تزوَّجها النبى ﷺ ، فكان تشريفاً لها أنْ أصبحتْ أمَّ المؤمنين (١).

◘ زواج العقيم :

س : أنا شابٌ ولى رغبة فى الزواج ، ولدىَّ القدرة على نفقاته ، غير أن الأطباء قالوا : إنّى غير قادر على الإنجاب ، فهل يحقّ لى الزواج ؟ وكيف الطريق ؟

ج : يقوم الزواج أساساً على العِشْرة الحسنة والحياة السعيدة ، والأولاد شىء طبيعى فى الزواج ، فالأولاد زِينة الحياة الدنيا ، وهم حُلم كُلِّ زوجيْن ،

---

(١) أورده ابن عبد البر فى «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» (٤/ ١٨١١) ط . نهضة مصر ١٩٤٧ م ، وابن حجر فى «الإصابة» (٨/ ٥١) ، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٣٠٢) ط . بيروت ١٩٧٤م . وفيه أن رسول الله ﷺ قال: « يتزوج حفصة من هو خير من عمر ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة » .

فإنْ كانت لكَ قـدرةٌ على الزواج إلاّ أنكَ لا تستطيع الإنجاب فواجـه مَنْ تتقدّم للزواج منها بذلك قبل العقد ، فقد تقبل أنْ تعيشَ معك على هذا الأساس .

وهناك أُسَرٌ كـثيرة تعـيش بلا أولاد فى سعادة وهَنَاء ، فـهذه إرادة الله ، ولا دَخْل لهم فى ذلك .

معاشرة القاتل :

س: ارتكب زوجى جريمةَ قَتْل بالخطأ ، فهل الاستمرار فى معاشرته حرام أم حلال ، لقد أرّقَتْ هذه المسألة لَيْلى ، وشغلتْ نهارى، ومزّقتْ فكرى وفؤادى ، فهل أجد عند مولانا الشيخ الشعراوى ما يُثلج صدرى ، ويُطمئن خاطرى ، وله من الله الجزاء ؟

ج : هَوِّنى عليكِ ، فَما دامَ هذا الرجل لم يَعْمد إلى القتل ، ولكنه قتل مَنْ قـتله خطأ وبدون قَـصْـد القـتل فـهو يسـتطيع أنْ يُـنفّذ مـا شـرعـه الله فى هذا الخصوص ، ولا شيء على زوجـته ، ومعاشرته حلال ، ولا شأنَ للعـلاقة بينها وبين زوجها وبين ما حدث .

طبيب النساء :

س : أنا سيدة حامل وأُعالج عند طبيب مشهور ، أستريح له فى علاجى ، إلا أنه غَيْر مُتدَيّن ، فهل هذا حلالٌ أم حرام ، مع العلم أنّى حاولتُ أنْ أُعالج نفسى عند طبيبة ، ولكنّى لم أسترِحْ لعلاجها ؟

ج : مَـا دُمْت مُحْـتاطةً لدينك ، ولم تكونـى قد ارتحت عند الطبـيبـة التى تذكرينهـا ، فلا مانـعَ من أنْ تسألى أهل الذكر فى طبـيب مسلم ، مـعروف عنه خشيتُه لله ، فإذا لم يكُنْ ، فلا مـانعَ من أن تستمرّى لدى طبيبك المعالج ، إنْ لم يكن بالبلدة طبيب حاذق غيره . والله أعلم .

تعدُّد الزوجات

مهمة الزواج وتعدد الزوجات :

س : من المعروف أنه يُسمح للرجل بالزواج على امرأته فى حالة إصابتها بمرض لا يسمح لها بمراعاته ، ولكننا نرى الرجل يتزوج بأخرى برغم إخلاصها ، وبرغم أنه لا يعيبها شىء ، فما حُكْم ذلك ؟

ج : إن الله سبحانه وتعالى لم يُشرِّع زواج الرجل بالمرأة لتخدمه ، فالقصد من الزواج أشياء كثيرة ، والخدمة ليست الأصل فى الزواج ، ولكنها تأتى مع الزواج ، حتى إن المرأةَ لو رفضتْ الخدمة ، فإن الرجلَ يأتى لها بمَنْ يخدُمها إنْ تيسَّر له ذلك .

إذن : فالزواج ليس لخدمة الرجل ، ولكن القصد من الزواج هو إعفافُ الرجل ، فهَبْ أن امرأته لا تُعفّه ، وأنه رأى فى امرأته أمراً يناقض الإعفاف ، فهل يجوز أنْ نجعلَه يتطلع لسواها ، ويلهو فى أعراض الناس ، لكى لا يشاركها فيه أحد ؟

والآفة فى مناقشة الرأى أننا نناقشه من وجهة نظر واحدة ، فما معنى أن رجلاً مُتزوجاً تقدم لامرأة وقَبلت أن تكونَ زوجة ثانية له ؟

معنى ذلك أنها استعرضتْ أمرها ، فوجدتْ أن قبولها أن تكون زوجة ثانية له هو خَيْر أحوالها ، بل إننا نجد أخرى وقد وجدتْ أن خَيْر أحوالها أن تكونَ زوجة رابعة .

ولكى يكون الحكم على الرأى موضوعياً ، فعلى المرأة أن تأخذ الحكم لها وعليها ، ولا تأخذه لها فقط ، ولما أباح التشريع تعدُّد الزوجات ضَمِن للزوجة الأولى حقوقها ، وأما إنْ كان للمرأة حساسية من زواج زوجها بامرأة غيرها ، فَلَها أن تشترطَ فى العقد أنْ تُطلّق إنْ تزوج بأخرى ، ولكن لا يصح لنا أن نجادل فى أمر أحله الله لحكمة لا نعلمها .

وما يحدث من مشكلات من جراء تعدُّد الزوجات ينشأ نتيجة لأن الناس أخذوا حكم الله فى إباحة التعدد ، ولكن لم يأخذوا حُكْمه فى حتمية العدالة .

فقد حكم الله على مَنْ يُعدّد بأن يعدل بين زوجاته ، ولكن لما لم يعدل الرجل تشكّك الناسُ فى حُكْم الله فى التعدُّد ، ولكن لو أنهم عدلوا ، ولم يظلموا ، لما حدثتْ الحساسية من التعدد .

ولقد اشتكتْ امرأة زوجها ، لأنه أقبل على العبادة ، ولم يُعْطها حقّها ، فرفعتْ المسألة إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، فقالت له : إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا لا أحب أن أشكوَه بطاعة الله .

ولكن عمر لم ينتبه إلى شكواها وقال : نِعْم الرجل هو! ولكن أحد الرجال كان يحضر المناقشة فقال : إنها تشكو انشغال زوجها عنها . فقال عمر : أما إنك قد فهمت كلامها ، فاحكم بينهما .

قال زوج المرأة : لقد أقبلتُ على العبادة خوفاً من الله عز وجل .

فحكم الرجل بينهما بأنْ يتعبدَ الزوجُ ثلاثَ ليالٍ ، يقوم فيها الليل ويتعبد كما يشاء ، وأنْ يبقى مع امرأته الليلةَ الرابعة ، فالله قد أباح للرجل أنْ يتزوَّجَ أربعاً .

فقال عمر للرجل : لأىِّ أمريْكَ أعـجبُ ، ألأنك فهمْتَ أمرهما ، أم لأنك حكمْتَ بينهما ؟ أما والله ، ما دُمْتَ فهمْتَ وحكمْتَ ، لأولينك قضاء البصرة .

▫ تعدد الزوجات قبل الإسلام :

س : هل كان تعدد الزوجات موجوداً قبل الإسلام ؟ أم جاء به الإسلام ؟

ج : لم يجئ الإسلام بمبدأ التعدُّد لأنه جاء والتعدُّد أمر قائم فى الصِّلَة بين الرجل والمرأة ، فقد كان التعدُّد قائماً قبل الإسلام .

ولقد جاء الإسلام يُحدِّد التعدُّد ويَقْصره على أربع بالنسبة لغير الرسول ، حتى أن الرسول ﷺ خاطب مَنْ كان عنده أكثر من أربعة بقوله : «أمْسك أربعاً ، وفَارِق سَائرهُن » [1].

وهذا يدلُّ على أن الواقع كان أكثر من أربع نسوة ، فالذين لا يفهمون هم الذين يَرْمُون الإسلام بأنه جاء بالتعدُّد ، والحق أنه جاء بوضع حَدٍّ للتعدُّد .

ولكن خصوم الإسلام ينتقلون إلى شىء آخر ، وهو أن الرسول لم يلتزم بقوله «أمسكْ أربعاً وفارق سَائرهن» .

إن إمساكَ الأربع استبقاءٌ لحقوقهن الزوجية كلها ، ولكن مفارقة البقية هى التى تَحرم عدداً من النساء من زوجية كانت قائمة ، ولكن هذا الحرمان يقطعه ألاَّ تمنع أية امرأة من هذا النوع من أنْ تجدَ لها زوجاً آخر فى حَدِّ الواحدة أو الأربع ، وعند ذلك فالنبىُّ كان متزوجاً من تسع ، ووقت التشريع زوجاته أمهات المؤمنين ، ويحرُم على أىِّ مؤمن أن يتزوجهن ، فلو فارق منهن واحدة لن تتزوج غير النبى ، فلا بُدَّ أن يُمسكُهن .

(١) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ـ كتاب الطلاق ـ باب ٧٦ .

▫ تعدد الزوجات للرجال لا للنساء :

س : لماذا أباح الله للرجل تعدُّد الزوجات ، ولم يُبِح تعدد الأزواج للمرأة ؟

ج : لم يجعل الله المرأة نَهْباً لكل فَحْل يريد أنْ يطأها ، ولذلك لم يُعْطِ اللهُ المرأةَ حَقَّ التعدُّد تكريماً للمرأة وإعزازاً لها .

إننا فى هذه الدنيا نجد فى النساء مَنْ تسمو نفوسهن ويأبى حياءُ الواحدة منهن أنْ تتزوجَ بعد وفاة زوجها رعايةً لأولادها ، وحتى لا ينكشف عليها رجل آخر ولو بما أحلَّ الله لها .

فإثارة هذه المسألة هى محاولة من المستشرقين لإثارة نوع من الشهوة الهَلُوك فى كيان المرأة ، يريدون بها أنْ يُدخلوا فى رَوْعها أن الله قد حرمها ذلك .

وقُلْتُ مرة لمن سألنى ـ ونحن فى أمريكا ـ عن سبب حرمان المرأة من التعدُّد مع أنه أُحلّ للرجل ؟

سألتُك بالله : أعندكم فى بلادكم إباحةٌ للبغاء ؟

قال الرجل : نعم ، فى بعض الولايات إباحةٌ للبغاء .

سألتُ الرجل : كيف تحتاط حكومات تلك الولايات لصحة المرأة التى تمتهن هذه المهنة ؟

قال الرجل : بالكشف الصحىّ الدورى مرتين كل أسبوع ، ومع ذلك تُفاجأ المستشفيات بما لا حَصْر له ، ولا عدد من حالات الأمراض التناسلية الشديدة الفَتْك بالإنسان رجلاً كان أم امرأة ، والكشف الدورى مرتين فى الأسبوع حماية للرجل والمرأة معاً .

قُلْتُ للرجل : كلامك يُؤيد ما أراد الإسلام صيانةً لصحة المرأة وكرامتها ، لذلك أسألك : هل هناك كشف دورى على المرأة المتزوجة مرة فى الأسبوع أو كل شهر ؟

قال الرجل : لا ، لأن المتزوجة لا تتعرض لميكروب خبيث أبداً ، وإذا تعرضتْ له فلا بُدَّ أن زوجها قد جاء به من فعل جنسى خارج البيت ، ذلك أن الميكروب لا ينتقل إلا بتعدُّد المرأة على عدد من الرجال ، وقد ينتقل من رجل فعلَ فاحشةً إلى زوجته .

إذن : فقد صدق الله خَلْقه حين أباح للرجل أن يُعدِّد بشروط العدالة ، والتى منها كفالة المرأة ورعايتها وحفْظ كرامتها .. إلى آخر ما اشترط الشَّرع عليه من العدل بين الزوجات ، ولم يُبح الإسلام التعدُّدَ للمرأة ؛ لأن فيه مهانةً لها وأمراضاً لا نهايةَ لها تُصيب المجتمع .

◻ معنى العدل المشروط لتعدد الزوجات :

س : ما هو المراد بالعدل المذكور فى قوله تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ .. (١٢٩)﴾ [النساء]

ج : العدل المراد فى التعدُّد هو القِسْمة السَّوية فى المكان ، أى : أن لكل واحدة من المتعدِّدات مكاناً يُسَاوى مكان الأخرى ، وفى الزمان ، وفى متاع المكان ، وفيما يخصُّ الرجل من متاع نفسه .

فليس له أنْ يجعلَ شيئاً له قيمة عند واحدة ، وشيئاً لا قيمة له عند واحدة أخرى ، يأتى مثلاً ببجامة «منامة» صوف ، ويضعها عند واحدة ، ويأتى بأخرى من قماش أقلّ جودة ويضعها عند واحدة .

لا ، لا بُدَّ من المساواة ، لا فى متاعها فقط ، بل متاعك أنت الذى تتمتع به عندها ، حتى أن بعض المسلمين الأوائل كان يساوى بينهن فى النِّعال التى يلبسها فى بيته ، فيأتى بها من لَوْن واحد ، وشكل واحد ، وصِنْف واحد .

وذلك حتى لا تُدلّ واحدة منهن على الأخرى قائلة : إن زوجى يكون عندى أحسن هنداماً منه عندك .

والعدالة المطلوبة ـ أيضاً ـ هى العدالة فيما يدخل فى اختيار الزوج ، لأن العدالة التى لا تدخل فى اختياره لا يُكلّف الله بها ، فهو قد عدل فى المكان وفى الزمان ، وفى المتاع لكل واحدة ، وفى المتاع لك عند كل واحدة ، ولكن لا يطلب الله منك أن تعدل بميْل قلبك وحُبِّ نفسك ، لأن ذلك ليس فى مُكْنتك .

والرسول ﷺ يُعطينا هذا ، فيقول : «اللهم هذا قَسْمى فيما أملك ، فلا تَلُمْنى فيما تملك ولا أملك»(1).

إذن : فهذا معنى قول الحق سبحانه :

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ .. (١٢٩)﴾ [النساء]

لأن هناك أشياء لا تدخلُ فى قُدْرتك ، ولا تدخل فى اختيارك ، كأن ترتاحَ نفسياً عند واحدة ، ولا ترتاح نفسياً عند أخرى ، أو ترتاح جنسياً عند واحدة ولا ترتاح عند أخرى .

لكن الأمر الظاهر للكُلِّ يجب أن تكونَ فيه القسمة بالسوية حتى لا تُدلّ واحدة على واحدة .

---

(1) أخرجه أبو داود فى سننه (٢١٣٤) ، والدارمى فى سننه (٢ / ١٤٤) ، والترمذى فى سننه (١١٤٠) ، وابن ماجة فى سننه (١٩٧١) وأحمد فى مسنده (٦/ ١٤٤) . قال الترمذى : يعنى به الحب والمودة ، كذلك فسره أهل العلم .

وإذا كان هذا فى النسـاء المتعدِّدات ـ وهُنَّ عـوارض ـ حيث من الممكن أن يخرج الرجـل عن أىِّ امـرأة ـ بطلاق أو فِـراق ـ فمـا بالك بأولادهـا منه ؟ لا بُدَّ أيضاً من العدالة .

والذى يُفسـد جَوَّ الحكم المنهـجى لله أن أُناساً يجـدون رجلاً عَدَّدَ ، فـأخذ إباحةَ الله فى التعَدُّد ، ثم لم يعدل ، فوجدوا أبناءه من واحدة مُهْملين مُشرَّدين ، فيأخذون من ذلك حُجة على الإسلام .

والذين حاولوا أنْ يفعلوا ما فعلوا فى قـوانين الأحوال الشخصية إنما نظروا إلى ذلك التبـايُن الشديد الذى يُحدِثه بعض الآباء الحَمْقى نتيجة تفـضيل أبناءِ واحدة على أخرى فى المأكل والملبس والتعليم .

التعدد ضرورة أحياناً :

س : زوجى يرغب فى الزواج من امرأة أخرى ، وأنا أعارضه فى ذلك ، وثارت بيننا المشاكل بسبب هذا الأمر ، وهو قادر على العدل ، فما رأى فضيلتكم فى هذا ؟

ج : هذه المسـألة من المسـائل التى تتعـرَّض لهـا الأسرة ، وربُّهـا الرجل ، فَهَبْ أن رجلاً لـه رغبة فى هذا أيّاً كانت الأسـباب ، وأراد أن يستعـمل رُخْصة رخَّصها الله دون الإضرار بزوجته الأولى وأولاده منها ، مع العدل والقدرة على الإنفاق ، فماذا فى هذا ؟

فماذا يكون الموقف إذا رفضتْ زوجته هذا ؟

أمن الأحسن أنْ يُطلِّقهـا ويُسرِّحـها ، أم تظـل عنده ويأتى بامرأة تسـتطيع نفسُه أن ترتاحَ معها ؟ أو يُطلق غرائزه فى أعراض الناس ؟

إن الحق حينمـا شرَّع ، إنما شَـرَّع ديناً متكامـلاً ، لا نأخذ منه حكمـاً ونترك

حكماً آخر ، وهناك بعض الدول تكلمت عن إباحة التعدد ، لا لأن الإسلام قال به ، ولكن لأن ظروفهم الاجتماعية حكمتْ عليهم أنه لا يحلُّ مشاكلهم إلا هذا ، حتى يُنْهوا مسألة الخليلات ، والخليلات هُنَّ اللاتى يذهب إليهنّ الرجال ليهتكُوا أعراضهُنّ ، ويأتوا منهُن بلُقطاء ليس لهم أبٌ .

إن من الخير أن تكونَ المرأة الثانية امرأةً واضحةً فى المجتمع ، ومسألة زواج الرجل منها معروفة للجميع ، ويتحمّل هو عبْء الأسرة كلها .

◘ أسباب تعدد الزوجات :

س: هل البحث عن اللذة يعتبر هو السبب الوحيد للرجل لأن يعدد زوجاته ؟

ج : يفسر البعض زواج الرجل من أكثر من واحدة بأنه باحث عن اللذة ، مع أن هذا الرأى غير صائب ، فللزواج من أكثر من امرأة مبررات ، منها :

- من الزوجات من تتعامل مع زوجها بجفاء وكبرياء ، وهى بهذا تدفع زوجها للبحث عن أخرى أجمل وأفضل ، وعصرنا قد سهَّل للرجل التعرف على المرأة الأخرى ، فيجد فى المرأة الثانية مالم يجده فى السابقة ، فيتزوجها.

- وهناك نساء زوجات يطلبن من أزواجهن الزواج بأخرى إذا رأت أن الزوجة الثانية ستوفر عليها أعباء لا تقدر عليها مع زوجها ، والرجل ينفذ فى الحال .

- وقد يتزوج الرجل على زوجته لولعه بالعزوة فى كثرة الأولاد ، أو لأن زوجته لا تكفيه فيما يطلب من النساء .

- والرجل قد يتزوج على زوجته إحدى قريباته اللاتى لم يتزوجن ليرعاها،

حتى لا تسلك سلوكاً سيئاً قد يسيء إليه هو شخصياً .

- وقد يتزوج الرجل بامرأته التى طلقها ، فيعيدها إلى عصمته لتربية الأولاد، حتى لا يواجهوا الحياة بلا أبوين ، أو بأم فقط ، أو بأب مع زوجته .

- وقد يتزوج الرجل على زوجته لعقمها ، حيث لم يتحقق التناسل بسبب عيب فيها ، أو بسبب مرض حال دون لقائها بزوجها .

وكثير من الزوجات أصحاب هذه الحالات يطلبن إلى الزوج أن يتزوج لتحقيق وجوده بأبناء يحملون اسمه من بعده ، كما يقضى حاجته مع زوجة غير مريضة ، ويكون هذا برضاها ، على أن تظل زوجته العقيم أو المريضة تحت عينه ورعايته .

إلا إذا أرادت زوجته الانفصال فيحقق لها ذلك ، على أن يعطيها كل حقوقها ، وإن زاد فيها أكرمه الله ؛ لأن العقم ليس بيدها ، والمرض ليس بيدها، لكن كل شيء مقدر من عند الله .

- وقد يتزوج الرجل امرأة أخرى غير زوجته ؛ لأنه وقع فى قلبه حبها ، وهذا الحب لا حيلة له فيه ، فيتوجه بالزواج ممن أحب بدلاً من ارتكاب فاحشة .

- كما أن كراهية الزوج لزوجته تعطيه الفرصة للزواج من أخرى ، وقد تكون المرأة المكروهة من زوجها مظلومة ، وقد تكون الظروف هى التى أوجدت ذلك .

- وقد يتزوج الرجل من امرأة غير زوجته ، إذا كثر عدد العوانس ، حتى لا يسبب الأزمة النفسية للعانس ، ومن ثم الأزمة الأخلاقية للمجتمع إذا ما انحرفت ، فهو هنا يتزوج العانس ليحميها ويحمى مجتمعه من الانهيار

الأخلاقي ، وهذا سبب عام ، وليس سبباً خاصاً للرجل . ومن الأسباب العامة أيضاً زواج الرجل من المرأة الأخرى ، التي فقدت زوجها في الحروب حتى يحميها من نفسها ويحمي مجتمعها من تصرفاتها إذا ما خرجت للسعي إلى الرزق لتربية أولادها من زوجها الراحل .

ففي ذلك حماية لها وصيانة وتربية لأولادها ، وبالتالي حماية للمجتمع من الشرور التي قد تنتج عن ترميل النساء بسبب الحروب .

◻ زواج المتعة :

س : هل زواج المتعة حلال أم حرام ؟

ج : إن التقييد من حماقات الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : «ألاَ إنِّي قد كنتُ أبَحْتُ لكم زواج المتعة ، وإني أنهاكم عنه »[1] .

لا أدخل هنا في أنه يصحُّ عندهم النسْخ أم لا يصح ، ولكن زواج المتعة حُمْق ممَّنْ يفعله ؛ وجَهْل يحقّ فيه للإنسان أنْ يُطلِّق متى يشاء .

ومَنْ جعل النية مجرد الاستمتاع على غير نيّة الدوام ؟

ومَنْ قال إن الرجل حين يتزوج زواجاً غير مشروط بزمن أنْ يأتيَ أيُّ زمن ينفصل فيه عَمَّن تزوَّج ؟

وإذا كان ذلك مُريحاً للرجل ، ومُخرِجاً له منْ عَنَت ظروفه ، فكيف تقبل المرأة أنْ تكونَ متعةً موقوتةً على نِيّة الراغب فيها ، يُحدّد وقت الرغب عنها والزُّهْد فيها ؟

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (١٤٠٦) النكاح (٢١) ، والدارمي في سننه (٢/ ١٤٠) من حديث سبرة الجهني ولفظه : « يا أيها الناس ، إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » .

فالعِلّة فى تحريم زواج المتعة أن المقدِمَ عليه لا يريد به الاستمرار فى الحياة الزوجية ، وما دام لا يقصد منه الديمومة فمعناه أنه هدف للمتعة الطارئة.

والذين يبيحون زواج المتعة مُصَابُون فى تفكيرهم ؛ لأنهم يتناسَوْنَ عنصر الإقبال بديمومة على الزواج ، فما الداعى لأنْ تُقَيّد زواجك بمدة ؟ إن النكاح الأصيل لا يُقَيَّد بمثل هذه المدة ، وتأمَّل حُمْق هؤلاء لتعلمَ أن المسألة ليست مسألة زواج ، إنما المسألة تبرير زنا ، وإلا لماذا يُشْترط فى زواج المتعة أنْ يتزوجها لمدة شهر أو أكثر ؟

إن الإنسان حين يشترط تقييد الزواج بمدة ، فذلك دليل على غباء تفكيره وسُوء نيّته ، لأن الزواج الأصيل هو الذى يدخل فيه بديمومة ، وقد يُنهيه بعد ساعة إنْ وجدَ أن الأمر يستحقُّ ذلك ، ولن يعترض أحدٌ على مثل هذا السلوك ، فلماذا تُقيد نفسك بمدة ؟

إن المتزوِّج للمتعة يستخدم الذكاء فى غير مَحلهِ ، قد يكون ذكياً فى ناحية ، ولكنه قليلُ الفطْنة فى ناحية أخرى .

حَذَارِ أنْ تضعَ نفسك فى مثل هذا الزواج المربوط على مطامع وأهداف فى نفسك ، كعدم الديمومة أو لهدف المتعة فقط ، اصرف كُلَّ هذه الأفكار عنك ؛ لأنك إنْ أردتَ شيئاً غير الديمومة فى الزواج وإرادة الإعفاف ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه وسيردُّ تفكيرك نقمةً عليك فاحذرْهُ .

◘ الزواج العرفى :

س : ما هو الزواج العرفى ؟ وما رأى الإسلام فيه ؟

ج : الزواج العرفى هو الزواج الذى يشهده الشهود ، ويتم بإيجاب

وقبول ، ولكنه لا يُكتب فى الوثيقة الرسمية التى بيد المأذون ، وهو عقد صحيح مُسْتكمل الأركان والشروط ، ولا حُرْمة فيه .

لكنه زواجٌ ينقصه الإثبات الرسمى أمام المحاكم عند اللزوم حِفْظاً للأُسَر ، وصيانةً للحياة الزوجية ، فكثير من الناس يفقدون ضمائرهم ، وينكرون هذا الزواج ، وتعجز الزوجة عن إثباته ، فتضيع حقوقها ، وقد يضيع نَسَبُ الأولاد.

وهو زواج شرعىّ ، ولكن بشرط ألاَّ يفقد العلنية ، وألاَّ يشترط فيه ألاَّ يُذَاع ، لأن فى ذلك حمايةً لوقوع الناس فى أعراض مَنْ يتزوجون عُرْفياً .

والقانون الوضعى هو الذى حدَّد فقط الزواج الرسمى حتى يستطيع أنْ يُرتِّب عليه حقوقاً ، ولذلك حكم بالنسب وإنْ لم يكُنْ الزواج رسمياً .

الأرملة المتزوجة عرفياً .. والمعاش :

س : ما موقف الإسلام من امرأة توفى زوجها ، وتأخذ معاش زوجها المتوفى .. ولكنها تزوجت عرفياً حتى لا ينقطع المعاش ؟

ج : أنا لا أعذر النساء اللائى يتقاضين معاشاً من زوج ترملت عليه ، وتفكر فى زواج يسمى بالزواج العرفى ، حتى لا تحرم نفسها من معاش زوج مات .

فهى حينما تقبل ذلك فهى آثمة فى حق زوجها الذى مات عنها ، ومجرمة فى حق نفسها ، إذ إنها استباحت لنفسها أن يصرف عليها رجلان : أحدهما ميت ، والآخر ميت بين أحضانها ، إن كان يصرف عليها .

أما إذا كان طامعاً فى مالها ومعاشها من زوجها الميت فحرام عليها أن

تصرف مال الذى مات عنها ، على رجل ما زال عليها يطمع فى مالها الذى استحلته .

ولا عذر لرجل يقبل على مثل هذه الزوجة التى لم تحترم زوجاً مات عنها، فلن تكون مثل هذه المرأة مخلصة له ، فإخلاصها لشهوتها المادية التى تستمتع بها مع زوج رضى بها .

ومثل هذه المرأة تكون مادية فى كل شىء ، وعطاؤها لن يكون كاملاً أبداً، علاوة على أن الرجل الذى يتزوج مثل هذه المرأة لن يثق فيها لحظة واحدة .

والدليل بالمحاكم ، حينما تلد المرأة بهذا الشكل ، وينكر زوجها نسب طفله ، ويظل الطفل فى حيرة لا يعرف له أباً ، فالأب والأم فعلا مصيبة باسم الزواج العرفى ، وأهديا المجتمع كارثة جديدة ، قد تكون فى خصام مع نفسها إلى أن تخاصم المجتمع .

فتكثر آهات المجتمع من هذه الزيجة الفاشلة التى لم تعلن ، واكتسبت السرية فيها رغم كل شىء قمة المادية التى تهين المرأة ، رغم وجود شاهدين على عقد ، قد يمزقه الرجل فى لحظة فينتهى الزواج ، وتبحث المرأة عن زوج آخر ، وتكون بذلك قد أهانت نفسها إهانة لا يقبلها الخالق الذى أعاد بالإسلام للمرأة كيانها وكرامتها وتأتى هى بشهوتها ونزوتها، وتحط من نفسها ومن قدرها وقيمتها ، فتلقى جزاءها من سوء عملها المزرى .

والذى أعرفه الآن أن الزواج العرفى منتشر بين كثيرين لهم ظروف متشابهة مع المثل الذى ضربناه ، وهذا زواج سرى ، والزواج مهما كان له شهوده ، وضربت عليه السرية ، فهو فى حكم الزنى للطرفين ، والزنا معروفة عواقبه من إثمه .

▫ زواج الطلبة والطالبات عرفياً :

س : انتشر بين الطلبة والطالبات ظاهرة الزواج عرفياً ، فما رأى فضيلتكم فى هذه الظاهرة التى توشك أن تهدم أصول الأخلاق فى المجتمع ؟

ج : هذه كارثة من الكوارث ، وهى كارثة بكل ما تحمل من معنى ، فليس هذا زواجاً بل دعارة لقضاء الحاجة بين الطلاب الذين لا يملكون من أمر عواطفهم الجياشة فى مثل هذا العمر شيئاً ، سوى الانسياق وراء ورقة الزواج العرفى ، التى يعتبرونها صك النزوة لقضاء الشهوة .

وهذا بدليل أن طالبات حملن وهرب منهن الطلاب الأزواج ، إذ كيف لهذا الطالب الذى ما زال لا يتحمل مسئولية نفسه أن يتحمل مسئولية زوجة وطفل ، فأمه وأبوه ما زالا يصرفان عليه ، وتقف الزوجة الطالبة الحامل فى موقف لا تُحسد عليه من احتقار لنفسها ، وإهانة بالغة لها ولأسرتها ، فتنتحر ، والحوادث كثيرة ومعروفة فى هذا المجال .

ولا آخذ إلا على الأبوين والمدرسة أنهم لم يزرعوا فى نفوس الطلاب الوازع الدينى الذى يمنع الأبناء من ارتكاب هذه الفاحشة التى تندرج تحت جريمة الزنا .

▫ تعلّق قلب الزوجة بغير زوجها ؟

س : تزوجت امرأةٌ شاباً صالحاً يُحبها ، ولكنها مُضطربةُ المشاعر نحوه ، فهى دائمةُ المقارنة بينه وبين غيره من الشباب ، وهى فى حيرة من أمرها ، ولكنها تحتقر نفسها بسبب هذا ، فبماذا تنصحها ؟

ج : كفَاهَا عذاباً أنْ تحـتقرَ نفسها ، وقد حكمتْ هـى بذلك على تصرُّفها الخـاطئ ، ولو قُلْنا نحن لهـا ذلك ، وحكَمْنا عليهـا بما حكمَتْ به على نفسـهـا لكان حُكْماً من الغـير عليهـا ، ولكن كونها حكمتْ هى بنفسـها على نفسـها ، فإنها حينئذٍ ليستْ فى حاجة لحُكْم الغير على هذا التصرُّف المشين .

وليستْ هذه المسألةُ مجردَ قُبْح دينىّ ، فحتى لو لم يكُنْ للإنسان دين لكانَ هذا تصرفاً قبيحاً .

ويجب أن تنتبه هذه المرأة إلى أمر هَامّ ، وهو أنهـا إنْ لم تُحب زوجها فإن الحبَّ بين النـاس نسبـىّ ، ولا تقنينَ له ، ولكن عـليـهــا أنْ تُفــرّق بين الحب والاحترام ، فالمطلوب منها إنْ لم يَمل قلبُها مع زوجها عاطفياً فعليها أنْ تحترمه فى العقد الـذى أحلَّها له ، فإنْ لم تستطع ذلك ، فـمن اليقين الإيمانى أن تطلب منه أنْ يُسرِّحها ، بدلاً من أنْ تعيشَ معه مُزْدوجة العواطف .

خيانة الزوج لزوجته :

س : هل أغفر خيانة زوجى ولا أتكلم ؟

ج : يجب أنْ تعرفى أنك لا تملكين المغفرة ، فـقبل أنْ يخونَ الزوج زوجته فإنه يخونُ الله ، فهذه مسألة بين الإنسان وربِّه ، ولا شأنَ للعاطفة فيها .

وإذا حدث ما تقولين فإن إشاعةَ ما حدث من الخيانة إثمٌ فى ذاته ، فلو أن الزوجةَ أشاعتْ ما حدث من زوجها بين الناس أو بين الأسرة تكون آثمـةً لذلك ، لأنهـا تعطى القدوة السيئة لمن يـسمع بها ، وعـليها أنْ تسكـتَ وتتركَ

حساب الرجل إلى ربه [١].

اللعان بين الزوجين :

س : ما معنى اللعان بين الزوجين فى الشريعة الإسلامية ؟

ج : اللعان هو ما يحدث عندما يرمى الزوج زوجته بتهمة الزنا ، ولا شهودَ عنده إلا نفسه ، فيشهد أربعَ شهادات بالله : إنه من الصادقين . والخامسة يقول فيها : لعنة الله عليّ إنْ كنتُ كذبت .

وفى هذه الحالة : ماذا يكون موقف المرأة ؟ هل تثبت عليها تهمة الزنا بذلك ؟

إذا سكتتْ على قَسَم زوجها يكون الزنا قد ثبتَ عليها ، ولكن إذا شهدتْ بالله العظيم أربع شهادات ، وفى الخامسة تقول : غضب الله عليّ إنْ كان من الصادقين ، فتكون قد دفعتْ عن نفسها التهمة ، إلا أنه لا تستقرّ الحياة بينهما ، ويُفرَّق بينهما بما يُسمَّى «تفريق اللعان» ، وينتهى الأمر بينهما ، وحسابهما على الله .

وقد نزلتْ آية اللعان عندما سأل أحد الصحابة[٢] رسول الله ﷺ قائلاً : إذا دخلتُ على أهلى ووجدتُ رجلاً معهم ، أأتركه حتى آتىَ بأربعة شهداء يشهدون ؟

---

(١) بعض النساء يعتبرن زواج رجالهن بامرأة أخرى خيانة لهن لا تغتفر ويساوين بينه وبين من يرتكب الفاحشة دون زواج ، وهذا إما لجهلهن بأن تعدد الزوجات أمر أباحه الله ، وإما لأنهن يتبعن أهواءهن ولا يرضين بحكم الله وحكم الشرع فى هذه النقطة بالذات وإن كن يتشدقن باتباعه فى أمور أخرى ، ولكن عندما يصلن إلى محك الاختبار فى هذه النقطة تجدهن غير ملتزمات بحكم الله .

(٢) هو سعد بن عبادة الأنصارى . قال ابن عباس : لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴿٤﴾﴾ [النور] قال سعد بن عبادة : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ فقالوا : =

فأنزل الله آية اللعان :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ⑥ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ⑦ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ⑧ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑨﴾ [النور]

ونلاحظ أن الرجل يدعو على نفسه بلعنة الله إنْ كان كاذباً بينما تدعو المرأة على نفسها بغضب الله إنْ كان زوجها صادقاً ، وهذا لأن اتهام المرأة بالزنا أفظع من اتهام الرجل به ، لأن زنا المرأة ينتج عنه اختلاط الأنساب[1] .

زواج البدل :

س : ما رأى فضيلتكم فى رجلين يريد كل منهم أن يتزوج أخت الآخر ؟

ج : من حُسْن العقل وبُعْد النظر ألاَّ ندخل المتابلات فى الزواج ، أو ما يُسمّى بـ «زواج البدل» ، حيث يتبادل رجلان الزواج ، يتزوج كُلٌّ منهما أختَ الآخر مثلاً ، فإذا حدث الخلاف فى شىء حدث ضرورة فى مُقابله ، وإنْ كان الوِفَاق سائداً .

= يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور ، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته . فقال سعد : والله يا رسول الله إنى لأعلم إنها لحق وأنها من الله، ولكنى قد تعجبت أنى لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء ، فوالله إنى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته » فنزلت آية اللعان بعد اتهام هلال بن أمية امرأته لرسول الله ﷺ . أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٣٨) .

(١) وقد حدث هذا مع هلال بن أمية ، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ وذكر له ما حدث ، فنزلت الآية ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ.. ⑥﴾ [النور] فقال ﷺ : أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً . فكان اللعان بين هلال وامرأته .

أحكام الرضاعة

الرَّضاع يُحرِّم الزواج :

س : لماذا يحرم الرضاع الزواج ؟

ج : لأن الأم بالإرضاع كوَّنَتْ خلايا فيمَنْ أرضعته ، وما دامتْ قد كَوَّنت خلايا فيمَنْ أرضعته ففيه بِضْع منها ، وما دام قد وُجِد فى الابن بِضْع من الأم التى أرضعته فلهذا البضع حُرْمة الأمومة .

لكن العلماء تساءلوا : أىُّ رضاعة هى التى تُحرِّم الزواج ؟

قالوا : إنها الرضاعة التى يغلب على الظن أنها تُنْشِئ خلايا ، لكن إنْ كانت مجرَّد رَشْفة أو رَشْفتين ، ومَصَّة أو مَصَّتَين من ثدى المرأة التى ترضع لا تمنع الزواج .

لكن أبا حنيفة قال : لا مصَّة واحدة أو مصَّتان ، إن مجرد رضاعة الطفل من امرأة فإنها تَحْرُم عليه .

وبعضُ المحقِّقين قالوا : يجب أن تكون خَمْس رضعات مُشْبِعات أى أنْ يرضعَ الطفلُ من المرأة يَوْماً وليلة ويكتفى بها ، ويكون ذلك مشروطاً حدوثُه فى مدة الرضاعة ، وهى بنصٍّ القرآن سنتان . قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ .. (٢٣٣) ﴾ [البقرة]

▫ الرضاع .. والنسب :

س: ما معنى قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[1]» ؟

ج : المحرّم من الرضاع هو : الأم من الرضاع ، والبنت من الرضاع ، والأخت من الرضاع ، والعمة من الرضاع ، والخالة من الرضاع .

وهكذا نرى أنها عملية مُتشعِّبة تحتاج من كل أسرة إلى اليقظة ، لأننا حين نرى أن بركة الله لا تحوم حول كثير من البيوت لابُدَّ أن ندرك لها أسباباً ، أسباب البُعْد عن استقبال البركة من الله .

فالإرسال الإلهيّ مستمر ، ونحن نريد أجهزةَ استقبال حساسة تُحسن الاستقبال ، فإذا كانت أجهزة الاستقبال خربة ، والإرسال مستمراً فلن يستفيد أحدٌ من الإرسال ، وهَبْ أن محطة الإذاعة تذيع ، لكن المذياع خَرِب ، فكيف يصل الإرسال للناس ؟

إذن : فَمددُ الله وبركاتُ الله المتنزِّلة موجودة دائماً ، ويوجد أناس لا يأخذون هذه البركات ؛ لأن أجهزةَ استقبالها ليست سليمة ، وأول جهاز لاستقبال البركة أن البيت يُبنى على حِلٍّ في كل شيء .

وكثير من الناس يدخلون في الحُرْمة وإنْ لم يكُنْ بقصد ، وهذا ناشئ من الهَوَسِ والاختلاط والفوضى في شأن الرضاعة ، والناس يُرضِعون أبناءهم هكذا دون ضابط وليس الحكم في بالهم .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٥، ٣٣٩) ، والطبراني في معجمه الكبير (١٢ / ١٨١) من حديث ابن عباس ﷺ. وعند البخاري (٥٠٩٩) ومسلم (١٤٤٤) من حديث عائشة ﷺ بلفظ : « يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة » .

وبعد ذلك نقول لهم : يا قوم أنتم احْتطتم لأولادكم فيما يؤدى إلى سلامة بِنْيتهم ، فكان لكل ولد مَلَفّ فيه : شهادة الميلاد ، مواعيد تلقِّى التطعيمات ضد الدِّفتريا وشلل الأطفال ، وغير ذلك .

فلماذا ، يا أسرة الإسلام لا تضعون ورقة فى هذا الملف لتضمنوا سلامة أسركم ، ويُكتب فى تلك الورقة : مَن الذى أرضع الطفل غير أمه ؟ وساعةَ يأتى للزواج نقول : يا مُوثِّق هذا ملفه إنه رضع من فلانة . فى هذا الملف تُدرَجُ أسماء النساء اللاتى رَضَع منهن .

فنبنى بذلك أسرة جديدة على أُسس إيمانية سليمة ، بدلاً من أنْ نفاجئ رجلاً تزوَّج امرأة ، وعاشَا معاً وأنجبا ، وبعد ذلك يتبين أنهما رَضَعا معاً .

وبذلك تصير المسألة إلى إشكال شرعىٍّ ، وإشكال مدنى ، وإشكال اجتماعى ناشئ من أن الناسَ لم تُعدّ لمنهجها الإيمانى ما أعدته لمنهجها المادى .

إذنْ : فلا بُدَّ من التزام كل أسرة أنْ تأتى فى ملف ابنها أو بنتها وتضع ورقة فيها أسماء مَنْ رضع منهن المولود .

وعلى كل حال ، لم تَعُدْ هناك الآن ضرورة أنْ نأتىَ بمرضعة للأولاد ، فاللبن الجاف من الحيوانات يكفى ويؤدى المهمة ، وصرْنا لا ندخل فى المتاهة التى قد تؤدى بنَا فى المستقبل إلى أن الإنسان يتزوَّج أخته من الرضاعة أو أمه من الرضاعة ، أو أى شىء من ذلك .

وبعد ذلك تمتنع بركة الله من أنْ تمتد إلى هذه الأسرة .

ولذلك قال تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ .. (٢٣)﴾

[النساء]

***

أحكام الطلاق

الطلاق والزواج :

س : مع صعوبة الزواج ومشقات تكاليفه ومقتضياته ومستلزماته ، إلا أننا نجد الطلاق أسهلَ الوسائل كعلاج للمشاكل المستعصية للأسرة فى المجتمع ، فما سبب ذلك يا تُرى ؟

ج : الإسلام دينٌ واقعى ، ولذلك عندما نتأمل موقفه من الطلاق نجده يتكلم كلاماً واقعياً يناسب الميول الإنسانية ، لأننا ما دُمْنا أغياراً فمن الممكن أنْ يطرأ على حياة الزوجيْن أحداثٌ أو مشاعر لم تكُنْ فى الحسبان ساعةَ الزواج .

وبعد ذلك عندما يجىء واقع الحياة تتملكه مَلَكاتٌ متعددة ، وقد تُسيطر عليه المسألة الجنسية ، فيدفعه هذا للزواج ، وفى سبيل إرضاء شهوته الجنسية قد يُهمل بقية مَلَكات نفسه ، فإذا دخل واقع الزواج وهدأتْ شِرَّة وحرارة غرائز الإنسان تنبه نفس الإنسان إلى مقاييس أخرى يريد أن يراها فى زوجته فلا يجدها ، ويتساءل ما الذى أخفاها عنه ؟

أخفاها سُعَارُ وعرامة النظرة الجنسية ، فقد نظر للمرأة قبل الزواج من زاوية واحدة ، ولم ينظر لباقى الجوانب .

مثلاً ، قد يجد الزوج أن أخلاق الزوجة تتنافر مع أخلاقه ، وقد يجد تفكيرها وثقافتها تتنافر مع تفكيره وثقافته ، وربما وجد عدم التوافق العاطفى

بينه وبينها ، ولم يحدث تآلف نفسى بينهما ، والعواطف ـ كما نعلم ـ ليس لها قوانين .

فمن الجائز أنْ يكونَ الرجل غيرَ قادر على الاكتفاء بوليمة جنسية واحدة ، فهو لذلك لا يبنى حياته على الطُّهْر ، وإنما يريد من امرأته أن تكون طاهرة عفيفة فى حياتها معه ، بينما يعطى لنفسه الحرية فى أنْ يُعدِّدَ ولائمه الجنسية مع أكثر من امرأة ، وربما يحدث العكس ، وذلك أنْ يجدَ الرجلُ أن امرأة واحدةً تكفيه ، لكن المرأة تريد أكثر من رجل .

وقد يكون الرجل طاهر الأسلوب فى الحياة ، وتكون زوجته راغبةً فى أنْ يأتيها بالمال من أىِّ طريق ، فيختلفان ، وقد تكون المرأةُ طاهرةَ الأسلوب فى الحياة ، فلا ترضى أنْ يتكسَّب زوجها من مال حرام .

من هنا يأتى الشِّقاق ، إن الشِّقاق يأتى عندما يريد أحد الزوجين أن تكون حياتهما نظيفةً طاهرة ، مُسْتقيمة ، ولا يرى الآخر ذلك ، مثل هذه الصورة موجودة فى الواقع حولنا ، فكم من بُيوت تَشْقى عندما تختفى الوَحْدة الأسرية ، وتختلف نظرة أحد الزوجين للأمور عن الآخر .

وهذا هو سبب الشقاء الذى يحدث بين الزوجين عندما لا يكتفى أحد الزوجين بصاحبه ، ولو اتفق رجل وامرأته على العفاف والطُّهر والخيرية لاستقامتْ أمورُ حياتهما .

المشاكل الزوجية وتدخُّل طرف ثالث :

س : زوجى دائم الشجار والخلاف معى ، ومما يُزيد الخلاف ولا يدع فرصة للاتفاق هو تدخُّل أهلى وأهله فى الخلاف ، فما رأى فضيلتكم ؟

ج : الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يحصرَ مناقشة الأسباب فى الانفصال أو الاستمرار بين الزوج والزوجة فقط ، فلا تتعدى إلى غير الزوج والزوجة ؛ لأن بين الاثنين من الأسباب ما قد يجعل الواحد منهما يُلين جانبه للآخر .

لكن إذا ما دخل طرف ثالث ليست عنده هذه ، فسوف تكبر فى نفسه الخصومة ، ولا توجد عنده الحاجة فلا يُبقى على عِشْرة الزوجين .

فإذا ما دخل الأب أو الأخ أو الأم فى النزاع فسوف تشتعل الخصومة ، وكُلٌّ منهم لا يشعر بإحساس كُلٍّ من الزوجين للآخر ، ولا بلُيونة الزوج لزوجته ، ولا بمهادنة الزوجة لزوجها .

فهذه مسائل عاطفية ونفسية لا توجد إلا بين الزوج والزوجة ، أما الأطراف الخارجية فلا يربطها بالزوج ولا بالزوجة إلا صِلَة القرابة . ومن هنا فإن حِرْص تلك الأطراف الخارجية على بقاء عِشْرة الزوجين لا يكون مثل حِرْص كُلٍّ من الزوجين على التمسك بالآخر .

ولذلك يجب أن نفهمَ أن كلَّ مشكلة تحدث بين زوج وزوجته ، ولا يتدخَّل فيها أحد تنتهى بسرعة بدون أم أو أب أو أخ ، ذلك لأنه تدخُّل طَرَف خارجى لا يكون مالكاً للدوافع العاطفية والنفسية التى بين الزوجين .

أما الزوجان فقد تكفى نظرةٌ واحدة من أحدهما للآخر لأنْ تُعيدَ الأمور إلى مجاريها ، فقد يُعجب الرجلُ بجمال المرأة ويشتاق إليها ، فينسى كُلَّ شىء ، وقد ترى المرأةُ فى الرجل أمراً لا تحب أن تفقده منه ، فتنسى ما حدث بينهما ، وهكذا .

لكن أين ذلك من أُمها وأمه ، أو أبيها وأبيه ؟

ليس بين هؤلاء وبين الزوجين أسرار وعواطف ومعاشرة وغير ذلك .

ولهذا فأنا أنصح دائماً بأنْ يظلَّ الخلاف محصوراً بين الزوج والزوجة ، لأن الله قد جعل بينهما سيالاً عاطفياً ، والسيال العاطفى قد يسيل إلى نزوع ورغبة فى شىء ما ، وربما تكون هذه الرغبة هى التى تصلح وتجعل كلاً من الطرفين يتنازل عن الخصومة والطلاق .

◘ الطلاق الرجعى :

س : رجل طلق زوجته طلاقاً رجعياً ، فهل يشترط رضا الزوج في الرجوع إليه ، وكيف يحصل الرجوع بينهما ؟

ج : الزوج هو الذى يملك حَقَّ رَجْعة زوجته فى الطلاق الرَّجْعى ، من غير اعتبار رِضَاها ، ما دامتْ فى العدَّة ، لقوله تعالى :

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ[1] أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ .. (٢٢٨)﴾ [البقرة]

فلا حَقَّ لأحد هنا إلا للزوج ، فالردُّ خلال العدَّة من حَقِّ الزوج ، فليس للزوجة أنْ تقول : لا . وليس لوليِّ الزوجة أنْ يقولَ : لا .

فالزوج إذا أراد مراجعة زوجته وأَبَتْ وامتنعتْ هى وجب إيثار وتقديم رغبته على رغبتها ، وكان هو أحقّ منها ، ولا ينظر إلى قولها ، فإنه ليس لها فى هذا الأمر حَقّ فقد رضيتْ به أولاً .

أما إذا انتهتْ العدَّة فالصورة تختلف ، لا بُدّ من الولىّ ، ولا بُدَّ من عقد ومهر جديدين واشتراط موافقة الزوجة .

---

(١) البعول : جمع بعل ، وهو الزوج . (مختار الصحاح ـ مادة : بعل) والبعل والتبعل : حسن العشرة من الزوجين . والتباعل والبعال : ملاعبة المرء أهله . (لسان العرب – مادة : بعل).

والرَّجْعة تكون بالقَوْل أو بالفعل ، فإنْ قال لها : راجعتُك ، تمتْ المراجعة، وإنْ دخلَ بها أو كانت منه مقدمات الدخول فهو رَجْعة .

الطلاق الشفوى المتكرر :

س : لقد تكرَّر من زوجى إيقاع الطلاق عدة مرات ، وكان يردّنى دون أن يكتبَ ذلك ، وأنا فى حَيْرة من أمرى ، فأنا أشكُّ فى علاقتى به ، وقد تركت الصلاة لشعورى بأن وجودى معه فى بيت واحد حرام .. حرام ، فما رأى الدين فى ذلك ؟

ج : كتابة الطلاق أو المراجعة لا دَخْلَ له بالديانة ، فالكتابة أمر مدنى ، اشترطه القانون لقبول الدعوى ، ولكنّ هناك فَرْقاً بين الديانة والقضاء ، فأنت ديانةً مطلقةٌ بإيقاع يمين الطلاق دون كتابته ، وكذلك حين رَدَّكَ لم يكتب ذلك، ولكنك تُصبحين زوجة أمام القضاء .

ولشرح ذلك أقول : إذا كنتُ مديناً لشخص ما بمبلغ كتبتُ به وثيقة على نفسى «كمبيالة» ، وفى الطريق قابلتُه وأعطيتُه ماله عندى ، ولم يكُنْ معه الكمبيالة ، فلم آخذها منه ، حينئذ أكون ديانةً قد سددتُ ما علىّ من دين .

ولكن قضاءً يستطيع أنْ يُقدِّم الكمبيالة كمستند ضِدِّى ، فكأننى لم أُسدِّد له النقود قضاء ، ويحكم القاضى له باسترداد نقوده بما لديْه من مستند رغم سدادى له حقيقةً وديانةً .

وبذلك يمكنك معرفة إنْ كنتِ ما زلْتِ زوجة له أم أنك مطلقة ، بدون الاستناد إلى ما كتبَ ، ولكن إلى ما حدث شفاهةً أيضاً .

وهذه أمانةٌ تُحاسبين عليها ويُحاسب عليها زوجُك يوم القيامة ، وإنْ كان زوجُك قد طَلَّقك ثلاث مرات فاعلمى أن الله لن يجعل لك الخيْرَ فى الحياة معه ، فإنْ لم يستطعْ أنْ يحافظ على حياتك معه وهو يعلم أنه زَوْجُك أمام الله ، فمن باب أَوْلَى لا يمكنه ذلك ، وهو يعلم فى سريرته أنه لم يَعُدْ زَوْجاً لك أمام الله ، وإنْ كان كذلك أمام الناس .

المطلقات يتربَّصْن بأنفسهن ثلاثة قروء :

س : ما المقصود بـ (يتربصن) و (قروء) ، وما الحكمة الشرعية فى ذلك ؟

ج : قوله (يتربصن) أى : ينتظرْنَ . واللفظ هنا يناسب المقام تماماً ، فالمتربِّصة هى المطلقة ، ومعنى مطلقة أنها مَزْهُود فيها ، وتتربص : تنتظر انتهاء عدَّتها حتى تردَّ اعتبارها بصلاحيتها للزواج من زَوْج آخر .

وقَوْل الحق سبحانه : (ثلاثة قروء) ما المقصود به ؟

هل هو الحيْضة أو الطُّهْر ؟ إن المقصود به الطُّهْر . فثلاثة قروء هى ثلاثة أطهار مُتوالِيات . والعلَّة هى استبراء الرَّحم وإعطاء مُهْلة للزوجين فى أنْ يُراجعا نَفْسيهما ، فربما بعد الطُّهْر الأول أو الثانى يشتاق أحدهما للآخر ، فتعود المسائل لما كانت عليه ، لكنْ إذا مَرَّتْ ثلاثة أطهار فلا أملَ ولا رجاءَ فى الرُّجوع .

الإيلاء :

س : ما المقصود بالإيلاء ؟ وهل هو وسيلة لإذلال المرأة ؟ وما حدوده ؟

ج : يقول تعالى : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا[1] فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦)﴾ [البقرة]

يؤلون: أى يحلفون ألاَّ يقربوا أزواجهن فى العملية المخصوصة ، ويريد الرجل أحياناً أنْ يُؤدِّب زوجته فيهجرها فى الفراش بلا يمين ، وبدون أنْ يحلفَ ، ولكنّ بعضَ الناس لا يستطيعون الامتناع عن نسائهم من تِلْقاء أنفسهم ، فيحلفون ألاَّ يقربُوهن حتى يكون اليمين مانعاً ومُشجّعاً له على ذلك.

والله يعلم أن للنفس نوازعَ ومُتغيّرات ، ومن الجائز جداً أنْ يحدثَ خلافٌ بين الزوجيْن ، فيجعل الله سبحانه وتعالى مُتنفَّسًا يتنفَّس فيه الزوج للتأديب الذى ينشد التهذيب والإبقاء ، فشرع للرجل إنْ رأى فى امرأته إذلالاً له بجمالها وبحُسْنها ، وقد يكون رجل له مزاج خاصٌّ ورغبة جامحة فى هذه العملية ، لذلك شرع له فترة من الفترات أنْ يحلفَ ألاَّ يقربَ امرأته .

فَلَكَ أيُّها الزوج أنْ تحلفَ ألاَّ تقربَ زوجتك أربعة أشهر ، لكن إنْ زادتْ المدة على أربعة أشهر فهى لن تكون تأديباً بل إضراراً .

والخالق عز وجل يريد أنْ يُؤدِّب لا أنْ يضرّ ، فإذا ما تجاوزت المدة يكون الزوج مُتعدّياً ولا حَقَّ له .

س : زوجى حلف علىَّ ألاَّ يقربنى مدة أربعة شهور ، ولكن المدة مرت دون أنْ يقربنى ، فما العمل ؟ وهل له الحق فى ذلك ؟

---

(١) فاء : رجع . وذلك أن المُولِى حلف ألا يطأ امرأته ، فجعل الله مدة أربعة أشهر بعد إيلائه ، فإن جامعها فى الأربعة أشهر فقد فاء ، أى: رجع عما حلف عليه من ألا يجامعها ، إلى جماعها ، وعليه لحنثه كفارة يمين . (لسان العرب ـ مادة : فيأ) .

ج : إنْ رجع الرجل ، وأراد أنْ يقتربَ من زوجته قبل مُضى الأربعة أشهر ، فللرجل أنْ يُكفِّر[1] عن يمينه وتنتهى المسألة .

ولكن إذا مَرَّت الشهور الأربعة وتجاوزت المقاطعة مدتها يُؤْمَر الزوج بالرجوع عن اليمين أو بالطلاق ، فإن امتنعَ الزوج طَلَّقها الحاكم ، وقال بعض الفقهاء[2] : إن مُضِىّ مدة الأربعة أشهر دون أنْ يرجعَ ويَفىء يجعلها مُطَلَّقة طَلْقة واحدة بائنة .

والطَّلْقة فى الإيلاء بينونة صُغْرى ، وهى التى تحتاج إلى عقد ومهر جديدين ، هذا إذا لم يسبق طلاقان .

الطلاق ثلاثاً :

س : طلّقنى زوجى مرتين ، وفى كل مرة يندم ويعود ، ثم طلّقنى الطلقة الثالثة ، ويريد العودة إلىّ من أجل أولادنا ، فهل له هذا ، وهذه الطلقات الثلاث كانت تتم بدون حضور شهود ؟

---

(١) عن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل » أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢١٠٨) والترمذى فى سننه (١٥٣٠) والدارمى (٢/ ١٨٦) .

(٢) قال هذا الرأى : على وابن مسعود وعثمان وابن عباس وغيرهم . ومن الفقهاء أبو حنيفة . وهناك أقوال أخرى :

- تطلق بمضى الأربعة أشهر طلقة رجعية .
- لا يقع الطلاق بمجرد مضى الأربعة أشهر .

قال ابن كثير فى تفسيره (١/ ٢٦٨) فى تفسير الآية : «الذى عليه الجمهور من المتأخرين أن يوقف فيطالب إما بهذا وإما بهذا ولا يقع عليها بمجرد مضيها طلاق .. وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد.. وهو قول الليث وإسحاق بن راهويه وأبى عبيد وأبى ثور وداود وكل هؤلاء قالوا: إن لم يفئ ألزم بالطلاق ، فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم ، والطلقة تكون رجعية له رجعتها فى العدة» .

ج : لا لزوم للندم في مثل هذه الحالة ، فلقد أعطى الله لزوجك ثلاث فرص للرجوع ، ولكنه لم يحافظ عليها فعظمة التشريع فى أن الحقَّ سبحانه وزّع الطلاق على مرات حتى يراجع الإنسانُ نفسه ، فربما أخطأ فى المرة الأولى، فيُمسك فى المرة الثانية ويندم .

وكان الأَوْلَى بهذا الزوج أنْ يراجعَ نفسه ويُسيطر عليها ، قبلَ أنْ يتصرّف هذا التصرُّف الأحمق ، أمّا وقد وقع التصرُّف الأحمق بالفعل ، فلا يحقُّ له أنْ يعودَ إليك مرة أخرى إلا إذا تزوجتْ رجلاً غيره ، ثم طُلِّقتْ منه بصورة طبيعية أو مات عنها .

س : طلّق رجل امرأته ثلاثَ تطليقات جميعاً فى مجلس واحد وبشهادة الشهود ، فهل تحسب طلقة واحدة أم ثلاث تطليقات ؟

ج : إن الزمن شَرْط أساسيّ فى وقوع الطلاق ، يُطلِّق الرجلُ زوجته مرة ، ثم تمضى فترة من الزمن ، ويقع الطلاق بينهما مرة ثانية ، فتصبح طَلْقة ثانية ، وتمضى أيضاً فترة من الزمن ، وبعد ذلك نَصل لقوله تعالى :

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ .. (٢٢٩)﴾ [البقرة]

ولذلك فالآية نَصُّها واضح وصريح فى أن الطلاقَ بالثلاث فى لفظ واحد لا يُوقِع ثلاثَ طَلْقات ، وإنما هى طَلْقة واحدة ، صحيح أن سيدنا عمر ﷺ جعلها ثلاثَ طَلْقات ؛ لأن الناس استسهلوا المسألة ، فرأى أن يُشدّد عليهم ليكفُّوا ، لكنهم لم يَكفُّوا ، وبذلك نعود لأصل التشريع كما جاء فى القرآن ، وهو :

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ .. (٢٢٩)﴾ [البقرة]

وحكمة توزيع الطلاق على المرات الثلاث لا فى العبارة الواحدة ، أن الحق سبحانه يُعطى فُرْصة للتراجع ، وإعطاء الفرصة لا يأتى فى نَفَس واحد ، وفى جِلْسة واحدة ، إن الرجل الذى يقول لزوجته : أنت طالق ثلاثاً . لم يأخذ الفرصة ليراجعَ نفسه ، ولو اعتبرنا قَوْلته هذه ثلاث طَلَقات لتهدَّمتْ الحياة الزوجية بكلمة ، ولكانتْ عملية قَسْرية واحدة ، وليس فيها تأديبٌ أو إصلاحٌ أو تهذيبٌ .

❑ المحلل :

س : ما الرأى فيمن يتزوج امرأة بزعم أنه يُحللها لزوجها السابق الذى طلَّقها ثلاثَ مرات ويريد أنْ يراجعها دون أنْ يمسَّها المحلّل ؟

ج : أراد الحق سبحانه أنْ يُبيِّن لنا أنه إنْ وصلتْ الأمور بين الزوجين إلى مرحلة اللاعودة فلا بُدَّ من درس قَاسٍ ، فلا يمكن أنْ يرجعَ كُلٌّ منهما للآخر بسهولة ، لقد أمهلهما الله بتشريع البينونة الصُّغرى التى يعقبها مَهْر وعَقْد جديدان فلم يرتدعا .

فكان لا بُدَّ من البينونة الكبرى ، وهى أنْ تتزوجَ المرأة بزوج آخر ، وتُجرِّب حياةً زوجية أخرى ، وبذلك يكون الدرس قاسياً .

وقد يأخذ بعض الرجال المسألة بصورة شكلية ، فيتزوج المرأة المطلقة ثلاثاً زواجاً كاملَ الشروط من عَقْد وشهود ومهر ، لكن لا يترتَّب على الزواج معاشرة جنسية بينهما ، وذلك هو «المحلِّل» الذى نسمع عنه ، وهو ما لم يُقره

الإسلام(١) .

فمَنْ تزوّج على أنه محلل ، ومَنْ وافقتْ على ذلك المحلل فليعلما أن ذلك حرام على الاثنين ، فليس فى الإسلام مُحلل ، ومَنْ يدخل بنيّة المحلل لا تجوز له الزوجة ، وليس له حقوق عليها .

وفى الوقت نفسه لو طلّقها ذلك الرجل لا يجوز لها الرجوع لزوجها السابق ؛ لأن المحلّل لم يكُنْ زوجاً ، وإنما هو تمثيل زَوْج ، والتمثيل لا يُثبت فى الواقع شيئاً .

ولذلك قال الحق سبحانه :

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ .. (٢٣٠)﴾ [البقرة]

والمقصود هنا النكاح الطبيعى(٢) الذى ساقتْ إليه الظروف دون افتعال ولا قَصْد للتحليل ، وعندما يُطلّقها ذلك الرجل لظروف خارجة عن الإرادة ، وهى استحالة العِشْرة ، وليس لأسباب متفق عليها ، عندئذ يمكن للزوج السابق أن يتزوج المرأة التى كانت فى عصمته وطلقها من قبل ثلاث مرات .

---

(١) عن على بن أبى طالب ﵁ قال : « لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له » أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٨٣ ، ٨٧) ، وابن ماجة فى سننه (١٩٣٥) ، وكذا أبو داود (٢٠٧٦) وغيرهم من أصحاب السنن .

(٢) روى البخارى فى هذا حديثاً يشرح هذا الأمر ، فعن عائشة ﵂ قالت : طلق رجل امرأته ، فتزوجت زوجاً غيره فطلقها ، وكانت معه مثل الهدبة فلم تصل منه إلى شىء تريده ، فلم يلبث أن طلقها ، فأتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إن زوجى طلقنى ، وإنى تزوجت زوجاً غيره فدخل بى ولم يكن معه إلا مثل الهدبة فلم يقربنى إلا هنة واحدة لم يصل منى إلى شىء ، أفأحل لزوجى الأول ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا تحلين لزوجك الأول حتى يذوق الآخر عسيلتك وتذوقى عسيلته » . أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٢٦٥ ، ٥٣١٧) والعسيلة : حلاوة الجماع الذى يحصل بتغييب الحشفة فى الفرج . ومعنى هنة واحدة : أى لم يطأها إلا مرة واحدة .

ولذلك قال تعالى :

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ .. (٢٣٠)﴾

[البقرة]

أى : أن يغلب على ظنهما أن المسائل التى كانت مثار خلاف فيما مضى قد انتهت ، ووصل الاثنان إلى درجة من التعقل والاحترام المتبادل ، وأخذا درساً من التجربة تجعل كلاً منهما يرضى بصاحبه .

الخُلْع (إبراء الرجل) :

س : لقد بذلت كل ما أستطيع مع زوجى لإصلاح حاله ، ولكنه دائماً يسلك كل طريق للإضرار بى ولإذلالى وإيذائى ، وقد أصبحت العِشْرة بيننا مستحيلة ، ولا يريد تطليقى ، فماذا أفعل ؟

ج : يريد الحق سبحانه أن يجعل للمرأة مخرجاً إن أريد بها الضرر ، وهى لا تقبل هذا الضرر ، فأذن لها الحق أن تفتدى نفسها بشىء من المال ، أى بصداقها ومهرها ، ويكره أن يزيد على المهر إلا إذا كان ذلك ناشئاً عن نشوز منها ومخالفة للزوج ، فلا كراهة إذن فى الزيادة على المهر .

وقد جاء الواقع مطابقاً لما شرع الله عندما وقعت حادثة «جميلة» أخت «عبد الله بن أُبىّ » حينما كانت زوجة لعبد الله بن قيس ، فقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت : « أنا لا أتهمه فى دينه ولا خلقه ، ولكن لا أحب الكفر فى الإسلام » .

وهى تقصد أنها عاشت معه وهى تبغضه ؛ لذلك لن تؤدى حقه ، وذلك كُفْر العشير ، أى إنكار حق الزوج وترك طاعته ، وهى قد قالت إنها لا تتهمه

لا فى دينه ولا فى خلقه لتعبِّر بذلك عن معانٍ عاطفية أخرى .

فأراد رسول الله ﷺ أن يعلم منها ذلك ، فقالت : لقد رفعت الخِبَاء فوجدته فى عدة رجال ، فرأيته أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً ، فقال لها ﷺ : « أتردين حديقته ؟ » فقالت : وإن شاء زدته . فقال ﷺ : « لا حاجة لنا بالزيادة : ولكن رُدِّى عليه حديقته » .

ويُسمَّى هذا الأمر بالخُلع ، أى : أنْ تخلعَ المرأةُ نفسَها من زوجها الذي تخاف ألاَّ تؤدىَ له حقّا من حُقوق الزوجية ، إنها تخلعُ نفسَها منه بمال حتى لا يُصيبَه ضرر ، فقد يريد أنْ يتزوجَ بأخرى وهو مُحتاج إلى ما قَدَّم من مَهْر لمن تُريد أنْ تخلعَ نفسها منه.

نشوز المرأة :

س : ما حدود تأديب الرجل لزوجته الناشز ؟

ج : المفروض فى المرأة أن تكونَ متطامنةً ، ولا تكون نَشَازاً ، والنشَز هو المكان المرتفع ؛ ولذلك ليس للمرأة أنْ تتعالَى على زوجها ، أو تضعَ نفسها في مكانة أعلى من مكانته.

ولذلك فالنشَاز حتى فى النَّغَم هو صوتٌ خارج عن قواعد النغَم ، فيقولون : هذه النغمة نَشَاز ، أى : خرجتْ عن قاعدة النغم التى سبقَتْها.

والحق سبحانه يُربّى فى عبده حاسَّة اليقظة ، فالنشوز لم يحدث ، بل مخافةَ أنْ يحدثَ ، فاليقظة تقتضى الترقُّب من أول الأمْر ، فعَلى الرجل أنْ لا يترك المسألة حتى يحدثَ النشوز.

فإنْ شَعَر الرجل أن فى بال امرأته أنْ تتعالى عليه ، وتخرج عن طاعته وتنشُزَ ، فعليه ألاَّ يتركهَا إلى أنْ تصعدَ إلى الربْوة وترتفع ، بل عليه التصرُّف

من أول ما يشعر ببوادر النشُوز فيمنعه.

ولكن كيف يكون العلاج ؟

يقول الحق سبحانه :

﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .... (٣٤) ﴾ (النساء)

فهذه ثلاث مراحل لتأديب وإصلاح المرأة الناشز :

أولاً : الوعظ :

وهو النّصْح بالرّقة والرِّفْق واللِّين ، وهو أنْ تنتهزَ فرصةَ انسجام المرأة معك ، وتنصحها فى الظرف المناسب لكى يكـون الوعظ والإرشـاد مقبولاً، فلا تَأْتِ لإنسان وتعظه إلا وقلبُه مُتعلِّق بك.

ثانياً : الهَجْر في المضجع :

لا تهـجرْها فى البـيت أو فى الحجـرة ، بل تنام فى جانب وهى فى جـانب آخـر ، حتى لا تفـضح مـا بينكمـا من غضب ، اهجـرْها فى المضـجع لأنك إنْ هجرْتها وكل البيت عَلِم أنك تنام فى حجـرة مستقلة أو تركت البيت وهربت ، فأنت تثير فـيها غريزة العناد ، لكن عندما تهجرهـا فى المضجع فذلك أمر يكون بينك وبينهـا فقط ، وسيـأتيهـا ظَرْف عاطفىّ فتـتغـاضى ، وسيأتيـك أنت أيضاً ظرف عاطفى فتتغاضى ، وقد يتمنى كل منكما أنْ يصالح الآخر.

ثالثاً : الضَّرْب غير المؤذى :

إن الضرْب يكون بشرط ألاَّ يُسيلَ دماً ولا يكسرَ عَظْماً ؛ أى : يكون ضَرْبًا خفيفاً يدلُّ على عدم الرضا ، ولذلك فـبعْضُ العلماء قالوا : يضربها بالسواك ، والمرأة عندما تجد الضَّرْب مَشُوبًا بحنان الضَّارب فهى تطيع من نفسها.

نشوز الرجل :

س : تزوجت منذ عَشْر سنوات ، وبدأتُ أشعر بعد مرور هذه المدة ببوادر إعراض من زوجى عنى ، فلم يَعُدْ كما كان ، فماذا أفعل ؟

ج : إنْ رأت المرأةُ بَعْضًا من ملامح نشوز وإعراض الرجل عنها فعليها أنْ تعالجَ الأمر ، فالحق سبحانه قال :

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ... (١٢٨) ﴾ (النساء)

فالحق سبحانه رتَّب الحكم على مجرد الخوف من النشوز ، لا حدوث النشوز بالفعل ، وهذه لَفْتة لكل منّا ألاَّ يترك المسائل حتى تقعَ ، بل عليه أن يتلافى أسبابها قبل أن تقع ، لأنها إنْ وقعتْ ربما استعصى عليه تداركها.

فعلى الزوجة الذكية أنْ تنتبهَ لنفسها ، فإنْ كانت الأسباب من جهتها فعليها أنْ تعالجَ هذه الأسباب ، وترجع إلى نفسها وتصلح من الأمر.

والإعراض يعنى أنه لم ينشُزْ بَعْد ، ولكنه لا يُؤانس الزوجة ولا يُحدِّثها ، ولا يُلاطفها ، على الرغم من أنه يعطيها كل حقوقها.

والحق سبحانه وتعالى يريد أنْ يُنهِيَ هذا الخلاف قبل أن يقعَ ، فلا تنتظرْ أيُّها الرجل ، ولا تنتظرى أيتها المرأة إلى أنْ يقعَ الخلاف ، فما أنْ تبدوَ البوادر فعليكما بحَلِّ المشكلات ، فليس هناك أحد قادر على حَلِّ المشكلات مثلكما ، لأنه لا يوجد أحد بينه وبين غيره من الروابط والوشائج مِثْل ما بين الرجل وزوجته.

فإنْ وجدَ الإنسانُ شيئًا لا يُعجبه فى المرأة ، ووجدتْ المرأةُ شيئًا لا يُعجبها فى الرجل ، فعلى الرجل أن يضُمَّ الزوايا كلها ليرى الصورة المكتملةَ للمرأة ،

وأنْ تضمّ المرأة كُل الزوايا حتى ترى الصورة المكتملة للرجل .

ولا يظننّ رجل أن هناك امرأةً هى مَجْمع كُلٍّ الجمال والخيرات ، لأن كل خصال الخير التى تتطلبها الحياة قد لا تتوافر فى المرأة الجميلة ، بل قد توجد في المرأة التى ليستْ على حَظٍّ من الحُسْن ؛ لأن ذات الحُسْن قد تستند إلى رصيد حُسْنها ، أما التي ليس لها حَظٌّ من الحسن فهى تحاول أنْ تكونَ أمينة ومُطيعة ومُدبِّرة وحسنةَ التصرُّف مع أهل الزوج ، لأنها تريد أنْ تَستبقيَ لنفسها رصيدَ استبقائها.

وعلى المرأة أن تبحثَ عن سبب النُّشُوز وسبب الإعراض ، فقد تكون قد كبرت في العمر أو نزلتْ بها علّة ومرض وما زال في الرجل بقية من فُتوة ، وقد يصحّ أن امرأة أخرى قد استمالته ، أو يرغب في الزواج بأخرى لأىٍّ سبب من الأسباب.

هنا على المرأة أن تعالج المسألة علاج العقلاء وتتنازل عن قَسْمها ، فقد تكون غير مليحة وأراد هو الزواج فلتسمح له بذلك ، أو تتنازل له عن شيء من المهر ، المهم أن يدور الصلح بين الرجل وزوجته ، وهى مهمة الرجل كما أنها مهمة المرأة.

ومطلوب من المرأة أن تصبر على الرجل ، ومطلوب من الرجل كذلك أن يصبر على المرأة ، والذى يصبر عليها يؤتيه الله خيرها.

***

فتاوى وأحكام متنوعة

نصيحة لفتاة مسلمة :

س : إنى فتاة مُقْدِمة على الزواج ، فبماذا تنصحنى لأكون زوجة صالحة ؟

ج : إن خير نصيحة أوجهها لك ، هى وصايا أم إياس العشر لابنتها ، وقد كانت مقدمة على الزواج ، فقالت لها :

أى بنية ، اعلمى لو أن امرأة استغنت عن الزوج ، لغنى أصلها ، لكنت أغنى الناس ، ولكن النساء للرجال خُلِقن ، ولهُنّ خُلِق الرجال.

أى بنية ، احفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخرًا :

أما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالرضا والقناعة ، وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع أنفه وموقع عينيه ، فلا تقع عينه على قبيح ، ولايشُمَنَّ منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة : فالهدوء عند منامه ، والتفقد لوقت طعامه ، فإن مرارة الجوع مَلْهبة ، وتنغيص النوم مَغْضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والمحافظة على عياله.

وأما التاسعة والعاشرة : فإياك أن تعصى له أمرًا ، أو تفشى له سراً ، فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره .

◻ معنى ناقصات عقل ودين :

س : ما المقصود بأن النساء ناقصات عقل ودين ؟

ج : ما هو العقل أولاً ؟ العقل من العقال ، بمعنى أن تمسك الشيء وتربطه، فلا تعمل كل ما تريد ، فالعقل يعنى أن تمنع نوازعك من الانفلات ، ولا تعمل إلا المطلوب فقط .

إذن : فالعقل جاء لعرض الآراء واختيار الرأي الأفضل ، وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة ، والمرأة تتميز بالعاطفة ؛ لأنها مُعرّضة لحمل الجنين ، واحتضان الوليد ، الذى لا يستطيع أن يعبر عن حاجاته ، فالصفة والمَلَكة الغالبة فى المرأة هى العاطفة ، وهذا يفسد الرأى.

ولأن عاطفة المرأة أقوى ، فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية، وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة .

إذن : فالعقل هو الذي حكم الهوى والعاطفة ، وبذلك فالنساء ناقصات عقل ؛ لأن عاطفتهن أزيد ، فنحن نجد الأب عندما يقسو على الولد ليحمله على منهج تربوى ، فإن الأم تهرع لتمنعه بحكم طبيعتها.

والإنسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم ، وإلى العقل من الأب ، وأكبر دليل على عاطفة الأم تحمُّلها لمتاعب الحمل والولادة ، والسهر على رعاية طفلها ، ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم ، ونحن جميعًا نشهد بذلك.

أما ناقصات دين ، فمعنى ذلك أنها تُعْفَى من أشياء لا يُعْفَى منها الرجل أبداً ، فالرجل لا يعفى من الصلاة ، وهى تعفى منها فى فترات شهرية ،

والرجل لا يُعْفَى من الصيام ، بينما هى تُعْفَى كذلك عدة أيام فى الشهر ، والرجل لا يعفى من الجهاد والجماعة وصلاة الجمعة ، وبذلك فإن مطلوبات المرأة الدينية أقل من المطلوب من الرجل .

وهذا تقدير من الحق سبحانه لمهمتها وطبيعتها ، وليس لنقص فيها ؛ ولذلك حكم الله هذه الآية فقال :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ .. (٣٢) ﴾ (النساء)

فلا تقُلْ : إن هذا عمله أكبر من ذلك أو العكس ، ولكن انظر إلى مهمة كل منهما ، فإذا قلت : إن المرأة غير صائمة لعذر شرعى ، فليس ذلك ذماً فيها ؛ لأن المشرع هو الذى طلب عدم صيامها هنا ، كذلك أعفاها من الصلاة فى تلك الفترة .

إذن : فهذا ليس نقصًا في المرأة ولا ذمًا ، ولكنه وصف لطبيعتها.

خضراء الدمن :

س : ما المقصود بخضراء الدمن فى الحديث ، إياكم وخضراء الدمن ، ؟

ج : الدمن هى آثار الإبل والغنم وأبوالها وأبعارها ، فربما نبت فيها نبات ، فيكون منظره حسنًا أنيقًا ، ومنبته فاسداً ، والمراد التحذير من الزواج بذوات المنظر الحسن ، والجمال الفاتن ، بغير دين أو خلق ، فهذا ينتج ذرية غير صالحة .

وقد سُئِل رسول الله ﷺ : ما خضراء الدمن ؟

قال : « المرأة الحسناء فى المَنْبت السوء » . والمعنى بهذا هو فساد النسب إذا كان الأصل غير سليم.

◘ تحكم الآباء في تزويج البنات :

س : تقدم لخطبتى شاب ممتاز على خلق ودين ، انشرح صدرى له ، غير أن أبى رفضه لمجرد أنه قريب لوالدتى ، التى طلقها والدى قبل ولادتى ، فهل إذا تزوجته فى بيت أمى ، وبدون موافقة أبى أكون قد أغضبت ربى ؟

ج : ليس للأب أن يتحكم ويعترض على هذا الشاب ، ما دامت مقاييس الإيمان موجودة فيه ، فليس له الاعتراض لمجرد أن الشاب قريب للمرأة التى طلقها ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .. ⑧ ﴾

(المائدة)

فالإثم على الأب هنا ، وللفتاة أن تجد ولياً آخر يزوجها من هذا الشاب ، وقد بلغت سن الرشد.

◘ جراحة التجميل :

س : تسأل إحدى السيدات، فتقول: إن لى أنفاً طويلاً مدبباً ، يشوه شكلى ، ويؤثر على روحى المعنوية ، فهل إذا أجريت جراحة تجميل فيه يكون ذلك حراماً ؟ ولماذا خلق الله فى الإنسان الجمال والقبح ؟

ج : القبح في مكان يعطى جمالاً فى أماكن متعددة ، ولكننا ننظر إلى القبح فى مكان محدد ، ولا ننظر إلى الجمال نظرة كلية ، ننظر إلى زاوية

واحدة، ولا ننظر إلى الزوايا الأخرى .

ولو نظرنا إلى الشـواذ أو ذوى العاهات الخَـلْقيـة فى الوجود ، لوجـدناهم نسبـة ضئـيلة ، فنجد مـثلاً عدد فـاقدى البـصر فى دولة تعدادهـا الملايين ، نجد عددهم محدوداً جداً.

وهذا يعتبـر وسيلة إيضاح ، بمعنى أن الله سبحـانه وتعالى يلفت نظرنا إلى كمال خلقه ، فلو أن كل الناس مبصرون لما أدرك الناس نعمة البصر.

وربما يسـأل أحـد الناس قـائلاً : ولماذا اخـتـير هـذا بالذات ليكون وسـيلة إيضاح ؟

فنقول : إن هذا السـؤال أيضاً يدل على أن السائل ينـظر إلى المسألة بشكل محـدود ، وليس بنظرة شاملة ، فأنت نظرت إلى زاويـة النقص فى هذا الإنسان الذي تنقصه نعمـة البصر ، ولم تنظر إليه في زاوية أخرى قد تميز فـيها وتفوق ، وفى ذلك نتذكر المثل العامى الذى يقول : « كل ذى عاهة جبار ».

أى : أن لكل صاحب عاهة ميزة يتمـيز بها عن غيره ، وهذا لكى يعطى الله له تعويضاً فى المجموع ، بمعنى أنه إذا نقص فى جزء عُوِّض فى الجزء الآخر.

وكذلك الشـواذ فى القبح ، فنحن ننظر إلى زاوية معـينة فى هذا الإنسان ، وكلنا يسـتخدم تعـبيراً يدلنا عـلى اختلاف شكل الإنسـان الظاهرى عن داخله شكلاً وموضوعاً.

فالله سـبحانه وتعالى يريد أن يشـجع صاحب العاهة بناحـية كمال يتـفوق فيها، وذلك لكى يحاول بنفسه أن يعوض هذا النقص.

ولدينا نماذج تاريخية واضحة ، فنرى أن «تيمورلنك» الذى ساح فى العالم ، كان أعرج ، و «بتهوفن» الذى أطرب العالم بجمال ألحانه كان أصم كما نجد أن رائد النهضة الأدبية الدكتور طه حسين كان أعمى .

وغير هذا أمثلة كثيرة جداً ، فنجد بذلك أن الإنسان يعوض بتفوقه فى مجال من المجالات وتميزه فيه نقصاً لديه .

إذن: لو كانت الأمور رتيبة لما وجدنا تفوقاً كمالياً فى الوجود ، ولذلك فإن الإنسان حينما ينظر إلى الصنعة التى صنعها الصانع الذى يؤمن بحكمته وعدله ، فكلنا بالنسبة إليه سواء ، وبحكمته خلق كل شيئ ، وإلا استطرق العالم استطراقات فى كل الزوايا حتى يقعد الناس فى كل الزوايا .

وبالنسبة لعمليات تجميل الوجه نجد البشر وقد وضعوا مقاييس للجمال ، وعنوان الجمال العام هو الوجه ، فقسموا الوجه ثلاثة أقسام : من منبت الشعر إلى آخر الجبهة ثلث ، ومنه إلى آخر الأنف ثلث ، ومنه إلى آخر الذقن ثلث .

فإذا قسم الوجه بهذه الطريقة أعطى نوعاً من الجمال ، هذا من حيث الطول ، أما من حيث العرض فمن شحمة الأذن إلى مركز الجلد ، ومنه إلى نصف الأذن ، فإذا اختلفت هذه المقاييس سُمّى قبحاً .

فتخيلى أنتِ إنساناً وقد احتلت جبهته نصف وجهه ، أو آخر احتلت المسافة بين جبهته إلى أنفه نصف وجهه ، واقتسم النصف الآخر الجزأين الباقين .

ولما أرادوا أن يصنعوا تمثالاً على مقاييس الجمال صار قبيحاً .

إذن : لا نعرف سبب الجمال فى الوجه ، فـربما كان الأنف الكبير هو سبب الجاذبية .

إذن : الجمـال هو شـىء يضعـه الله تعالـى فى مجمـوع ملامـح الوجـه ولا يجب أن نقيس الجمـال على المقاييس التى وضعها البشـر ، متناسين حكمة الله فى خلقه .

خلوة الطبيب النفسى بالمرأة .

س : تسأل إحدى السيدات فتقول : إنه قد ترتب على سوء معاملة والدى - الذى توفى - لى ولوالدتى مشاكل نفسية ، عانيت منها طويلاً ولذلك اضطررت إلى أن أعالج عند طبيب نفسى ، وأضطر إلى أن أذكر له المعاملة السيئة التى لقيتها من والدى ، وهذا يؤلم ضميرى ، وكذلك فإن العلاج يقتضى مع الطبيب فترة طويلة فى خلوة ، وهو طبيب مسلم مؤتمن الجانب ، فهل هذا حلال أم حرام ؟

ج : ما معنى العلاج ؟ إنهـا كلمة تؤدى معنى المحاولة ، فنحن إذا أردنا أنْ نخلع مسماراً مثلاً ، فإننا نُحركه أمامًا وخلفاً ويميناً ويساراً ، ونكرر هذه الحركة لمحاولة الخلع ، أو معالجة الخلع .

إذن : فالعلاج هو المحـاولة للوصول إلى هدف بأسباب والطب يعالج ولا يشفى ، فهو يحاول أن يأتى بالأسباب ، لعل سبباً يصيب الداء فيشفى المريض، وعندمـا عجـز الطب عن إدراك سبب عـضوى للمـرض قالوا عنه : إنـه مرض نفسى ، أى : أن السبب فى هذا المرض مجهول لنا .

وتبيّن لنا بعـد ذلك أن كثيراً من الأمراض النفـسية تتسـبب عن اختلال فى

أجهزة الجسم ، لكننا لا نعرفها ، مثل غدة صغيرة جداً فى حجم حبّة السمسم وعندما يحدث اختلال فى إفرازها تسبب اكتئاباً نفسياً ، أو أى مرض آخر .

وقديماً لم يكن العلم قد توصّل إلى أن كل انفعال أو إدراك فى الحياة البشرية إنما يترك أثراً عضوياً على جسم الإنسان ، ولكننا لا نعرف تماماً هذا الأثر ؛ لأن فى الإنسان أجهزة بلغت من الدقة حَدّاً لا نكاد معه أن نتبيّنها ، وإذا اختلَّ توازنها انقلبتْ الموازين .

فعندما يتعرّض الإنسان لصدمة تتأثر تلك الأجهزة ، فتنقبض ، فإذا استطاع الطبيب أن يتحدث مع المريض ليكشف سبب الصدمة ، ويُوضّح له وَهْمه ، انبسط الجزء المنقبض مرة أخرى .

إذن : فإن كل تأثير على الكائن الحى يفيد شيئاً فى كيمائيته ، وقد لا ندرك ذلك فى حينه ، إلا أنه يحدث فيه اختلال ، ولا ضرر فى أن أعالج هذا الاختلال مطلقاً .

وثانياً ، ذكر ما أصاب السائلة من سوء معاملة الوالد المتوفى للطبيب لاضَيْر منه ما دامت تعتقد بذلك معاونة الطبيب على تشخيص المرض ، والمنهىّ عنه هو قصد التشفِّى ، أو تبرير عدم البر بالوالد .

وفى هذا المجال أحب أن أذكر أن الله تعالى عندما أوصى بالبر بالوالدين ، فقد ذكر سببين :

أولهما : الوالدان ، أى : أنهما سبب فى الوجود .

والثانى : التربية . فقال تعالى :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء)

فحقُّ الوالدين يظل لهما ، وإن لم يُرَبِّيا .

وفى آية أخرى يقول الحق تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء)

وبذلك فإن حَقَّ التربيـة ينتقل لكل من ربَّى ، وإنْ لم يكُ والداً ، وأما مَن اجتمعت له الصفتان فيصبح له حَقّ الوالدية وحقّ التربية .

وثالثاً : بالنسبة للبقاء فترة طويلة مع الطبيب المعالج ، فلا شيء فيه ، ما دام الطبيب مسلماً مُؤْتمناً ، وما دام العلاج يقتضى ذلك .

أطفال الأنابيب

س : هل ما يحدث بخصوص أطفال الأنابيب خروج عن شريعة الله ، وتحدٍّ لإرادته سبحانه ؟

ج : ما الخروج على شريعة الله فى هذا ؟ وما الذى فعله هؤلاء العلماء ؟ إنهم يأخذون بويضة المرأة وحيوان الإخصاب من الرجل ، ويُهيّئون مناخاً مناسباً ومرحلياً ، لوجود عَطَب عند الزوجة ، مما لا يسمح لها بالحمل فى تلك المرحلة ، ثم يُعيدون الأمور بعد ذلك إلى طبيعتها .

فما الذى اخترعوه من عندهم ؟ ولو كان الأمر تحدياً لَقُلْنا لهم : هاتوا بويضة وحيواناً منوياً من عندكم .

وهذه المحاولات وُجِدتْ أساساً لحلِّ مشكلات مرضية عند بعض السيدات ، فتحاول أن تقلد المثل الصالح الذى أعطاه الله لنا ، فنجعل للأنابيب

البيئة ودرجة الحرارة والرطوبة ، وكل شيئ فيها مما ثل لرحم الأم الطبيعى الموجودة فى الأصل.

إذن : أنا آخذ مصنوعاً لك لأضعه فى بيئة على وفق مصنوع لله ، فأنا أستلهم من الله ، فأين التحدِّى هنا ؟

ولكن يأتى الكلام إذا أخذنا بُوَيْضة المرأة لحيوان منوىٍّ لغير الزوج ، ففى هذه الحالة لمن يُنسَب الطفل ؟ وفيما عدا ذلك فلا شىء مطلقاً .

◘ معرفة نوع الجنين

س : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (٣٤) ﴾ (لقمان) هل يتعارض مع قول الله سبحانه المحاولات الطبية الناجحة لمعرفة نوع الجنين ذكراً كان أم أنثى ؟

ج : فى مُبْتكرات الطب ومنجزاته الضخمة فى معرفة نوع الجنين وهو فى بطن أمه لا يلقى أىّ تعارض مع قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ (٣٤)﴾ (لقمان)

فالعلم الإنسانى لا يتحدد إلا بعد إجراء اختبارات معملية وتحاليل ، وبعد ذلك تظهر النتيجة والجنين فى بطن أمه ، ولكن العلم الإلهى اللا محدود غير مقرون باختبارات أو تحاليل ، وهو علم أزلىّ قبل أن تقع النطفة فى الرحم .

فالطب لا يمكن أنْ يعرف كافة المعلومات الغيبية عن الجنين مثل: أطويل هو أم قصير ، أذكىّ هو أمْ غبىّ ، أشقىّ هو أم سعيد ، هذا هو العلم الإلهى الذى قَصر عنه ، ويقصر فيه العلم الإنسانى مهما بلغ من تطوُّر وتقدُّم .

إرغام الزوجة على العمل

س : تسأل سائلة فتقول : إنها اضطرت للعمل فى بدء حياتها الزوجية لتساعد زوجها ، لضآلة مرتبه ، غير أنه اعتاد الاعتماد على دَخْلها ، برغم كبر دَخْله ، ويعارض تَرْكها العمل ، برغم إرهاقها فيه .

ج : هذا جزاء طبيعى منه لها ؛ لأنها لم تختر فيه الزوج بمقاييس الله . قال رسول الله ﷺ : « إنْ جاءكم مَنْ ترضوْنَ دينه وخُلقه فزوِّجوه ، إلاَّ تفعلوا تكُن فتنة فى الأرض وفساد كبير »[1] .

فخير الزوايا أن يكون له دين ، وعندما استشار رجل سيدنا الحسن بن على رضي الله عنهما قال: زَوِّجها من ذى الدين ، إنْ أحبَّها أكرمها ، وإنْ كرهها لم يظلمها .

المرأة السكرتيرة

س : تسأل سائلة فتقول : أنا سيدة مُتزوِّجة ، ومواظبة على أداء الفرائض ، غير أنِّى أعمل فى وظيفة سكرتيرة مدير إحدى الهيئات ، وطبيعة العمل تقتضى أن أعرض الأوراق عليه والباب مُغْلق، فهل يعتبر هذا العمل بهذا الوصف حراماً شرعاً ؟

ج : حدد القرآن الكريم عمل المرأة فى قصة ابنتى شعيب كما قلنا مراراً بالضرورة ، وأن تكون الضرورة بقَدْرها ، فإذا زالت الضرورة زالت الإباحة ، وقد حذرنا الإسلام من الخُلوة بين الرجل والمرأة ، فما اجتمعا على انفراد إلا كان الشيطان ثالثهما .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (١٠٨٤) ، وابن ماجه فى سننه (١٩٦٧) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذى أيضاً من حديث أبى حاتم المزنى (١٠٨٥) وقال: هذا حديث حسن غريب .

وعـمل المرأة مع أجنبى عنهـا إذا كـان لا يمكن التـحرُّز من الخلوة بيـنهمـا حرام، واجتـماع المرأة مع الرجل فى مكان مغلق يعـتبر خُلوة ، دون أىّ اعـتبار لعمل أو لغيره .

ومن الأفضل للمرأة إذا كان لابُد لها من الـعمل أن تبحث عن موقع عمل مناسب يفيد المجتمع ، ولا تجتمع فيه مع الرجال. أما إذا كانت مضطرة إلى ذلك العمل للإنفـاق على نفسها أو على مَنْ تعـول ، وليس لها مَنْ تلزمه نفقـتها من زوج أو قريب ، فعليها أن تكون مُحتشـمة ، وألاَّ تدعَ باب الحجرة مُغْلقاً بحيث يمنع الداخل إلى الحـجـرة ، والأَوْلى أن تعـرض الأوراق فى حضـور زمـيل أو زميلة .

◻ قارئة الفنجان

س : إن جـارتى تقرأ الفنجـان ، ويصدُق قَـوْلُهـا فى كـثـيـر من الأحيان، فهل تعتبر قراءة الفنجان حلالاً أم حراماً ؟

ج : يختـلف القول عن قـارئة الفنجان ، فـهناك من تدسُّ الوسطاء الذين يتصلون بشكل أو بـآخر بمَنْ يترددون عليـها ، ليعـرفوا أخبارهـم ، ثم ينقلونها لهما ، ثم تبنى القـارئة على ذلك حكايات تُحدثُهم بها ، فينبهر المتردد عليها ، لمعرفتها أخباره ، وبذلك يعتقدون صِدْق قولها .

ومن الجائز أيضـاً أن يستـولى الشيطان على قارئة الفـنجان ، فيـتشكَّل فى الفنجان بالشكـل الذى يريـد ، فتراهـا تقول : إنها ترى فـى الفنجـان ، رجلاً ، أو طريقـاً مفـتـوحاً ، أو سـفـراً بالطائرة ، أو بالبـاخرة ، وكـلُّ هذا فى مقـدرة الشيطان ، لأنه يستطيع أن يتمثَّل فى أى صورةٍ يريد .

ونرى ذلك غالباً فيمَنْ يقرءون الفنجان بأجر ، فهم يتعيَّشون من خداع الناس ، ولكنه يوجد من الناس مَنْ يفتح الله عليهم بأىّ شكل ، فيُجرى على ألسنتهم أقوالاً لا يقصدونها ، ونجدها تصدُق .

وهؤلاء بالطبع لا يتعيَّشون من هذا العمل ، ولا يأخذون عنه أجراً ، لأن هذه الفتوحات بيد الله ، ولا يمكن أن يعتمد عليها الشخص ؛ لأنها ليست فى يده ، والمقصود من مثل هذه الحالات أن الله سبحانه وتعالى قد يريد أن يكرم إنساناً خيّرا طيّباً ، فيظهر له كرامة من نوع أو آخر .

والالتجاء إلى النوع الأول من المشعْوذين حرام ، أما النوع الثانى فالاستئناس بكلامهم لا شيئ فيه ، على ألاّ يكون بقَصْد الإشراك بالله فى علم الغيب .

حُرْمة الإجهاض :

س : ما حكم الإسلام فى عمليات الإجهاض الغير شرعى ؟

ج : إن عملية الإجهاض الغير شرعى حرام قطعاً ، ولا داعى للاقتراب منها ، وهذه جريمة يرتكبها الأطباء حديثو التخرج عن غير قَصْد ، وللطبيب عذره فى ذلك ، إنه يرى من واجبه الإنسانى أن يجيب ملهوفة إلى طلبها ويخفف عنها أتْراحها ، وهذه هى مهمته حقاً الإنسانية النبيلة فى إزالة المتاعب والمصاعب من النفوس الملتاعة.

ومن ثَمَّ فإنه يبدو إنساناً رحيماً عطوفاً فى غير مقتضى لذلك ، حتى أن هذه الرِّقّة والعاطفة تسبب ازدياد الطين بلة وتفاقم شدة الخطر ، فدعوها تحترق، نحن نريد أن نُطهِّر المجتمع من أمثال هذه المحذورات .

▫ وسائل منع الحمل

س : ما حكم الإسلام فى وسائل منع الحمل : أحلال مُباحٌ استعمالها أم لا ؟

ج : إنها حلال مباحة ، بشرط أن تكون بقصد المحافظة على صحة الأم من عواصف مرض أو ويْلات سُقْم بعيداً عن مسألة الرزق ؛ لأن الذين يتخذون من وسائل منع الحمل سبباً لتقليل عدد عائلتهم ، لا يعتمدون بذلك على الله ، وبهذا يتصدع إيمانهم فى أعظم لبناته .

وعند وجود دَاعٍ وإلحاح وسيلة منع الحمل لظروفها الصحية ، كمرضها مرضاً مزمناً معدياً أو إصابتها بروماتيزم القلب الذى يزداد سوءاً على سوء بالحمل ، أو حالة إصابة الأم بتشنجات عصبية عنيفة فممنوع استعمال أية وسيلة لمنع الحمل عدا (العازل) فإنه لا بأس فيه ولا ضرر منه ، ولأنه لا يدُخل مادة كيماوية داخل جسم الأنثى .

وقد سُئل ﷺ عن العزل ، قال : « أو إنكم لتفعلون ؟ » قالها ثلاثاً « ما من نَسْمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة »[1] متفق عليه .

وفى لفظ لمسلم « لا عليكم أن لا تفعلوا ، ما كتب الله عز وجل خَلْق نسمة هى كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون »[2] .

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٥٤٢) ومسلم (١٤٣٨) كتاب النكاح (حديث ١٢٧) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٤٣٨) كتاب النكاح (حديث ١٢٥) من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً .

ولما سئل ﷺ أيضاً عن العـزل قال : « ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله خَلْق شيئ لم يمنعه شيئ »[1] .

الختان والخفاض

س : ما حكم الختان والخفاض فى الإسلام ؟

ج : الختان للرجل ، والخفاض للمرأة .

وفى نفس التسمية إعطاء المدلول ، خفـاض غير إنهاك ، ومعنى تخفيض : أخذ الأمـر الزائد عن الأمـرين . قالت أم عطيـة ، إن امرأة كـانت تختن البنات بالمدينة فـقال لهـا النبى ﷺ : « لا تنهكى ، فـإن ذلك أَحْظَى للمـرأة ، وأحب إلى البعل »[2]. وإن لم يكن ثمة زائد فلا داعى .

صوت المرأة .

س : هل صوت المرأة عورة ؟

ج : نعم إذا كان فيه خضوع ، يقول تعالى :

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ (٣٢)﴾ (الأحزاب)

ويعتبـر صوتها عورة إذا حاولتْ ترخيـمه وترقيقه لافـتتان الناس به، أو أن صوتها رقيق يفتن الرجال ، وهى تبالغ فى ذلك .

وقـد كان نسـاء النبى ﷺ يُكلِّمن الصـحابة ، وكـانوا يستـمعـون منهُن أحكام الدين .

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣/ ٨٢) ، ومسلم فى صـحيحه (١٤٣٨) كتاب النكاح حديث (١٣٣) . من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه (٥٢٧١) من حديث أم عطية الأنصارية . وضعفه أبو داود .

ولكن يحرم سماع صوتها إنْ خيفتْ الفتنة ولو بتلاوة القرآن ، وهناك المرأة التي ردَّتْ على أميـر المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حينمـا أراد أنْ يُحدِّد المهور فتلتْ عليه قوْل الحق سبحانه :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (النساء)

❑ عمل المرأة

س : هل عمل المرأة حرام أم حلال ؟

ج : إذا كان ربنا سبحانه يقول :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل)

فكيف نقول: إن العمل حرام عليـها ؟ لكن المهم أن هذا له عمل وهذه لها عـمل ، الناس تظـن أن المتـقـابلات تناقـضـات ، وهذا هو الخـطأ ، هناك شيء متقابل تقابل التكامل وليس تقابل التعارض ، الليل ظُلْمة والنهار ضوء ، ولكن تقابلهما تساند وليس تعانداً ؛ لأنه هنا الفرق :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا[1] إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (القصص)

لأن سكون الليل هو المعين على حركة النهار ، والذى لا يسكن ليلاً ويهدأ ويستريح لا يستطيع أن يستأنف نشاطه فى الصباح .

فـهنا بين الليل والنهـار تقابل وتسـاند وتكامل ، وليس تعـارضاً وتعـانداً ، كذلك الذكر والأنثى ، يريدون أنْ يعملوا معركة بينهما .

---

(١) السرمد : دوام الزمان من ليل أو نهار . وليل سرمد : طويل دائم . (لسان العرب ـ مادة : سرمد) .

ولو قرأنا القرآن بإمعان نجد قوله تعالى :

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾ (الليل)

فكلٌ واحد له مهمة ، هذه المهمة تساعد هذه المهمة ، وبعد ذلك ننظر إلى الإنسان والأشياء التكاثرية الموجودة أمامه ، نباتاً وحيواناً ، ما طفولة المولودات ؟

طفولة المولودات تختلف ، هناك شيئ طفولته ساعة ، وهناك شيئ طفولته يوم ، وهناك شيئ طفولته سنة ، وهناك شيء طفولته سنتان ، والإنسان السيد هو أطول هذه الأشياء طفولة ، فطفولته من ميلاده إلى أنْ يبلغَ ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. (٥٩)﴾ (النور)

إذن : أطول طفولة فى الكائنات هى طفولة الإنسان ؛ لأن مهمته أرقى المهمات ، هذه الطفولة مجالها أين ؟ ورعايتها أين ؟

إذن : فالأمّ التى تطلب عملاً خارج منزلها نقول لها : أنت فشلت فى مهمتك الأساسية ، ولو أن مهمتك الأساسية استوعبتك ما وجدت وقتاً ، ولو أخذت بالك من مهمتك الأساسية تجدينها أشق مهمة ؛ لأن الأم العاملة كما يقولون تستطيع أن تأتى لطفلها بحاضنة ، أو لبنتها بخادمة ، إنما إنْ جاءت لها بألف خادمة ، لن تستطيع أن تأتى لها بقلب أم ، فالأم يجب أنْ تحوط حركة الحياة بعاطفة الحنان الطبيعية فيها .

ثم مَنِ الذى منعـها أن تعمل ؟ تعـمل مع أبيهـا ، وعندما تتـزوج تعمل مع زوجها ، وعندما تنجب تعمل مع أبنائها ، تعمل مع محارمها .

وعندنا فى الريف المرأة هناك تقوم بكل العمل ، ولكن مع مـحارمها الذين يغارُون عليها ، وبعد ذلك قد تأتى ظروف يخور معها المجتمع الإسلامى إيمانياً، يضعف ، فيرى امرأة ليس لها عائل ويتركها .

لكن المجتمع الإيمانى لابُـدَّ ساعةَ أنْ يرى امرأةً اضطرتها ظروفـها للخروج للعمل .

يبـحث : لماذا خـرجتْ هذه للعـمل ؟ ويحـاول أنْ يقـضىَ لهـا عـملهـا ، ويكفيها حاجتها .

الإسـلام والمرأة

س: هل نَصٌ فى شـريعـة الإسـلام على تنظيم لعـمل المرأة فى المجتمع العام ؟ وما هى الوظائف التى سمح الإسلام لها بالعمل فيها؟

ج : ينبغى أنْ نعلم أنه لو اتحدتْ مهمة الجنسين ما كانت هناك ضرورة فى أن ينقسم الجنسـان إلى نوعيْن : ذكر وأنثى ، ولنضـرب لذلك مثلاً: بآية كـونية مـوجـودة فى الوجـود هى الزمـن ، فـالزمن هو وعـاء الأحـداث تحـدث فـيـه الأحداث، وهو قسمان : ليل ونهار .

الزمن كجنس : وعاء للأحداث وكنوع ، فالنهار له مهمة ، والليل له مهمة إن حاولت أن أقـول : أسُوِّى مـهمـة الليل بمُهمـة النهار أو العكس . أكـون قد أفسدتُ نظام الكون ؛ لأن الليل خُلق لمهمة ، والنهار لمهمة .

حينما نرى جنساً انقسم إلى نوعين خُذْ خـصائص مشتركة فى الجنس ، ثم

خُذْ خصائص مُختصّة بكل نوع ، وحينما أراد الله أنْ يُبرز تلك القضية قال : انظروا إلى قضية في الكون غير مُختلف فيها ، ونحن حينما نسأل مثلاً علماء النبات يقولون : ضَوْءُ الشمس له عمله بالنسبة للنبات . والليل له مهمة بالنسبة للنبات ، النبات يُخرج ثانى أكسيد الكربون المطلوب فى الوجود . إذن : الليل له مهمة وجودية حياتية ، والنهار له مهمة وجودية حياتية .

لو أنك حاولت أن تقول : إنهما متعاندان . أقول : لا .. هما متكاملان ، ولا يتعاندان ..

وضرب الله المثل حين قال :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٧١﴾﴾ (القصص)
أى: حياتنا كلها ليل ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾(القصص)

إذن : لكل منهما مهمة ، ولا يصح أن أُكلِّف نوعاً بمهمة الآخر ، وإلا اختلَّتْ قضية الوجود ، فالله بَيّن أن المقدمة المقطوع بها من كونيّة حياتنا هى وجود الناس ، ثم أتى عليها بقضية الرجل والمرأة ، كيف ؟

قال: إنهما مِثْل الليل والنهار ، هما جنس واحد وهو الإنسان ، ولكنهما نوعان : ذكر وأنثى ، إذن : لهما كإنسان خصائص مشتركة لا يختلفان فيها ، ولكنهما كنوعين لكل نوع منهما مهمة ..

اقرأ قول الله :

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ (الليل)

أى: كُلٌّ واحد له مهمة فى الوجود .. إذا حاولتَ أنْ تأخذ مهمة الرجل للمرأة ، أو العكس تكون قد أخللتَ فى قضية الوجود ، وإلاَّ مَا كان هناك ضرورة لأن يكونا نوعيْن ، والخصائص المشتركة للجنس ، ربّنا قال : الرجل والمرأة من جنس واحد من مادة واحدة : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١٨٩﴾﴾(الأعراف)

وليس كما قالتْ المذاهب أو الأديان الأخرى: إن الشيطان خلق المرأة أو إله الشر ، والرجل خلقه إله الخير .. لا .. الإسلام قال : إنهما من جنس واحد . هذا هو التكوين فى الأصل .

ثم قال الإسلام بعد ذلك : إنهما واحد فى المسئولية .. كإنسان .. المرأة مسئولة عن عملها .. والرجل مسئول عن عمله ، ويوضح ذلك رسول الله ﷺ فيقول :

«كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها »[1] .

ومسئولان أمام الله : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل) .

وقلنا أيضاً : إن المرأة لها حرية العقيدة فلها أن تعتقد ما تشاء ، لكن إذا اعتقدت لابُدَّ أن تلتزم ، لها حرية فى الدخول فى الإيمان أو لا تدخل الإيمان تبعاً لزوجها أو لأبويها .

---

(١) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٨٩٣) ، وكذا مسلم فى صحيحه (١٨٢٩) كتاب الإمارة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

والله ضرب مثلاً بامرأة نوح وامرأة لوط ، فنوح ولوط كانا رسولين ، وبالرغم من ذلك لم يستطيعا إدخال زوجتيهما فى دينهما ، فقال سبحانه :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) ﴾ (التحريم)

ثم جاء من الناحية المقابلة للإيمان ، قال تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ (11) ﴾ (التحريم)

الذى ادّعى الألوهية ما استطاع أن يرغم امرأته أن تعتقد فيه أنه إله. **﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) ﴾** (التحريم)

إذن : للمرأة حرية فى العقيدة ، ولقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً مدنية كاملة ليست فى أى دين آخر .. المرأة اليهودية كانت قبل الزواج تابعة الولاية لأبيها لا تتصرف فى أى شيء ، وبعد الزواج تتبع زوجها .

وجاءت القوانين الوضعية حتى القانون الفرنسى فى القرن الثامن عشر ، ينص على أن المرأة وإن اشترطت على الرجل أن تكون لها ذِمّة مالية مستقلة عنه يُلْغَى هذا الشرط .

ولو نظرنا لوجدنا أن الحضارة الغربية تُفقد المرأة خواصها .. ما هى الخواصّ الأولى للإنسان ؟ شكله وسَمْته ثم اسمه ، فحينما تتزوج المرأة فى أوربا تُنسب لزوجها ، فيقال : مدام فلان ، ليس من حقها أن تحتفظ حتى باسمها واسم والدها أو أمها .

وعندما جاء المقلدون فى مصر فى أوائل النهضة الحديثة ووجدوا هذا عَزَّ عليهن أن يُنسى اسمهُنّ ، وقَبِلن نسيان أبيها وعائلتها ولكن استمرت تحتفظ باسمها .. هدى شعراوى أخذت اسمها ونسبته إلى اسم عائلة زوجها على باشا شعراوى لم يَهُنْ عليها أنْ تترك اسمها .

ولكن فى أوربا وأمريكا تترك اسمها واسم أسرتها ، وتتسمَّى باسم زوجها ، فأىّ حقٍّ وأىّ مساواة للمرأة بعد أن تُسلبَ اسمها .

ولكن فى الإسلام زوجات الرسول ، وهو أشرف الخَلْق وتتشرّف به كل واحدة منهن ، لم يقولوا : مدام محمد بن عبد الله ، لم يقولوا : زوجة محمد ، ولكنهم قالوا : عائشة بنت أبى بكر ، حفصة بنت عمر ، زينب بنت جحش احتفظنَ بأسمائهن وأسماء آبائهن وأسرهن .

وبعد ذلك يأتى المفتونون يقولون : نريد أن نكون مثل الغرب ، والغرب لم يُعْط حرية المرأة فى اسمها ولا فى مالها ، ولكن الحرية التى أخذتْها المرأة كانت بسبب الحرب عندما جنّدوا الذكور للحرب فاحتاجوا للمرأة لتحل محلهم فى العمل المدنى ، فأعطوها بعض الحقوق ؛ ليحصلوا على إنتاج فى عملها .

سقراط مثلاً يقول : إن المرأة ليست مُعدّة إعداداً طبيعياً لكى تفهم شيئاً فى العلم ، ولكنها مُعدّة للمطبخ وتربية الأولاد . وجاء أفلاطون ليعطيها قسطاً من التعليم فقامت عليه الدنيا .

وقام الفيلسوف الساخر أريستوفان بتأليف رواية اسمها «النساء المتحذلقات» وتندَّر فيها على المرأة التى نالت قسطاً من التعليم ، جاء بعده موليير الفرنسى ، وألّف رواية اسمها : «برلمان النساء» أيضاً .

ولكن الإسلام لم يقف منها ذلك الموقف ، بل قال الرسول ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[1] .

إذن : نحن فرضنا التعليم للمرأة .. حينما تزوج الرسول ﷺ من حفصة بنت عمر ؓ، وكان عمر قد جاء لها بامرأة من بنى عدى تُعلِّمها القراءة والكتابة وبعدما تعلّمتْ وتزوَّجها رسول الله ﷺ ، طلب الرسول ﷺ من عمر ؓ أن يستمر مَجيء العدوية إلى بيته لتُعلِّم حفصة بقية العلم ، قال عمر ؓ: لقد تعلمتْ ، فقال رسول الله ﷺ : « لِتُجوِّده ولِتُحسّنه» .

ولتتعلم المرأة ، ولكن تتعلم التعليم النوعى ، إذا كنا نحن نُقسّم الرجال منذ بَدْء التعليم الإعدادى إلى تعلم نوعىّ مثل : صناعى ، زراعى ، تجارى فنى .. الخ . إذن : وجب تعلُّم المرأة تعليماً نوعياً يناسب المهمة التى ستُؤهّل لها .

إن المرأة يجب أن تشعر نعمة الله عليها ، لأن الرجل يتعامل مع الأجناس الدُّنيا من الوجود ، فإنه إما زارع يتعامل مع التربة والمواشى والحيوانات ، وإما صانع يتعامل مع المادة الصَّماء ، ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شيء فى الوجود وهو الإنسان .

المرأة التى لا تريد الاقتناع بهذه المهمة تكون امرأة فاشلة ، فالمرأة التى تريد أن تؤدى مهمتها كربّة بيت وزوجة وأم ومربية .. الخ ، لا تجد من الوقت ما يسمح لها أن تعمل ، فلتتعلم وتغنينا عن مدرس خصوصى ، أو تتعلم حياكة الملابس لأولادها وتطريزها .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠٤٣٩) من حديث ابن مسعود ، وأخرجه الطبرانى أيضاً فى المعجم الصغير (١/ ١٦) ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٢٣) من حديث أنس بن مالك ؓ .

فلو نظرتْ إلى نشاطاتها فى الحياة لوفرتْ على البيت أضعاف ما تأخذ من راتب ، وتُوفِّر علينا تكاليف زينتها ومُتطلباتها فى الحياة .

ثم ننظر بعد ذلك إلى الواقع ، هل المرأة فى سُلَّم العمل كلما ارتقتْ تمنتْ مزيداً من عمل ، أو كلما ارتقتْ وتقدّم بها السِّن ، تمنتْ لو أنها ربّة بيت .

حتى النساء الغربيات «مارلين مونرو» .. قالت : إياكُنّ أنْ تُخْدعْنَ بالأضواء التى تُسلَّط عليكُنّ ، وأنا لو استأنفتُ حياتى كنت أُفضِّل أن أكون ربّة بيت فقط .

وعندما عملوا إحصائية بين السيدات والبنات ، ما هى نسبة السيدات اللاتى طلبْن أنْ يَعُدْنَ إلى بيوتهن كربَّات بيوت ؟

إذن : المسألة أن هناك فى الغرب شيئاً غير عندنا ، لا نحكم بشىء من هناك لِنُسيِّره على حياتنا ؛ لأن الرجل فى الغرب بمجرد أن يكبر ابنه يتركه يضرب فى الحياة ، وبمجرد أن تكبر البنت يقول لها : ابحثى لك عن عمل ، ليس عندنا مثل تلك الضرورات التى تجعل المرأة تتشابك فى حياتها مع المجتمع لكى تعيش .

حكم الإسلام فى الاحتفال بعيد الأم

س : دعا بعض كُتَّابنا إلى الاحتفال بعيد الأم ، فهل هذا يتفق مع روح الإسلام ؟

ج : عندما اخترع الغرب عيد الأم قلَّدْناهم فى ذلك تقليداً أعمى ، ولم نفكّر فى الأسباب التى جعلتْ الغرب يبتكر عيد الأم .

فالمفكّرون الأوربيون وجدوا الأبناء ينسوْنَ أمهاتهم ، ولا يُؤدُّون الرعاية الكاملة لهُنَّ ، فأرادوا أنْ يجعلوا يوماً فى السنة ليُذكِّروا الأبناء بأمهاتهم .

ولكن عندنا ، عيد الأم فى كل لحظة من لحظاتها فى بيتها ..

فالإنسان منّا ساعة خروجه من البيت يُقبِّل يد أمه ، ويطلب دعواتها ، ويزورها بالهدايا دائماً .

إذن : ليس هناك ضرورة لهذا العيد عندنا ، ولكننا أخذنا ذلك على أنه مَنْقَبة من مناقب الغرب فى حين أنه مثْلَبة .

فى أوربا يترك الولد أُمَّه تعيش فى مَلْجَأ ، وأبوه يعيش فى مكان لا يدرى عنه شيئاً ، وليس فى حياتنا مثل ذلك ، فالإسلام أعطانا تكاتفاً ، وعلى قَدْر حاجة الأبويْن رتَّبَ الإسلام الحقوق .

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : «أُمك .. ثم أُمك .. ثم أُمك .. ثم أبوك ..» [1].

لأن أباك رجل حتى لو تعرَّض للسؤال فلا حرج ، وإنما الأم لا .

وعندما نستعرض القضية القرآنية فى هذا الخصوص نجد الحق سبحانه يقول : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴿١٥﴾﴾ (الأحقاف)

فهو يوصى بالوالدين ، ولكن إذا نظرت للآية القرآنية ، نجد أن الحيثيات كلها فى الآية للأم وحدها ، وفى البداية أتى بحيثية مشتركة ثم قال : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴿١٥﴾﴾ (الأحقاف)

(١) حديث متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٩٧١) ، وكذا مسلم فى صحيحه (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

يعنى لم يذكر سيرة الأب .

◘ هل الإجهاض كالولادة فى الأحكام

س : هل يمكن لمنْ أُجهِضَتْ ألاَّ تصومَ وتُصلِّي إلا بعد أربعين يوماً مثل النُّفَساء ؟

ج : يقترن الامتناع عن أداء العبادات من صلاة وصوم وقراءة قرآن وغيره مما يُشترط لأدائه الطُّهر فى حالات الولادة أو الإجهاض ، يقترن ذلك بنزول الدم ، فتستطيع المرأة إذا انقطع عنها الدم قبل أربعين يوماً أن تتطهّر وتمارس عبادتها بشكل طبيعى .

أما إذا نزل الدم أكثر من أربعين يوماً فعليها أن تتطهر بعد الأربعين ، وتمارس عبادتها ، بعد ذلك ؛ لأن هذا الدم ليس طبيعياً ، فلا يفسد صلاتها ولا صومها .

أما عن طَهْو الطعام وهى على غير طهارة فهذا ممكن ، وتستطيع أنْ تُؤدّى كل واجباتها اليومية بلا أىّ حرج ؛ لأن الإنسان المؤمن لا ينجس أبداً .

وأما الاستماع إلى القرآن فيمكنك ذلك ، ولكن الممنوع هو إمساك المصحف الشريف ، أو قراءة القرآن .

***

كيد النساء

قال الحق سبحانه على لسان الشاهد الذى حكم بين يوسف عليه السلام وامرأة العزيز :

﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ (يوسف)

والكيد ـ كما نعرف ـ هو محاولة إفساد الحال بالاحتيال ، فهناك من يفسد الحال لكن ليس بحيلة ، وهناك من يريد أن يفسدها بحيث إذا أمسكت به يقول لك : لم أفعل شيئًا ، لأنه يفعل الخطأ فى الخفاء ، ويفسد الحال بالاحتيال .

والكيد لا يُقبل عليه إلا الضعيف ، فالقوى هو من يواجه من يكيد له ، فالذى يدس السم لإنسان آخر فى القهوة مثلاً هو من يرتكب عملاً لإفساد الحال باحتيال ، لأنه لا يستطيع أن يواجه .

أما القوى فهو يتأبّى على فعل ذلك، وحتى الذى يقتل واحداً ـ ولو مواجهة ـ نقول له : أنت خائف. أنت أثبت بجرأتك على قتله أنك لا تطيق حياته ، لكن الرجولة والشجاعة تقتضى أن تقول : أبقيه وأنا أمامه ، لأرى ماذا يقدر أن يفعل .

فالضعيف ساعة يمسك خصمه مرة وتمكنه الظروف منه يقول : لن أتركه لأننى لو تركته فسيفعل بى كذا وكذا.

لكن القوى حينما يمسك بخصمه يقول : اتركه ، وإن فعل شيئاً آخر أمسكه وأضربه على رأسه.

إذن : فإن كان الكيد عظيماً يكون الضعف أعظم ... وكلما كان ضعيفاً كان كيده عظيماً ، ولذلك كانوا يقولون : المرأة أقوى من الرجل ، لأن ربنا يقول:

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)﴾ (يوسف)

ونقول لهم : ما دام كيدهن عظيماً ، إذن : فضعفهن أعظم. وإلا ، فلماذا تكيد ؟

ولذلك يبرز الشاعر العربى هذا المعنى ، فيقول :

وضَعيفة فإذَا أصابتْ فُرْصة

قتلتْ كذلكَ قُدرة الضُّعفاءُ

وما دام كيد النساء عظيماً ، فضعفهن عظيم ؛ لأن الضعيف هو من يكيد ، ولكن القوى لا يعجزه طلب خصمه ويقول له : اذهب حيثما شئت ، وسآتى بك عندما أريد ، لا يوجد مكان تهرب فيه منى.

أما الضعيف فإنه إذا تملك من خصمه فإنه يقضى عليه تماماً ، لأنه يعرف أنها فرصة لا تتكرر.

أما القوى فإنه يقدر ويعفو ، لأنه يعرف أنه يستطيع الإتيان بخصمه وقتما شاء.

وإذا كان الحق سبحانه قد وصف كيد النساء بأنه عظيم فقد وصف كيد الشيطان بأنه ضعيف . فقال تعالى :

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ (النساء)

فكيد الشيطان جاء ضعيفاً لأنه لا يملك قوة يقهر بها قالباً ، ولا يملك حجة يقهر بها قلباً ليقنعك ، فهو يشير لك باحتيال وأنت تأتيه ... ولا يحتال إلا الضعيف.

وقد أعطانا الحق سبحانه مثالاً لكيد المرأة ومكرها فى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، فقال :

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ (يوسف)

فامرأة العزيز راودت يوسف عليه السلام ، أى : طالبته برفق ولين فى أسلوب يخدعه ليُخرجه عما هو فيه إلى ما تطلبه.

ومن قبل كان يوسف يخدمها وكانت تنظر إليه كطفل ، أما بعد أن بلغ أشده فقد اختلف الأمر ، ولنفرض أنها طالبته أن يحضر لها شيئاً ، وحين يقدمه لها تقول له : لماذا تقف بعيداً ؟ وتدعوه ليجلس إلى جوارها. وهو لن يستطيع الفكاك ، لأنه فى بيتها ، وهى متمكنة منه ، فهى سيدة القصر.

وهكذا نجد أن المسألة مجموعة عليه من عدة جهات ، فهو قد تربى فى بيتها ، وهى التى تتلطف وترق معه ، وفهم هو مرادها.

وهكذا ، شرح الحق سبحانه المسألة من أولها إلى آخرها بأدب راقٍ غير مكشوف.

وامرأة العزيز قامت بأكثر من إغلاق لأكثر من باب ؛ لأن من يفعل الأمر القبيح يعلم قبح ما يفعل ، ويحاول أن يستر فعله ، وهى قد حاولت ذلك بعيداً عن من يعملون أو يعيشون فى القصر.

وحدثت المراودة وأخذت وقتاً ، لكنه فيما يبدو لم يستجب لها. لذلك انتقلت من مرحلة المراودة إلى مرحلة الوضوح فى طلب الفعل ، بأن قالت : تهيأت لك ، وكان رده :

﴿مَعَاذَ اللَّهِ... (٢٣)﴾ (يوسف)

فكأن المسألة قد عَـزَّتْ عليه فلم يجد معاذاً إلا الله ، ولا أحد قادر على أن يتصرف هكذا إلا من حرسه الله بما أعطاه له من الحكمة والعلم ، وجعله قادراً على التمييز بين الحلال والحرام.

ولذلك قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ (يوسف)

فامرأة العزيز همت به لأن عندها نوازع العمل ، ويوسف عليه السلام تساوى معها فى حديث النفس ، لكن يوسف حدث له أن رأى برهان ربه.

فبرهان ربه سابق على الهم ، فواحد هَمَّ ولم يرتكب ما يتطلبه الهم ؛ لأن برهان ربه فى قلبه ، وقد عرف يوسف برهان ربه من البداية.

وبعد الحديث عن المراودة بما فيها من لين وأخذ ورد ، ينتقل بنا الحق سبحانه إلى ما حدث من حركة ، فيقول تعالى :

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾ (يوسف)

فكلاهما حاول الوصول إلى الباب قبل الآخر ، ونلحظ أن الحق سبحانه

يذكر هنا باباً واحداً ، وكانت امرأة العزيز قد غلّقت من قبل أكثر من باب.

وهذا يدلنا على أنها لحقت بيوسف عند الباب الأخير ، وهى قد استبقت مع يوسف إلى الأبواب كلها حتى الباب الأخير ، لأنها تريد أن تغلق الباب لتسد أمامه المنفذ الأخير.

وهذا الاستباق يختلف باختلاف الفاعل ، فهى تريده عن نفسه ، وهو يزيد الفرار من الموقف ، ثم قدّت قميصه من دبر. ثم قال تعالى :

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ .. (٢٥) ﴾ (يوسف)

أى : حدثت لهما المفاجأة ، وهى ظهور عزيز مصر أمامهما ، وصار المشهد ثلاثياً : امرأة العزيز ، ويوسف ، وزوجها.

وهنا ، ألقت المرأة الاتهام على يوسف عليه السلام فى شكل سؤال تبريرى للهروب من تبعية الطلب ، وإلقاء التهم على يوسف ، فقالت:

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا .. (٢٥) ﴾ (يوسف)

ثم حددت العقاب :

﴿ إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ (يوسف)

وقد تلصَّص البعض من خدم القصر إلى أن صارت الحكاية على ألسنة النسوة ، ويحكى القرآن الموقف قائلاً :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٠) ﴾ (يوسف)

وما قُلْنه هو الحق ، لكنهن لم يقلن ذلك تعصباً للحق ، أو تعصباً للفضيلة.

وشاء سبحانه أن يدفع هذه المقالة عنهن ، ففضح الهدف المختفى وراء هذا القول فى الآية التالية حين قال تعالى :

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ .. ﴿٣٢﴾﴾

(يوسف)

والمكر هو ستر شىء خلف شىء ، وكأن الحق سبحانه ينبهنا إلى أن قول النسوة لم يكن غضبة للحق ، ولا تعصباً للفضيلة ، ولكنه الرغبة للنكاية بامرأة العزيز ، وفضحًا للضلال الذى أقامت فيه امرأة العزيز.

وأردْنَ - أيضاً - شيئاً آخر ، أن يُنزلن امرأة العزيز عن كبريائها ، وينشرن فضيحتها ، فأتين بنقيضين ، لايمكن أن يتعدى الموقف فيهما إلا خسيس المنهج.

وهُنَّ حين آذَيْنَ امرأة العزيز بتداول خبر مراودتها له عن نفسه تخيلن له صورة ما من الحسن ، لكنهن حين رأينه فاقت حقيقته المرئية كل صورة تخيلنها عنه ، فحدث لهن انبهار.

وأول مراحل الانبهار هى الذهول الذى يجعل الشىء الذى طرأ عليك يذهلك عما تكون بصدده ، فإن كان فى يدك شىء قد يقع منك.

وقد قطعت كل منهن يدها بالسكين التى أعطتها لها امرأة العزيز لتقطيع الفاكهة ، أو الطعام المقدَّم لهُن ، وقد قالت :

﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .. (٣٢)﴾ (يوسف)

قالت ذلك بجراءة مَنْ رأت تأثير رؤيتهن ليوسف ، وأعلنت أنه استعصم ، وهذا يعنى أنه قد تكلف المشقة فى حجز نفسه عن الفعل ، وهو قول يثبت أن رجولة يوسف غير ناقصة ، فقد جاهد نفسه ليكبتها عن الفعل.

ويتابع الحق سبحانه ما جاء على لسان امرأة العزيز :

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ (يوسف)

قالت ذلك وكأنها هى التى تصدر الأحكام ، والسامعات لها هن من أكبرْن يوسف لحظة رؤيته ، تعلن لهن أنه إن لم يطعها فيما تريد ، فلسوف تسجنه وتُصغِّر من شأنه لإذلاله وإهانته.

أما النسوة اللاتى سمعنها ، فقد طمعت كل منهن أن تطرد امرأة العزيز يوسف من القصر ، حتى تنفرد أى منهن به.

ولذلك يورد لنا الحق سبحانه قول يوسف عليه السلام :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)﴾ (يوسف)

ولعل أكثر من واحدة منهن قد نظرت إليه فى محاولة لاستمالته ، وللعيون والانفعالات وقسمات الوجه تعبير أبلغ من تعبير العبارات ، وقد تكون إشارات عيونهن قد دلت يوسف على المراد الذى تطلبه كل واحدة منهن ، وفى مثل هذه الاجتماعات تلعب لغة العيون دوراً هاماً.

ويوسف عليه السلام يعرف أنه من البشر ، وإن لم يصرف الله عنه كيدهن

لاستجاب لغوايتهن ، ولأصبح من الجاهلين الذى لا يلتفتون إلى عواقب الأمور.

وعلى الرغم من أن السجن أمر كريه ، إلا أنه قد فضَّله على معصية خالقه ، ولأنه لجأ إلى المربى الأول ، لتأتى الاستجابة منه سبحانه. يقول الحق :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ (يوسف)

وهكذا تفضل عليه الله الذى خلقه وتولى تربيته وحمايته ، فصرف عنه كيدهن ، الذى تمثل فى دعوتهن له أن يستسلم لما دعته إليه امرأة العزيز ، ثم غوايتهن له بالتلميح دون التصريح.

وهكذا أنجاه الله من مكر النسوة ، وهو جَلَّ وعلا له مطلق السمع ومطلق العلم ، ولا يخفى عليه شىء ، ويستجيب لأهل الصدق فى الدعاء.

حرية المرأة

للرجل مهمته فى الحياة ، وللمرأة مهمتها كذلك ، وهناك خصائص مشتركة بين الرجل والمرأة ، وهناك نواحٍ تختلف فيها مهمة الرجل عن مهمة المرأة.

أما الخصائص المشتركة فهى ما يُطلب من الجنس كإنسان بالنسبة إلى دين من الأديان.

فحرية الاعتقاد مكفولة لكل من الرجل والمرأة ، فالمرأة مطلوب منها أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بها ، والرجل كذلك ، ولا يمكن لرجل أن يفرض عقيدته على امرأة.

ولقد بيّن الحق سبحانه وتعالى هذه القضية فى كلامه عن نوح ولوط عليهما السلام إذ يقول :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾ (التحريم)

المفروض فى الأنبياء أن يهدوا الناس ، ومع ذلك لم يستطع نوح ولوط عليهما السلام أن يحملا زوجتيهما على اتباع منهج الله تعالى.

إذن: فللمرأة ما تراه صائباً أو تقتنع به ، كإنسان له حرية التفكير والاعتقاد.

وبعد ذلك يضرب الحق سبحانه وتعالى مثلاً للقضية المقابلة :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ (١١) ﴾ (التحريم)

ففرعون الذى ادّعى الألوهية واستعبد الناس وأذلّهم لم يستطع أن يجبر زوجته على الاعتقاد فى ألوهيته. إنها آمنت بربّ موسى عليه السلام عدو فرعون وقالت :

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ⑪﴾ (التحريم)

إذن : فأولى الخصائص التى تهم الدين هى حرية الاعتقاد.

إن للمرأة أن تعتقد ما تشاء لأن هذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج ، فإن لم ترتبط بالعقيدة باختيارها يكون إقبالها على المنهج غير مأمون ، إن أجبرت على اعتقاد فهى تُقبل على منهج ذلك الاعتقاد مُكْرَهة أى: تُقبل على ما فرضه القانون أو المُكْرِه ، لكن إذا خلت إلى نفسها فقد تتحلل من ذلك المنهج.

الصفة المشتركة بين الرجل والمرأة إذن هى حرية المعتقد ، حرية تعقُّل الأشياء ، وحرية الحكم على الأشياء ، وحرية التفكير.

إن الحق سبحانه وتعالى يحكى لنا فى كتابه العزيز قصة بلقيس ليوضح لنا أن المرأة لها الحق فى أن تُعمِل عقلها ، تعقل الأمور وتشير وتستشير ، إنه يعطينا صورة من عقل المرأة ورجحانه.

لقد أرسل سليمان عليه السلام كتابه «رسالته» إلى بلقيس وقومها مع الهدهد فماذا كان موقفها ؟ ... قالت : **﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ㉚ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ㉛﴾** (النمل)

وقالت : **﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ㉜﴾** (النمل)

فماذا قال لها رجال جيشها ؟ قالوا : **﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ**

وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴿٣٣﴾ (النمل)

أى أن هذه مسألة سياسية ، ونحن جيش قوى تأمريننا بالحرب فنحارب ، ولكنكِ أنتِ التى تُقدِّرين ماذا نعمل وماذا نصنع؟

قالت : سأرسل إليه هدية فإن قبلها فهو طالب دُنيا.

إذن : فالمرأة (بلقيس) يمكنها أن تفكر التفكير السليم الذى تعرف به طبيعة سليمان عليه السلام. أهو ملك من الجبارين ؟ أم أنّ له مهمة أخرى ؟.

وأرسلت بلقيس الهدية ، فماذا قال سليمان عليه السلام ؟

لقد قال ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** ﴿٣٦﴾ ﴾ (النمل)

فقالت بلقيس : نذهب إليه إنه إنسان لا يريد المال إذن له دعوة ومنهج.

وقال سليمان: ﴿**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ (النمل) وجاء العرش إلى آخر القصة.

وهنا ننظر إلى عقلية المرأة ، كيف استطاعت أن تقف الموقف الدقيق ، وتعبر التعبير الديبلوماسى... ﴿**كَأَنَّهُ هُوَ** .. ﴿٤٢﴾ ﴾ (النمل)

إن العرش عرشها ، ولكنها مسألة غريبة فى كونها تركت عرشها فى بلادها وتأتى إلى بلاد سليمان عليه السلام لتجد عرشها أمامها فماذا تقول ؟ ... قالت: ﴿**كَأَنَّهُ هُوَ** .. ﴿٤٢﴾ ﴾ (النمل)

هذه إذن صورة من صور عقلية المرأة توضح أن المرأة المسلمة تستحق أن تتمتع بحرية التفكير والاعتقاد لأن لها عقلاً ولأن لها شخصيتها القائمة بذاتها.

ويخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنه اصطفى بعض النساء مثل الرجل تماماً

فقد اصطفى سبحانه وتعالى مريم عليها السلام ، فقال ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (آل عمران)

واصطفى أم موسى وكلفها بأشياء ففعلتها: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴿٣٩﴾﴾ (طه)

فالمرأة إذن من حيث كونها جنساً محلٌّ للاعتقاد الحرّ ، ومحل لاستعمال عقلها فى الأمور مثلها مثل الرجل ، وهى محل لاصطفاء الحق عز وجل.

ومحلّ لأن يخصها الحق سبحانه وتعالى بشىء . لقد أعطى الإسلام المرأة حرية الاعتقاد والتفكير والاختيار. ولكن يجب أن نفهم الحرية على وجهها الصحيح، فالحرية ليست فوضى وإنما هى نظام.

إذا اعتقدت شيئاً فالحرية أن أتقيّد بمنهج هذا الاعتقاد ، فليست المسألة كلاماً يقال وإنما الحرية الحقيقية هى كلام مسئول يؤدى إلى نظام سليم وعمل صالح.

إنّ الحرية الحقيقية هى حرية نسبية فليست هناك فى أى مجتمع من المجتمعات شيء اسمه «الحرية المطلقة» وليس هناك على الأرض إنسان يستطيع أن يقول : أنا حرّ حرية مطلقة ...

لا نقول له : أنت كاذب ... لأنك لا تستطيع أن تمارس حرية مطلقة دون أن تعتدى على حريات الآخرين ، وهؤلاء الآخرون لن يتركوك تفعل ذلك.

نقول له : هل تستطيع أن تستمع إلى الراديو بعد منتصف الليل بصوت مرتفع دون أن تضايق الآخرين ؟

أنت إن فعلت ذلك أعطيتهم الإذن لكى يفعلوا معك نفس الشىء ويُضايقوك وأنت نائم بأصوات أجهزة الراديو التى عندهم ، وساعتها لن تكون

حُرًا فى أن تنام وقتما تشاء.

ونقول له : هل تستطيع أن تدق شيئاً أو يصدر العمال الذين جلبتهم صوتاً أو ضوضاء ؟

وهل تستطيع إذا دخلت أحد البنوك أو المحال التجارية ، وكان هناك صف من الناس يقفون أمام الموظف ، هل تستطيع أن تذهب لتقف قبلهم لتكون أول الصف ؟

ونقول له : هل تستطيع أن تترك سيارتك فى وسط الطريق أو فى مكان ممنوع الانتظار فيه ؟

وهل تستطيع أن تتجاوز بسيارتك السرعة المسموح بها ؟

وهل تستطيع أن تمشى فى الشارع بدون ملابس ؟

وهل تستطيع أن ترتكب فعلاً فاضحاً أمام الناس ؟

وهل تستطيع أن تفعل أى شىء تريده فى أى وقت تريده ؟

كلا إنك لا تستطيع شيئاً من ذلك إلا إذا كنت تعيش فى جزيرة خالية من الناس تعيش فيها وحدك. إنك ما دمت تعيش فى مجتمع مع الناس فلا بد أن تحترم حرياتهم لكى تضمن أنهم سوف يحترمون حريتك.

وهكذا الأمر بالنسبة للمرأة ليس لها أن تعتدى على حريات الآخرين ليس لها أن تفتنهم بمظهرها المثير ولا بصوتها الخاضع المتغنج ولا بثوبها الكاشف الواصف ليس لها أن تلهب غرائز الرجال ، لأن ذلك اعتداء على حريات الرجال فى أن يمشوا فى الطريق دون أن يقوم أحد بإثارتهم وإلهاب غرائزهم وإخراجهم عن هدوئهم وطبيعتهم .

إن حرية المرأة يجب أن تكون حرية طاهرة ... حرية إسلامية .

عقل المرأة

قال رسول الله ﷺ : «النساء ناقصات عقل ودين» (١).

وقال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً »(٢).

هذان الحديثان يفهمان عند كثير من الناس على غير وجههما الذى أراده رسول الله ﷺ .

فالمعنى الصحيح للحديثين ليس إهانة المرأة والحط من شأنها والتقليل من مكانها وليس اتهامها بنقص الدين والعقل. وإنما على العكس من ذلك ، يحث الحديثان على حسن معاملة المرأة والتوصية بها.

ويشرح الحديث الأول طبيعة المرأة التى خلقها الله عليها ، لمناسبة المهمة التى خُلقت لها. فالمرأة مخلوقة ضعيفة الجسم لأنها ليست مخلوقة للكدح والسعى فى طلب الرزق بعكس الرجل .

والمرأة مخلوقة عاطفية تغلب عليها العاطفة ، وهذا ليس عيباً بل ميزة تناسب مهمتها فى الحياة .

(١) قال رسول الله ﷺ : «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين» أخرجه مسلم فى صحيحه (٧٩) كتاب الإيمان، وأحمد فى مسنده (٢/ ٦٧) وأبو داود فى سننه (٤٦٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٥١٨٦)، وكذا مسلم فى صحيحه (١٤٦٨) كتاب الرضاع (٦٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

إن قول رسول الله ﷺ : «ناقصات عقل ودين» .

معناه أن المرأة تفعل أشياء بعاطفتها قد يرفضها العقل ، وذلك راجع إلى أن العاطفة عند المرأة قوية جداً لمناسبة مهمتها فى الحياة التى تستلزم منها أن تكون فى غاية العطف والحنان مع أطفالها وأيضاً مع زوجها.

أمّا مسألة الدين فالمرأة بحكم الطبيعة التى خلق الله تعالى جسمها عليها يحدث أن تمر عليها أيام فى الدنيا لا تؤدى فيها صلاةً ولا صياماً ، وليس هذا عيباً فيها. فالخالق الحكيم قد خلقها هكذا من أجل أن تستطيع أداء مهمتها.

إذن: فحديث رسول الله ﷺ «ناقصات عقل ودين» هو فى حقيقة الأمر شرح وتفسير لطبيعة المرأة وليس انتقاصاً منها أو ذمًّا فى حقها ، وإلا ما كان رسول الله ﷺ قد أخذ برأى أم سلمة رضي الله عنها فى صلح الحديبية ، وما كان قال عن الصِّدِّيقة بنت الصديق رضي الله عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»[1] وقد كان وجهها رضي الله عنها يميل لونه إلى الاحمرار.

إنَّ من يفهم الحديث السابق على أنه طعن فى المرأة يكون قد أخطأ فى الفهم ، إذ أن المقصود أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل من المرأة والرجل مهمة فى الحياة ، وتم خلق كل منهما ليناسب مهمته.

فالرجل مخلوق للسعى وراء الرزق ، وذلك يستدعى أن يكون عقله أقوى من عاطفته ، فهو يحتاج أن يُحَكّم عقله وليس عاطفته ، ليستطيع تحصيل الرزق وتوفير متطلبات واحتياجات الأسرة .

(١) أورده العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٤٤٩) وقال : قال الحافظ ابن حجر : لا أعرف له إسناداً ، ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث إلا فى النهاية لابن الأثير . وقال الذهبى : هو من الأحاديث الواهية التى لا يُعرف لها إسناد . أ . هـ

أما المرأة فهى مخلوقة لكى تحنو وتربى ولأنها هى السكن ، فلا بد أن تكون عاطفتها أقوى ، لكى تستطيع أن تقوم بمهمتها خير قيام.

ومن تمام الخلق ورحمة الحق سبحانه أن يكون كل مخلوق مُيَسَّرًا لما خلق له. «كل مُيسَّرٌ لمَا خُلِقَ له».

والمرأة فى مهمتها محتاجة للكثير من الحنان والعطف والقليل من التفكير العقلى ، لأن الأطفال الصغار يحتاجون إلى العطف والحنان أكثر مما يحتاجون إلى العقلانية.

ولأن العطف الزائد والعقل الزائد لا يجتمعان فى أى إنسان ، فالرجل عاطفته أقل من عقله ؛ لأنه لم يخلق لحضانة الأطفال.

إن المرأة هى التى تحنو وتمسح الشقاء والتعب عن زوجها وأولادها ، وتمسح الدموع لتزرع مكانها الابتسامة والبشاشة ، وكل ذلك يتم بالعاطفة.

إذن : فعاطفة المرأة أقوى من عقلها ، وليس معنى ذلك أن فكر المرأة وذكاءها أقل من الرجل ، ولكن العاطفة عندها سريعة وتسبق عمل العقل.

ومن المواقف المجيدة فى تاريخ المرأة المسلمة الحدث العظيم الذى وقع يوم صلح الحديبية، ذلك أن المسلمين قد أحرموا واتجهوا إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة ومعهم الهدى الذى سيذبحونه عند انتهاء العمرة والطواف بالبيت الحرام ، وحدث أن تصدى الكفار لهم ومنعوهم من دخول مكة ومن الطواف ، وانتهى الأمر إلى توقيع صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وكفار مكة ، وفيه تعهد الكفار بعدم التعرض للمسلمين ولا حلفائهم ، ولا لنشر الدعوة الإسلامية ، وكذلك لا يتعرض المسلمون لقريش ولا لحلفائها ومن كان فى حمايتها.

وكان ذلك أول تعهُّد من كفار مكة بألا يتعرضوا للمسلمين مما يعد مكسباً مهماً للدولة الإسلامية فى ذلك الوقت ، لأن الدعوة الإسلامية وقتها كانت فى حاجة إلى حرية الرأى والكلمة ، وعدم التعرض للدعاة المسلمين بالقتل والتعذيب والأذى .

أما نشر الدين واعتناق الإسلام فإن الدين الإسلامى يملك من الأدلة والبراهين والمنطق والحجة والهدى ما يجعل كل من يستمع بصدق إلى تعاليمه أن يعتنقه.

لكن المسلمين وقتها لم يفهموا ذلك وأخذتهم الحمية الدينية بعد توقيع رسول الله ﷺ الصلح مع الكفار.

لأن الرسول ﷺ بعد التوقيع أمر المسلمين أن يذبحوا الهدى ويحلوا إحرامهم ، ولكن المسلمين حينئذ كانت تدور فى صدورهم ثورة من الغضب والحمية لأن الصلح قد منعهم من الطواف ببيت الله الحرام ، وثورة الغضب هذه حجبت عنهم أن يروا الحكمة فى توقيع هذا الصلح ، وكيف أن الحق سبحانه وتعالى قد جعل فيه إشارة لفتح مكة وانتصار المسلمين.

إذن : فقد أغلق الغضب عقولهم ومنعهم من رؤية الحكمة فى أن الحق الحكيم سبحانه منعهم من قتال كفار مكة ، لأن فى مكة مسلمين يكتمون أمر إسلامهم ويبقون إيمانهم فى صدورهم خوفاً من المشركين ، فلو حدث القتال فى ذلك الوقت لقتل المسلمون بعضهم بعضاً وهم لا يدرون ، وفى ذلك جاءت الآية الكريمة من سورة الفتح :

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ

محلهُ ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرةٌ بغير علمٍ ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥)﴾ (الفتح)

وقول الحق سبحانه **﴿لو تزيلوا﴾** معناه : لو كانوا معروفين أو مميزين أو يجمعهم مكان واحد بحيث يستطيع المسلمون تفاديهم عند نشوب القتال .

وقول الحق سبحانه: **﴿ أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرةٌ بغير علمٍ ﴾**

أى : تقتلونهم دون أن تعلموا أنهم مسلمون مثلكم. فتصيبكم منهم معرة ، أى عار وخزى لأنكم قتلتم مؤمنين ، ولهذا لم يأذن العليم الحكيم سبحانه وتعالى بالقتال فى ذلك اليوم.

يومها أمر الرسول ﷺ المسلمين بأن يذبحوا الهدى ويحلوا إحرامهم ، ولكن أحداً منهم لم يمتثل للأمر. فدخل رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة بنت أبى أمية رضي الله عنها وهو شديد الغضب فقالت له: مالك يا رسول الله ؟ فلم يرد. فكررتها عدة مرات حتى قال رسول الله ﷺ : «هلك المسلمون ، أمرتهم بأن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا». فقالت أم سلمة : يا رسول الله لا تلمهم فإن داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح يا نبى الله : اخرج ، ولا تكلم أحداً منهم ، وانحر هديك ، واحلق رأسك. ففعل رسول الله ﷺ ذلك ، فقام المسلمون فنحروا وحلقوا.

إذن : فقد أخذ رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء وأعظمهم والذى يوحى إليه من السماء ، أخذ برأى امرأة (أم سلمة) فى أمر من أصعب الأمور وأشقها وأشدها. فلو كان عقلها ناقصاً نقص ذكاء أو نقص استيعاب ما أخذ رسول الله ﷺ برأيها.

والعقل فى اللغة مأخوذ من العقال وهو مقود الجمل الذى يمنعه من أن يسير على غير هدى ، بل يخضعه لمشيئة راكبه ، والجمل لو تركناه على هواه بغير عقال لجرى هنا وهناك كلما رأى عشباً انطلق إليه يميناً ويساراً فلا يصل أبدًا إلى مقصد صاحبه الذى يريده أن يصل إليه .

إذن : فمهمة العقال أن يحكم حركة الجمل فيسير فى الطريق السليم الموصل المنشود ، فلو انحرف الجمل يساراً أو يميناً شد راكبه العقال ، فيمشى الجمل فى الطريق السليم.

هذه إذن مهمة العقل ، العقل يعقل الأمور ويكبح شهوات النفس بحيث تسير فى الطريق القويم.

وحياة الرجل وسعيه إلى الرزق يقتضى منه أن يُحَكّم عقله فى كل شىء ليرتب الأشياء وينظمها ، فلو دخلت العاطفة فى ذلك لأفسدته.

وقوامة الرجل على أسرته تستلزم منه أن يكون حكيماً فى تصرفاته حتى لا يضيّع الأسرة ، «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» [1].

إذن: لو كانت عاطفة الرجل أقوى لكانت تصرفاته كلها عاطفية ويفسد البيت والأسرة والأولاد وكل شىء.

فالرجل مثلاً لو كان معه مال قليل يكفى بالكاد مصروفات البيت إلى نهاية الشهر وجاءه أحد أولاده يطلب منه بعض المال فالرجل ساعتها لن يعطيه ، لأنه يفكر بعقله ويعرف أن المال الذى معه إذا نقص منه شىء ، فلن يكفى المال الباقى مصروفات البيت وتحدث مشكلة ، ولو أصر الطفل على طلب المال ينهره أبوه وقد يضربه .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ١٩٤)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٤١٥) وأبو داود فى سننه (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

أما الأم فلو كانت مكان الأب وطلب منها ابنها أو ابنتهـا شيئاً لأعطته غالباً دون أن تفكر ماذا ستـفعل بقية الشـهر ، وخاصة إذا بكى الطفل أمـامها وإن لم يكن معـها مال فـقد تقترض من إحدى جاراتهـا لتعطى ابنهـا ، وقد تفكر فى الاشتراك فى جمعية ، إنها تتحايل حتى تأتى لأولادها بالشىء الذى طلبوه .

إذن : تندفع لكى ترضى أولادها ، فقـد تقترض دون أن تعـرف كيف ومن أين ستـقضى هذا الدّين ؟ أو كـيف ستدفـع أقساط الجـمعيـة ؟ المهم عندها أن ترضى أولادها ، هذا هو أول الأولويات فى حياتها.

إذن : فتفكير المرأة خاضع لعاطفتها وليس لعقلها.

وتكون النتيجة أنها لا ترتب الأشياء ترتيبـاً عقلياً منطقياً ، فتحدث المشاكل لها ولأسرتها.

ومن حكمـة الشاعر الحكيم سـبحـانه أنه جعل القـوامة للرجل والحـضانة للمرأة ، لكى يحدث اسـتقرار فى الأسرة ، وأيضاً لكى يحـدث توازن فى حياة الأسرة.

فالأب يمثل العقل والمنطق والنظام ، والأم تمثل العاطفة والحنان والابتسام.

وهمـا كفـتان لازمـتان للاتزان ، وأفـراد الأسـرة جمـيعـاً يفيـدون من هذا التوازن.

فالأب يفيـد من عاطفة المرأة ، والمرأة تفيـد من تعقّل الرجل ، والأولاد هم الرابحون فى النهاية ، لأنهم قـد استفادوا من تعقل الأب وعاطفة الأم ، فـيشبوا متوازنين نفسياً وعاطفياً ، وأى اختلال فى هذه المعاملة الإنسانية يؤثر دون شك على استقرار الأسرة .

الميراث

مسألة ميراث المرأة من المسائل التى تكلم فيها الكثير من الناس ، وخاصة أن أعداء الإسلام أثاروها أكثر من مرة ظناً منهم أنهم وجدوا فرصة للطعن على المسلمين.

نقول لهؤلاء وأولئك : أحسنوا الفهم عن الله ، إن الحق سبحانه يقول : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴿١١﴾﴾ (النساء)

ويقول عز من قائل: ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ (النساء)

ويقول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب)

إننا كمؤمنين مكلفون بطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ ، قال الحق سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران)

وعلة الطاعة ليست فى الأمر ذاته ، وإنما فيمن أصدر هذا الأمر، إن الحق سبحانه وتعالى هو الذى قال وهو الذى أمر ، وهو العليم الحكيم المطاع فى كل أمر ، لا خيار إذن أمام أحد لأن يوافق أو لا يوافق لأنك إذا دخلت فى الدين فأنت ملزم بطاعة أوامر هذا الدين والابتعاد عن نواهيه.

ورغم ذلك فإننا نقول لأعداء الإسلام : إن هناك أنظمة غير إسلامية تحرم

المرأة تماماً من الميـراث أو تعطى الميراث للأخ الأكـبر وحده ، فلـماذا لا تطعنون فى هذه النظم وتكتفون دائماً بالطعن على أهل الإسلام ؟

القضية كلها أبسط من أن نشغل بها وقتنا ؛ لأن المرأة المسلمة تعيش حياتها كلها فى رعاية رجل مسئول عنهـا قبل الزواج يكون الأب هو المسئول عن ابنته فإن فـقدت أباها أنفق عليهـا أخوها أو عمـها أو خالهـا ، وإذا تزوجت انتقلت مسئوليتها إلى رجل آخر هو الزوج.

فـالزوج فى الشريعـة الإسلامـية هو المـكلّف وحده بالإنفـاق على زوجتـه وأولاده.

إذن: فالمرأة ليست مسـئولة شرعاً عن الإنفاق على أحد مهـما كانت درجة قرابته منها ، إنها فى أسوأ الافتراضات تكون مسئولة عن نفسها فقط.

أما الرجل فله وضع مختلف تماماً ، فهو دائماً مسئول عن نفسه وعن غيره، إنه مسئول شرعاً عن أمه وإخوته وزوجته وأولاده.

إذن : فالمرأة معولة دائماً ، أى : أن هناك دائمـاً من يعولها قبل الزواج وبعد الزواج ، ثم يعولها أولادها بعد ذلك ، وهى إذا ورثت نصف نصيب أخيها فهو عدل من الله الحكم العدل ، لأن أخاها عندما يتـزوج سيكون مسئولاً عن زوجه ينفق عليها.

أما هى فعندما تـتزوج يكون زوجها هو المسئول عنها وعـن الإنفاق عليها.
إذن : فالمرأة هى الرابحة هنا لأنهـا تستطيع أن توفر نصيبهـا من الميراث وتدخره لأنها ليست ملزمة بالإنفـاق على أحد منه ولا حتى على نفسها ، إنها مـسئولية الزوج.

وإن لم تتزوج المرأة فإن نصيبها من الميراث يكفيها لأنها حينئذ لن تكون مسئولة إلا عن نفسها ، بينما أخوها يكون مسئولاً عن الإنفاق على زوجته وأسرته ، وإن لم يتزوج يكون مسئولاً عن الإنفاق على أمه وإخوته.

ولنضرب مثلاً يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً :

لو كان عندى مثلاً ولد وبنت ، وأنت عندك ولد وبنت ، فكل من الابنتين أخذت ثلث الميراث ، وكل من الولدين أخذ ثلثى الميراث (حسب الشريعة).

ابنتى تزوجت ابنك ، وابنتك تزوجت ابنى.

تكون النتيجة أن يصبح لكل عائلة ميراث كامل ، وتكون المسألة قد تساوت .

إن الحق سبحانه وتعالى حكيم عادل ، إنه سبحانه هو العدل ، وحينما يخلق خلقاً ويكلفه بمهمة فإنه يرزقه ويعطيه ما يعينه على أداء هذه المهمة وكل مخلوق على قدر مسئولياته وتبعاته ، ولذلك أعطى الله سبحانه كل واحد على قدر المسئولية التى يتحملها.

إذن : فليس فى المسألة ظلم للمرأة ، وليس فيها تفضيل لأحد على الآخر، لأن الله سبحانه هو رب الجميع ، والجميع أمامه سواء .

❑❑❑



الشهادة

من المسائل التى كثر الجدل حولها من أعداء الإسلام مسألة شهادة المرأة ، حتى وصل الأمر ببعض المشتغلات بالإعلام أن كتبن يقلن : كيف لا تساوى شهادة المرأة المتعلمة الحاصلة على الدكتوراة أو الماجستير شهادة بواب العمارة التى تسكن فيها ، وقد يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؟ وكيف أن شهادتها تساوى نصف شهادة البواب الأمى ؟

وحقيقة الأمر أن هذا الكلام نابع من منطق خاطىء فى الأساس ، لنفهم أولاً عن الله تعالى قبل أن نتكلم كلاماً يؤهلنا لغضب الله وسخطه.

إن الحق سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل :

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ (٢٨٢)﴾

(البقرة)

لنفهم أولاً معنى كلمة (شهادة) ، إن كلمة (شهادة) مأخوذة من (شهد) أى (رأى) أنت رأيت مشهداً أى شاهدته بعينيك واقعاً أمامك ، وهذا المشهد ليس محتاجاً إلى علم أو درجات علمية أو ماجستير أو دكتوراه ، إنه فقط يحتاج إلى (عين) تشهد ، وإلى كلمة صدق تُقال .

وكل ما يقال غير ذلك هو كلام غير ذى موضوع ؛ لأن المحاكم لا تقوم بتجارب معملية أو أبحاث علمية حين تطلب شخصاً للشهادة فى قضية معينة أو حادثة وقعت وشاهدها بعينيه .

إن خَلْق الله جميعاً ـ متعلمين أو غير متعلمين ـ متساوون تماماً من هذه الناحية أى القدرة على الشهادة .

إن المسألة ليس فيها ذكاء أو رجاحة عقل ، إنها مسألة صدق وأمانة نقل.

ونحن لو نظرنا إلى طبيعة المرأة نجدها مخلوقة على الستر ممنوعة من مخالطة الرجال.

ولنضرب مثلاً يوضح الموضوع ويُجلّيه :

لو وقعت مشاجرة مثلاً فى الشارع ، وكانت هناك امرأة تمر بالقرب منها ، ماذا يحدث من المرأة عادةً ؟

إن المرأة بالتأكيد تسرع بالابتعاد عن مكان المشاجرة ، وتنأى بنفسها عن الموضوع خوفاً على نفسها واتقاءً للأذى حتى لا تصاب بسوء ، نريد تفسيراً من المرأة ذاتها ، لماذا يحدث منها ذلك؟

الجواب هو : لأنها مخلوق ضعيف فلا قدرة لها على المنازلة والمشاجرة ، ولأنها مخلوق عاطفى نفسها تتأثر بسرعة من مشاهد الضرب والعنف والدماء ولأنها لطبيعتها الأنثوية تخاف على نفسها من الاقتراب من المشاجرة حتى لا يحدث احتكاك بينها وبين الرجال مما يعرضها لخدش حيائها وكرامتها ، إنها تبتعد عن المشاجرة حتى لو كان زوجها هو الذى يتشاجر أو أخوها ، إنها تبتعد وتستغيث بالرجل .

إذن : فشهادة المرأة على هذه المشاجرة لن تكون دقيقة لأنها كانت بعيدة.

إن المرأة بطبيعتها تبتعد عن المشاكل ، لأن هناك رجلاً مسئولاً عنها هو الذى يعولها ، ويتصدى لهذه المشاكل ويحلُّها .

إذن : فهـذه الأسباب وغـيرها من الأمـور المتعارضـة مع طبيـعة المرأة التى تجعل المرأة غيـر صالحة للشهادة الكاملة ، لأن المرأة إذا عرفت بعض التـفاصيل تغيب عنها تفاصيل أخرى ، لأنها بطبيعتها تبتعد عن المشاكل.

وفى قول الحق سبحانه :

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ (٢٨٢) ﴾ (البقرة)

توضيح للمسـألة ، فالضلال هنا يأتى من عدم دقـة المشاهدة ، ومن حرص المرأة على الابتعـاد عن المشاكل والمشاحنـات أو الاشتباكـات التى يحدث فيـها العنف.

□□□

مهمة المرأة فى الحياة

فى قصة آدم عليه السلام يقول الحق سبحانه وتعالى لآدم وحواء يحذّرهما من الشيطان ، قال عنه إنه ﴿عَدو لَكَ ولزوجك﴾ .

إذن: فالعداوة موجودة مسبقاً لأن إبليس رفض السجود لآدم كما أمره الله.

ويقول الحق سبحانه لآدم وحواء :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ ﴾ (طه)

هنا الخطاب للاثنين آدم وزوجه ، وكان المفروض من الناحية الأسلوبية والخطابية أن يقول القرآن «فتشقيا» ، لكن القرآن عبّر التعبير السليم الموحى ، التعبير الذى يعطى كل واحد منهما مهمته « فتشقى » أى : أن الشقاء لآدم وحده ، فكأن آدم خلقه الله سبحانه للكفاح ومواجهة صعوبات الحياة ، أما حواء فقد خلقها الله سكناً لآدم.

إذن : فآدم يتحرك ويعمل ويكدّ ويكدح فى الحياة ، ثم يأتى ليهدأ عندها.

إنها هى مصدر الحنان والعطف الذى يمسح بيده كل متاعبه لتزول ، فيستأنف الحياة بعد ذلك بشىء من النشاط.

والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم)

إذن : فالمهمة الأساسية للمرأة هى أن يسكن إليها الرجل ، وكلمة ﴿لِيَسْكُنُوا إِلَيْها﴾ كلمة معبرة ، فمعنى السكن إليها أن الرجل كان متحركاً يكدح ويعمل ويأتى ليسكن عندها.

وبعد ذلك تجىء المهمة الثانية : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً .. (٢١) ﴾

(الروم)

وبعد ذلك يجىء البنون والحفدة ، يقول الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً (٧٢) ﴾ (النحل)

إذن : فمهمة المرأة هى أن يسكن إليها الرجل، وإذا قدَّرَتْ المرأة هذه المهمة فإنها تجدها تستوعب كل وقتها ، إنها تهىء من أجله وتعدُّ له ما يرتاح به من عناء العمل ، فيأتى ليجد بيته ساكناً وهادئاً ومستقراً.

كل أموره منظمة ومرتبة ، بعد ذلك يأتى الأولاد والأحفاد وتستمر الحياة بهذه الطريقة التى سَنَّها الحق سبحانه وتعالى وأرادها منذ بدء الخلق.

إن عمل الرجل هو التعامل مع أجناس الحياة. فإذا كان زارعاً فهو يتعامل مع الأرض وأدوات الزراعة ومتطلباتها وما إلى ذلك ، أى أنه يتعامل مع أشياء ، وهذه الأشياء كلها مخلوقة لخدمة الإنسان ، لأن الإنسان هو أرقى وأرفع الأجناس كلها .

ومهمة المرأة هى التعامل مع ذلك الجنس الراقى وهو (الإنسان) كزوج ، وكجنين - كجنين فى بطنها ، وكوليد تحمله وتعطى له المُثُل والقيم وتربّيه .

إذن : فالرجل يتعامل مع الأشياء التى هى أقل من الإنسان أهمية ، أما المرأة فتعاملها الأساسى هو مع الإنسان ، لذلك فمهمتها أعظم وأرقى من غيرها.

إننا حين ننظر إلى طفولات الحيوانات نجدها كلها قصيرة المدة وأطول طفولة هى للإنسان.

والطفولة هذه هى ميدان عمل المرأة ، فما دامت الطفولة زادت فإن المهمة تكون أعظم.

والحيوانات كلها مهمتها أقل من مهمة الإنسان ، وطفولة الإنسان تتناسب مع مهمته فى الحياة ، ولأن مهمته عالية ، فهو أرفع الأجناس على الأرض ، لابد أن تكون فترة تكوينه (طفولته) طويلة لكى يستطيع أن يمتلىء بالمبادىء والقيم والأشياء التى تعينه على مهمته فى الحياة .

من الذى يتعامل مع الطفل ؟ إنها المرأة ... فالرجل يخرج إلى عمله ويبقى الطفل مع أمه إلى أن يذهب إلى المدرسة فى سن السادسة مثلاً ... وإلى سن السادسة يكون عقل الطفل فارغاً ، والمُثُل والقيم تبدأ تملأ عقله ، فمن الذى يملؤه؟ إنها المرأة ، فالأم هى التى تكون مع الطفل فترة طويلة.

فإذا كانت الأم مشغولة بأى عمل من الأعمال فإنها ستتركه لمن يرعاه خادمة مثلاً ، والخادمة قد تكون أمينة ولكن لا يمكن أن يكون لها قلب الأم.

قد تكون الخادمة أمّاً وتحنو على أطفالها وتعطف عليهم ، ولكنها مع أطفال غيرها قد تعطف عليهم ، ولكنها لن تصل أبداً إلى درجة عطف أمهم وحنانها .

لقد قرأت فى أحد الكتب «أطفال بلا أسر ... » أنهم وجدوا أن نمو الطفل متخلف ؛ لأنه يتعامل مع مُرَبّية.

إن الطفل إذا كان فى مجتمع من أبيه وأمه وإخوته المتفاوتين فى الأعمار ، ومع جدته وجده ، فإنه ينشأ أفضل من غيره ، فالطفل الصغير يلتقط من كل جيل ، وهذا هو سر القرآن فى أنه قال ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً .. (٧٢)﴾ (النحل)

الإنسان السوىّ هو الذى سبق له فى طفولته أن تعامل مع كل قطاعات الإنسان : الكبار والصغار ومتوسطى الأعمال ، وخاصة قطاع الرحمة والحنان الخاص : الأم.

إذن : فالمرأة مهمتها هى التعاون مع أرقى الأجناس على الأرض وأرفعها وهو الإنسان ، فمهمة المرأة سكن للزوج ، وبعد ذلك حاضنة للأطفال ، وهذا يعطيها أعلى منزلة ومكانة فى الحياة ، لأن مهمتها هى أشرف مهمة فى هذا الوجود .

ويجب أن تفخر المرأة وتعتز بمهمتها هذه كل الفخر وكل الاعتزاز .

□□□

عمل المرأة

ما الذى حدث ؟ لقد أخذت القضية مساراً خاطئاً ، وثارت شبه معركة بين المرأة والرجل ، فلا المرأة قنعت بمهمتها ودورها فى الحياة ، ولا الرجل رضى بمهمة المرأة ودورها الذى خلقها الله من أجله.

لقد دخل كل من الرجل والمرأة فى تنافس شديد ومعركة غير متكافئة ، وهذا هو الذى أوجد مشكلة ليس لها ما يبررها.

ولم تكن لتوجد لو أن كلاً من الرجل والمرأة رضى بما قدَّره الله له فى الحياة.

لقد أصرَّتْ المرأة على أن تزاحم الرجل فى العمل ظناً منها أنّ فى ذلك مساواة بينهما فى الحقوق والواجبات.

والرجل أيضاً استسلم لمزاحمة المرأة له فى العمل ، بل ودفعها إلى ذلك ، فماذا كانت النتيجة ؟

الاختلال أصاب المجتمع ، وبعض الناس يقول : إن الضرورة اقتضت خروج المرأة للعمل، ونحن لا نتحدث هنا عن وضع شاذ ، بل عن أمور طبيعية.

إن عمل المرأة أضاع الأجيال الجديدة ، لقد افتقد الأطفال حنان الأم ورعايتها مما أصابهم باضطراب نفسى انعكس على سلوكهم فى شبابهم .

يقول البعض : إن دُور الحضانة حَلّت هذه المشكلة ، وأن المرأة يمكنها أن

تترك أطفالها فى دور الحضانة فى رعاية مُشرِفات مثقفات.

نقـول لهم : إن هذا الكلام لا يتفق مع الواقـع فلن تستطيع امـرأة أن تعطى حنانها لعدد كبير من الأطفـال ، إنها إذا أعطت حنانها وعطفها لطفلين أو ثلاثة فستُهمِل بقية الأطفال.

كمـا أنّ عاطفة المشـرفات مهـما بلغت درجة الـثقافـة والتدريب لأيهن لن تصل أبداً إلى درجة العطف والحنان الطبيعى عند الأم.

لقد وضع الحق سبحـانه وتعالى فى قلب الأم مقـومات الحب والاهتـمام والرعـاية الكافـية للطـفل ، ولايمكن لأى امرأة أن تـعطى أطفال غـيـرها نفس الحنان الذى تعطيه لأولادها.

إنّ الحيرة النفسـية التى أصابت أجيال الشبـاب فى كل بلاد العالم منشؤها الابتعاد عن حنان الأم وملازمتها لأولادها.

فالطفل الذى حُرِم من ذلك الحنان ينشأ قاسياً لا يحس بالانتماء ، فروابط الأسرة لديه تفككت ، لا يعرف شيئاً عن القيم الاجتماعية والتضامن والإيثار ، وغير ذلك من الأخلاق القويمة .

وفضلاً عن ذلـك كله نكون قد حَمَّلنا المرأة أكثـر من طاقتها ، فـهى مكلفة بأعباء المنزل وأعباء العمل ، فلا تجـد وقتاً لإعداد الطعام ، ولذلك نجد عدداً من الزوجات العاملات يـقُمْنَ بإعداد الخضار فى أماكن العـمل ، مشغولات وهن فى العمل بمتطلبات البيت من طعام ورعاية وغير ذلك من الأمور.

الواحدة منهن تعود من عملهـا مُتعبة لتجد أنهـا لا بد أن تجهز الطعام وتحل مشاكل أولادها التى حدثت نتيجة غيابها عن المنزل ، فإذا انتهت من ذلك ومن

بقية شئون المنزل يعود الزوج ليجدها مكدودة مرهقة فى غاية التعب ، والزوج له مطالب ، وأهمها أن يجد فى بيته سكناً ومودة وامرأة تستقبله ببشاشة لتزيل عن نفسه ما علق بها من أوشاب العمل وتعب النهار وشقائه ، ولكنه بدلاً من ذلك يجد زوجته مرهقة ، لا هى سكن ولا هى مستريحة الأعصاب وغير قادرة أن تستقبله بابتسامة.

مهمتها إذن قد فسدت ، كل هذا لأننا خرجنا عن المفهوم الحقيقى لمهمة المرأة.

بعض الناس يقولون: إن خروج المرأة للعمل فيه تخفيف عن الرجل ، وأنها تقوم بواجبها كسكن للزوج وتؤدى رسالة المودة والرحمة ، وإلى جانب ذلك تخفف عن زوجها وتعينه على زيادة الدخل من أجل رفع مستوى المعيشة فى الأسرة .

نقول لهؤلاء : أنتم تخلطون الأمور وتعكسون منطق الأشياء ، فالمرأة فى الواقع بخروجها إلى العمل لم تخفف من شقاء الرجل.

فالرجل ما زال فى تعبه إنه ما زال شقياً ، والجديد الذى حدث هو أن المرأة ازدادت شقاءً.

فالرجل لم يأخذ (نصف عمل) فى الخارج ، إنه ما زال يعمل عمله ، وإذا تعللت المرأة بمشاركة الزوج فى عمله لتزيد الدخل للوصول إلى مستوى حياة أكبر .

نقول لها : ليس المفروض فى الإنسان الذى له قيم سماوية أن يفرض مستوى الحياة أولاً ، وبعد ذلك يحمل الدخول عليه ، لا المفروض أنه على قَدْر

دَخله يحدّد حياته والذى يُتعب الناس هو أنهم يحددون أولاً مستوى الحياة ، ثم إذا لم يَكْفِ الدَّخْل يبدأون فى البحث عن الأبواب الخلفية ، وقد ينحرفون أو يرتشون.

إن الإنسان المؤمن ينبغى عليه الرضا بالقضاء والقدر والتسليم بما قسمه الله له فى الرزق ، وينظم حياته حسب ما يأتيه الله من الرزق ، لا أن يخالف شرع الله ليزيد الرزق ، هذا عكس للقضية وتسطيح لها.

إننا لو نظرنا إلى عمل المرأة لأشفقنا عليها ، لأن مهمتها ستكون أصعب وأشق من مهمة الرجل ، لأن الرجل يعمل ويسعى فى سبيل الرزق ثم يرتاح بعد ذلك .

أما المرأة فتعمل خارج البيت وتعود لتعمل داخل البيت ، وأيضاً تعانى من الحمل والولادة والإرضاع ، والمرأة بطبيعتها مخلوق ضعيف ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (لقمان)

ففى هذه الآية الكريمة يُلفتنا الحق عز وجل إلى أن المرأة بحكم خَلْقها ضعيفة ، وأن الحمل يزيدها ضعفاً على ضعف.

إذن : فهذه مشقة تتحملها المرأة إضافة إلى مشقات العمل فى البيت والوظيفة ، فتزداد المرأة إرهاقاً وتعباً وشقاءً. فهى إذا وضعت طفلاً تحتاج إلى فترة طويلة تلازم فيها الفراش عدة أسابيع بعد الولادة حتى تستعيد قوتها ، ثم يأتى الطفل محتاجاً أيضًا إلى رعاية وعناية من رضاعة وتغيير مستمر لملابسه

الداخلية والخارجية ، وإعداد الطعام له فى فترات متقاربة.

تذهب المرأة إلى عملها وقلبها مشغول على طفلها ، فلا تستطيع أن تعمل شيئاً ، ولا أن تفكر تفكيراً سليماً ، ولا أن تعطى انتباهها للعمل ؛ لأنها مشغولة بشيئين ، والحق سبحانه وتعالى لم يجعل لأحد منا قلبين فى جوفه.

إذن : السكن هنا ـ وهو المهمة الأساسية للمرأة ـ قد ضاع ، وضاع معه الاستقرار والسلام فى البيت والأسرة. ولقد وضع الإسلام شروطاً لعمل المرأة وهى :

١- عدم وجود العائل أو عجزه .

٢- الخروج مع مَحْرم

٣- عدم مزاحمة الرجال أو الاختلاط بهم .

٤- ملاءمة طبيعة العمل للمرأة .

والحق سبحانه وتعالى يُحدّثنا فى قصة موسى عليه السلام مع ابنتى شعيب عليه السلام ، فيحكى أن موسى عليه السلام بعدما خرج من مصر واتجه إلى فلسطين ، وعندما ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد امرأتين تذودان (أى : تمنعان ما ترعيان عن الماء) فلأى شىء خرجتا إذن ؟

قال لهما موسى عليه السلام : (ما خطبكما ؟) ، (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى : حتى ينصرف الرعاة عن البئر.

ومعنى ذلك أن المرأتين وقفتا بعيداً لا تسقيان حتى ينتهى الرجال من سقى ماشيتهم ، وبعد ذلك يذهبن للبئر.

إذن : فالمرأتان أخذتا الضرورة بالقدر المناسب لهن ، ومع أنهما فى ضرورة وخرجتا للعمل ، فلم تنس واحدة منهما أنها أنثى يجب أن تحترم أنوثتها ، فقالتا :

﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ .. (٢٣)﴾ (القصص)

أى: أنهما ستسقيان من بعد أن يذهب الزحام من الرجال حول البئر . إذن: فقد أخذت بنتا شعيب الضرورة فى حجمها ولم تتخذ إحداهما من الضرورة حجة لإهدار الأنوثة والتزاحم للوصول إلى البئر .

فهما يدركان أنهما نوع لا يصح أن يحتك بالنوع الآخر ، ثم عللتا سبب الخروج بقولهما (وأبونا شيخ كبير)، فكأن (أبونا شيخ كبير) تبرير لهذا العمل.

إذن: فالآيات الكريمات تحدد أن الضرورة قد تلجىء المرأة للعمل ، ولكن حين تخرج لا تنسى نوعيتها ولا تختلط بالرجال.

إن الإسلام لم يترك شيئاً إلا وضع له نظاماً وضوابط ، فالمرأة لا تعمل إلا للضرورة. كأن لا يوجد من يعولها أو ينفق عليها ، وبشرط عدم المزاحمة والاختلاط مع الرجال أو العمل فى أوقات غير متناسبة مع طبيعة المرأة.

إن المجتمع المسلم يجب أن يساعد المرأة على قضاء ما يحتاج إليه بلا مقابل.

الواقع يقول : إن خروج المرأة للعمل قد أفسد الحياة ، فعمل المرأة يتسبب فى وجود خواء وفراغ قاتل فى البيت. إنهم يقولون إن المرأة نصف المجتمع ، فكيف نعطل المجتمع عن العمل ؟

ونقـول لهم : عمل المرأة تـسبب فى إفساد كل المجتـمع وليس النصف ، فالأطفال يحتاجون إلى أمهاتهم.

والرضاعة الطـبيعية أهم شىء فى تـكوين الطفل ، والعالم كله الآن ينادى بالرجوع إلـى الرضاعة الطبـيعـية ... بعد أن ذاقـوا مرارة الرضـاعة الصناعـية واللبن الصناعى.

إنَّ تفرُّغ الأم لأولادها يجعلهم يحسون بالأمان طوال حياتهم.

إن الطفل وهو يرضع من ثدى أمه يصير جزءاً منها ، فاللبن الذى تكوّن منه جسم الطفل وخلاياه وأجهزته هو نفسه الذى تكوّن منه جسم وخلايا وأجهزة إخوته فى الرضاع .

إذن : فالرضاعة الطبيعية لا يمكن تعويضها بأى ألبان صناعية.

رحم الله أمير الشعراء الذى قال :

لَيسَ اليتَيمُ مَن انْتَهَى أَبَوَاهُ
مِنْ هَمِّ الحيَاةِ وَخلَّفَاهُ ذَليلا
إنَّ اليتَيمَ هُو الذى يَلقَى لَهُ
أُمَّا تَخَلَّتْ أَو أَبَاً مَشغُولا

إن المرأة إما أن تكون أُمّا ورَبة بيت أو امرأة عاملة.

والأم التى تتـخلى عن أولادها بخـروجهـا إلى العـمل تذوق نتـيجـة ذلك جحـوداً فى عقـوق أبنائهـا عندما يكبـرون ، لأنهم فقـدوا الحنان والانتمـاء فى صغرهم .

إن أحداث الحياة ستضطر الناس لكى يرجعوا إلى الحق ، ويعرفوا أن مهمة المرأة تكون فى زوجها وأولادها ، وأن عملها داخل بيتها أفضل وأهم ملايين المرات من العمل خارج البيت .

ويقول بعض الناس : إن المرأة يجب أن تعمل حتى تساهم فى بناء المجتمع ، ونقول لهم : أىُّ مجتمع هذا الذى يُبنى على أطلال الأسرة وعلى ضياع وخراب الأجيال الجديدة وفسادها ؟

الحجــاب

أوضحنا فـيما سبق أن الحق سـبحانه وتعـالى خلق المرأة لمهمة مـعينة ، هى السكن للزوج والحاضنة لأولادها والمربية لهم التربية الإسلامية القويمة.

والقرآن الكريم يحـدثنا عن شيء آخر فى هذه القضـية ، ففى قصـة موسى مع شعيب عليهما السلام وابنتيه ، يقول الحق سبحانه (فسقى لهما) وهذه لقطة أخرى توضح لنا مهمة الرجل فى الحياة ، سـقى لهما : أى أعانهما على أداء ما خرجا من أجله وهو السُّقْيا للماشية ، وهو فعل ذلك بدافع من شهامته ومروءته وأخلاقه القويمة حتى يُسرعا بالرجوع إلى البيت .

هذه ينبـغى أن تكون وظيـفة المجـتمع المسلـم حين تحـتاج امـرأة إلى شيء وتضطر للخروج من بيتـها لحاجة من الحاجات ، أو لعمل من الأعـمال إذا فقد العائل أو عجز عن القوامة.

إذن ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص)

هذه لقطة من قصـة تدلنا على أن القرآن الكريم قرر لنا أن هذا بيـتها ولكن ظروفها التى اضطرتها إلى الخروج ، يجب ألا تخرجـها عن نوعها ، فلا تحسب نفسها رجلاً وتزاحم الرجال ، وعلة الخروج (وأبونا شيخ كبير).

بعد ذلك جـاء دور المجتمع (فـسقى لهما) والمجـتمع سواء أكـان مجتمـعاً قريباً أو بعـيداً. مجتمع الأسـرة الذى يعتبر أن المرأة من لحمـه ودمه إذا خرجت

لتعمل يَـغار عليها ، أما إذا لم تجـد فلا مانع لأن تخرج على أن تـأخذ الضرورة بقدرها ولا تزيد عليها.

ومسألة خـروج المرأة لها جوانب أخرى مـهمة ، فالحق سبـحانه يلزم المرأة عند خروجها من بيتها :

أولاً : بعدم الاختلاط بالرجال وعدم المزاحمة.

ثانياً : بأن تكون على هيئة غير مثيرة . لماذا ؟

حتى يكون فى ذلك حماية للمرأة ، مما قد يحدث لها من أضرار ، وحماية للمجتمع كله من الفساد.

حماية للمرأة ، كيف ؟

سبق أن قلنا فى الماضى : إن الشعور له أقسام ثلاثة :

الإدراك ، ثم الوجدان ، ثم النزوع .

والتشريعات كلـها إنما تتعرض وتهتم لقسم واحـد فقط من هذه الأقسام ، ألا وهو النزوع .

التشريعات لا تتعرض لعملية الإدراك ، ولا تتعرض إلا لعملية واحدة هى عملية (النزوع) .

وعلماء النفس قسـموا مظاهر الشعور إلى ثلاثة أقسام : إدراك ـ وجدان ـ نزوع .

وقالوا : إن الإنسان يرى زهرة جميلة فى الحديقة ، رؤيته لها هى «الإدراك» فإذا أعـجبه شكلهـا وأحبّه كان ذلك هو «الوجـدان» ، فإذا وجد فى نفـسه أثراً

لذلك الإدراك والوجدان فإنه يذهب ليقطف تلك الزهرة وهذا هو «النزوع» ، وهنا فقط يتدخل القانون .

والتشريع يتعرض لحالات النزوع ، ولا يتعرض لحالات الإدراك والوجدان إلا فى مسألة واحدة ، هى ما يتعلق برؤية الرجل للمرأة ، لأنه ليس من الممكن هنا فصل عملية الوجدان عن النزوع ، فالإنسان حين يرى امرأة فرؤيته لها (إدراك) وقد تعجبه ، وإعجابه بها (وجدان) ، وهذا الإعجاب هو (مُوتور) داخلى عمل فى نفسه عملية نزوعية لا يمكن أن نفصل العملية الوجدانية عن النزوع ، هنا الأمر يختلف عن موضوع الزهرة ، فالإسلام يمنع عملية الإدراك من الأساس.

فلو أباح لك الإسلام الإدراك ثم حَرَّم عليك النزوع ستعيش قلقاً متعباً.

والحق سبحانه وتعالى هو المُشرِّع الرحيم العارف للنفوس ، ولذلك فهو يمنع الإدراك لأنه لو نظر الرجل إلى المرأة وأعجبته ماذا يكون الموقف ؟!

الموقف يعلمه الله ونعلمه جميعاً من واقع الحياة ، وفى ذلك المعنى يقول أمير الشعراء شوقى :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ

فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

والحق سبحانه وتعالى منع الإدراك حتى لا يحدث وجدان ، لأنك هنا لا تستطيع الفصل بين الوجدان والنزوع .

ولذلك أمر الحق سبحانه وتعالى الرجال بغض البصر ، وأمر المرأة بالحجاب ، يقول المولى عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (الأحزاب)

وفى هذا الحجاب حماية عظيمة للمرأة من جانبين :

أولاً : حماية للمرأة بصفة خاصة من أن ينظر إليها أحدٌ نظرة تجرح مشاعرها وحياءها ، أو من أن يفعل أكثر من مجرد النظر .

ثانياً : حماية للمرأة بصفة عامة من أن يهجرها زوجها أو يتخلى عنها أو يهملها إذا رأى من هى أجمل منها.

إن الإسلام بتشريعه الحجاب إنما يحمى المجتمع من الفساد ويُؤمّن حياة المرأة نفسها ، لأن الرجل المتزوج امرأة متوسطة الحسن أو قليلة الجمال أو حتى جميلة ولكنها وصلت إلى الأربعين أو الخمسين من عمرها أو تعرضت لعمليات الخدمة والولادة والرضاع ، وأثّر الزمن فى شكلها ونضارتها ، هذا الرجل حين يخرج إلى الشارع ويرى امرأة فى مقتبل عمرها شابة ومتزينة ماذا يكون موقفه منها حين يراها ؟

سيتأثر دون شك وتلتهب غرائزه بعد أن كانت هادئة وطبيعية مع أهله ، ولكن هذا المنظر ألهب غرائزه ، وعندما يعود إلى زوجته يبدأ فى المقارنة بينها وبين مَن رآها فى الشارع ، وهذه المسألة تؤدى إلى خراب كثير من البيوت .

إذن : فالمرأة فى الحالة الأولى ، وهى البنت الجميلة ستصل بعد خمسة عشر عاماً أو عشرين سنة إلى السن الذى يَذْبل فيه الجمال وينتهى، فنقول لها : لا تتبرجى حتى لا تلهبى غرائز أناس فتفسدين عليهم بيوتهم ، واعملى لمستقبلك حتى تكبرين وتصلين إلى هذه السن الكبيرة ، حتى لا تأتى فتاة

صغيرة وجميلة ساعتها لتفسد عليكِ زوجك وبيتك .

الإسلام يقول للمرأة : إننى سأؤمِّن لكِ حياتكِ فى المستقبل ، لأنكِ ذات يوم ستصيرين امرأة عادية شاحبة الجمال ، ويومها يمكن أن تفسد عليكِ زوجك أو ابنك فتاة فى مثل سنك ومظهرك الآن.

فالإسلام لكى يرحم المرأة ويُؤمِّن حياتها يمنعها من أن تفسد على الناس حياتهم حتى لا يرتد عليها فعلها من امرأة أخرى فى المستقبل.

والإسلام حين جاء ليحدد الإدراك كانت المسألة الوحيدة التى حدد الإسلام فيها الإدراك هى مسألة النظر إلى المرأة ؛ لأن هذا النظر يؤدى إلى وجدان ، وهذا الوجدان يصحبه نزوع ، ولا يمكن الفصل بينهما.

إن فساد البيوت مرجعه هو هذا الأمر ، ولذلك فالإسلام يريد أن يكرم المرأة ويجعلها فى مكانها ، فحين يحرم الإسلام على المرأة أن تتبذَّل أو تتبرج أو تُبدى زينتها إلا لزوجها ، فهو يريدها أن تكون زوجاً تمثل السكن والمودة والرحمة ، وأماً تمثل الحنان والعطف لأشرف جنس فى الوجود الإنسان .

الحكمة من الحجاب

يقول الحق سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾

(الأحزاب)

ويقول :

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ .. (٣١)﴾ (النور)

هذا هو حكم الله تعالى بالنسبة للمرأة المسلمة ، أن تُخفى الزينة اللافتة للنظر.

وأحكام الله سبحانه وتعالى كلها أحكام فيها عطف ورحمة ، وكلها تؤدى إلى الخير دائماً ، إن الحق سبحانه وتعالى يُقيد حركتنا وحريتنا فى أشياء لكى يعطينا الخير ويمنع عنَّا الشر ، لأنه يعلم بحكمته الشاملة ماذا يفيد عباده المؤمنين وماذا يضرهم ؟

إنَّ حكمة هذه الأحكام الإلهية كلها هى إبعاد المجتمع كله عن الفتنة والعمل على استقرار المجتمع وشيوع الأمن والسلام فى أرجائه ، يقول الحق سبحانه :

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ .. (٣١)﴾ (النور)

نفهم من هذه الآية الكريمة أن الحق سبحانه وتعالى يضع الضوابط والقواعد التى تمنع الفتنة للحفاظ على أمن الأسرة واستقرارها.

ولذلك يُحرِّم الإسلام كل شىء يكون فيه فتنة من المرأة للرجل الغريب عنها ، ومنعها من إبداء زينتها لغير محارمها. ومحارم المرأة هم :

الأب، والأخ، والابن، وابن الأخ، وابن الأخت، والزوج، ووالد الزوج، وأبناء الزوج.

وهؤلاء المحارم الذين ذكرتهم الآية الكريمة لا تحرض المرأة على إبداء زينتها أمامهم ، وحتى إن أبدت زينتها أمامهم فهذه الزينة لا تثيرهم ولا تحرك فيهم أية شهوة ، لأنهم إما لم يبلغوا بعد سن الشهوة ، أو لأنهم تعدوا هذه المرحلة والأمومة والأخوة والبنوة تضع حاجزًا نفسياً منيعًا ضد التأثر بالزينة أو حتى الإحساس بها.

وللحجاب حكمة بالغة لو عرفتها المرأة ، ولم يكن الله قد فرضه لطالبت هى به لأن فيه تأميناً وضماناً لسلامتها وحياتها ، وذلك لأن جمال المرأة وبهاءها لا يدوم فترة طويلة ، ولو لم تأخذ النساء بالحجاب لصارت هناك فوضى ومنافسة بين النساء الصغيرات والكبيرات على قلوب الرجال ، وهناك تنافس ينتهى بالطبع لصالح الصغيرات الجميلات .

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى منع هذه الفوضى وأمر بالحجاب

والاحتشام ، بل إنه حرم تعمد المرأة اهتزاز جسمها من أجل ظهور مفاتنها ، أو ليعلم الناس ما خفى من زينتها ومفاتنها.

قال تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ (النور)

ولو حجبت جميع النساء زينتهن عن الرجال لَصِرْنَ جميعًا آمنات من فقدان أزواجهن ، ومن تغيُّر أنفسهم من ناحية زوجاتهن ، ولظللن محتفظات بحبهم لهن وإقبالهم عليهن.

إن تشريع الحجاب وُضع أساساً لحماية المرأة من تغيُّر الزوج أو فساد البيت والأسرة .

ولو نظرنا إلى مسألة الفتنة لوجدنا أن خطرها كبير على الإنسان وعلى المجتمع كله ، ولو فكرنا فى أسباب الفتنة بين الرجل والمرأة لوجدنا أن السبب الأساسى لها هو النظرة ، ولذلك يقول الحق تعالى :

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ (النور)

وقال أيضاً :

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..(٣١)﴾ (النور)

فلو تأملنا معنى هاتين الآيتين الكريمتين لوجدنا أن الحق سبحانه يُحرِّم النظرة بين الرجل والمرأة إذا كان غريباً عنها أو كانت غريبة عنه ، وعلة هذا التحريم هو : أن النظرة هى بداية النزوع بالنسبة للرجل والمرأة فإن النظرة إذا

حدثت فلا يستطيع الإنسان التحكم فى نفسه أو فيما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

إذن : فالنظرة قد تقود إلى المعصية ، فهى أول أسباب الزنا ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « النظرة سهم من سهام إبليس » [1] .

وقال : «زنا العين النظر»[2] .

إذن : فتحريم النظر له حكمة بليغة ، وفيه حماية للمرأة وللرجل أيضاً .

قالت أم سلمة : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة ، فأقبل عبد الله ابن أم مكتوم (وكان أعمى) وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب ، فقال النبى ﷺ : احتجبا منه فقلنا : يا رسول الله ، أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه » .

وقول الحق سبحانه:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأحزاب)

يدلنا على أن للحجاب حكمة وفضائل كثيرة منها طهارة القلب والجوانح والجوارح أيضاً ، لأن الفتنة والإغراء يؤدى إلى فساد القلب ، وفساد القلب يؤدى إلى فساد العقل ، وفساد العقل يؤدى إلى فساد الحياة .

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٤/ ٣١٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى فى تلخيصه .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه (٦٦١٢)، ومسلم فى صحيحه (٢٦٥٧) كتاب القدر من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذِّبه » .

وبعد ..

فإنى أقول لمن تزعـم الإيمان بالله واليوم الآخر بعد كل هـذا وتُصرّ على ما هى فيه من الكبـر ، وكأنها لم تسمع شيئاً ، أقـول لها : أبشرى بما أنت أهل له ، أبشرى بقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) ﴾ (لقمان)

□□□

أحكام الحجاب

إن أحكام الحجاب لم تثمر ثمرتها ، ولا أعطت نتيجتها الطيبة فى المجتمع الإسلامى فى الماضى ، إلا لأن الناس فى ذلك المجتمع قد آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وكفروا بكل أرباب الأرض حتى أشربوا فى قلوبهم روح الإسلام ومقاصده وغاياته وأهدافه السامية ، وأصبحت تصوراتهم ومعاييرهم ومقاييسهم إسلامية محضة.

فما يريده الله ورسوله ، وما يؤثرانه ويُفضّلانه ، وما يُقرّانه للناس فى دنياهم إنما هو الحق المبين الذى لا ريب فيه يتمسكون بكل قوة ويتمثلونه فى حياتهم مهما كانت تصورات غيرهم مختلفة ، ومهما كان ظلم عاداتهم وتقاليدهم وطغيان العرف الذائع بين ظهرانيهم.

فالمسلم يتلقى أمر ربه عز وجل ورسوله ﷺ ويتحرك به توّاً ، ويمضى فى سبيله جاداً حاسماً لا يهمه ما عليه هذه الكتل البشرية التائهة الضالة الذاهلة عن حقيقتها وعن مصيرها الأسود.

هذا هو الإيمان الأصيل الذى خالط بشاشة قلوب الرعيل الأول من المؤمنين وهو الذى دفع نساء الأنصار أن يقمن فور سماع قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ

يقمن إلى مروطهن فيشققنها ويعتجرن بها حتى جئن فى صلاة الغداة وكأن على رؤوسهن الغربان ، ولذلك أثنت عليهن أم المؤمنين عائشة ﵂ ، فلم تتعلل أىٌّ منهن بالخوف من ذهاب الأناقة أو قسوة الحَرّ صيفاً ، وكُنَّ يعشن فى بلاد جافة شديدة القيظ صيفاً ، ولم تقع منهن كلمات عصرية ، وكذلك كانت أمهاتنا وكان الناسُ .

لم تتشدق واحدة قائلة : «اقنعونى بضرورة هذا الأمر» ولم تَلُذْ إحداهن بالتحررية والانطلاقية إلى غير ذلك مما أملته الشياطين على أبناء هذا الزمن المنكوبين .

يكفيهن أن هذا الأمر (فليضربن) منزّلٌ من عند الحق سبحانه ، وجاء من فوق سبع سماوات ليحرك ذلك المجتمع المبارك فى اتجاه يرضاه الله ويمقت ما عدا ذلك مقتاً كبيراً.

ونحن إذا أردنا أن نعيد التجربة بنفس النجاح الذى حققه المسلمون الأوائل فلا بد من تهيئة أسباب هذا النجاح لا بد أن يكون جهاز الاستقبال مُعافى من العطب حتى ينفعل بإشارات الإرسال بطريقة صحيحة.

إذن : لابد أن يكون الموجه إليهن هذه الأحكام والتعليمات الإلهية يتمتعن بالقوة الإيمانية والخلقية ذاتها التى كان عليها فُضْليات الإسلام الأوليات ، وبقدر التفاوت فى هذه القوة الإيمانية يكون التباين والاختلاف فى النتائج.

فمنهن من سوف تذعن إذعاناً كاملاً لأمر ربها عز وجل ، وستكون حيث

يريدها الحق سبحانه ، وهؤلاء سيدخلون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومنهن من سوف تؤمن ببعض وتكفر ببعض ، وما جزاء من تفعل ذلك منهن إلا الخزى فى الدنيا والآخرة .

ومنهن من سوف تكفر به كله وتتولى على أعقابها ، وهؤلاء سَيـذُقْنَ عذاب الهون بكفرهن.

وبعد ذلك نمضى قُدُماً لنوضح صورة الحجاب الإسلامى من واقع كتاب الله سبحانه وتعالى والسنة الصحيحة لرسول الله ﷺ .

(١) القدر الذى يجب أن يستره الثوب «مواصفات زى المرأة المسلمة»:

يقول الحق سبحانه :

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ .. (٣١)﴾ (النور)

«الخُمُر» جمع خمار وهو غطاء الرأس . و«الجيوب» مفردها جيب وهو النحر(العنق) مع مُقدَّم الصدر ، والمطلوب أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر. كيف ؟

إنكن أكثر دراية منا فى هذا الشأن ..!!

عرفنا الآن حدود الحجاب من أعلى ، ولكن أين حدوده من أسفل ؟

الجواب فى الآية ذاتها :

﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ .. (٣١)﴾ (النور)

زينة الأرجل هي الخلاخيل ، ولما كنّ يخفينها بأثواب طويلة سابغة كما تدلنا الآية الكريمة فإنهن كُنّ يضربن بأرجلهن حتى تعلن هذه الزينة عن نفسها من وراء الحجاب.

إذن : فلا بد بموجب هذه الآية الكريمة ستر الساقين حتى مكان الزينة منهما ، أي : العقبين .

ويقول رسول الله ﷺ عندما دخلت عليه أسماء بنت أبي بكر بثياب رقاق : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يُرَى منها إلا هذا، وهذا». وأشار إلى وجهه وكفيه.

وتحكى السيدة عائشة ﵂ : «كُنَّ نساء المؤمنات يشهدن مع النبى ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لايعرفن من الغَلَس[1]» [2].

وهذه الحكاية من السيدة عائشة ﵂ ، والأخرى التى أثنت فيها على نساء الأنصار لحسن امتثالهن لأمر الحق سبحانه وتعالى تدلان على كيفية ترجمة توجيهات الله ورسوله ﷺ إلى سلوك وواقع فى المجتمع الإسلامى.

وعندما يقول رسول الله ﷺ فى حديث :

«من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» [3].

فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فيجيبها «يرخين شبراً».

---

(١) الغلس: ظلام آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح . (لسان العرب ـ مادة : غلس) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٨٦٧)، وكذا مسلم فى صحيحه (٦٤٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٣٠) حديث أبى هريرة ﵁ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث عبد الله بن عمر ﵄ .

فتقول : إذن تنكشف أقدامهن ، فيقول النبى ﷺ : «فيرخينه ذراعاً لايزدن عليه».

ومعنى هذا الكلام أن المرأة من المؤمنات كانت تجر ثوبها ورداءها على الأرض ، فحذر الرسول ﷺ من أن تفعل إحداهن هذا للاختيال والدلال ، ويرى ﷺ أن ترخى المرأة ثوبها شبراً من نصف الساق أو الكعب حسب أقوال المفسرين .

ولكن أم سلمة تخشى ظهور (القدم)، والرسول يأبى أيضاً أن يظهر القدم ، فيزيد القدر الذى يُرْخَى إلى ذراع ولا زيادة .

لأن فى ذلك ما يكفى لتغطية قدم المرأة مهما بلغت من الطول ، ويترك مجالاً للاختيار من الشبر إلى الذراع حسب ما يقتضيه طول المرأة.

فالرسول ﷺ لا يحب أن يُجَرّ الثوب اختيالاً ، ولا يحب كذلك أن يُرى القدم. فعلى المرأة المسلمة إذن أن تتخير السبيل الذى ينأى بها عن الوقوع فى أىٍّ من هذين المحظورين. إننا لو نظرنا إلى آثار هذه التعليمات :

هل ظهرت فى المجتمع الإسلامى الأول ، أو وضعت النساء أصابعهن فى آذانهن وانقلبن على أعقابهن ؟

نعرف الإجابة من هذه القصة :

تأتى أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف إلى أم سلمة وتسألها: إنى امرأة أطيل ذيلى وأمشى فى المكان القذر؟

فترد أم سلمة: قال رسول الله ﷺ : «يطهرن ما بعده» .

فأم سلمة سمعت الإجابة آنفاً من الرسول ﷺ .

إذن : فلا بد أنه ﷺ قد سُئل عن حل لهذه المسألة من نساء أطلقن ذيولهن وصادفهن القذر فى الطريق ، وهذه الأخرى تلتمس حلاً عند أم سلمة.

إذن : لا مفر من التسليم بأنها كانت ظاهرة ماضية فى هذا المجتمع الطاهر.

من هذا العرض السريع يظهر واضحاً جلياً أن المرأة المسلمة لا يحل لها أن تظهر من جسمها إلا الوجه والكفين من أعلى ولا يظهر أى شيء من أسفل.

(٢) ومن شروط الزى الإسلامى للمرأة المسلمة كذلك :

ألاَّ يكون الثوب نفسه زينة ، وهذا الشرط يُسْتقَى من مفهوم عموم قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .. (٣١)﴾ (النور)

وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ (٣٣)﴾ (الأحزاب)

وقول رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً ، وأمةٌ أو عبدٌ أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم »[1].

(٣) أن يكون الثوب صفيقًا لا رقيقًا :

نفهم ذلك من قول رسول الله ﷺ : «ونساء كاسيات عاريات مميلات

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه (١/ ١١٩) من حديث فضالة بن عبيد قال: «صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ولم يخرجاه ولا أعرف له علة» وأقره الذهبى فى تلخيصه .

مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» [١].

وقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر لما رأتها السيدة عائشة رضي الله عنها بخمار رقيق ، فشقته وقالت : أما تعلمين ما أنزل الله فى سورة النور ؟ ثم دعت بخمار فكستها.

(٤) ألا يكون الثوب مجسداً لهيئة الجسم :

نفهم ذلك من قول أسامة بن زيد : كسانى رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبى فكسوتها امرأتى فقال «مالك لم تلبس القبطية؟ فقال أسامة : كسوتها امرأتى. فقال ﷺ : «مُرْها فلتجعل تحتها غلالة ، فإنى أخاف أن تصف حجم عظامها»[٢].

إذن : فالرسول ﷺ يخاف على نساء أمته أن يلبسن ثياباً تصف حجم الجسم ، وهذا الشرط يختلف عن الشرط السابق الذى يخشى فيه ظهور اللون لرقة الثوب .

(٥) ألاَّ يكون الثوب مُعطّراً ولا مُبخّراً :

لقوله ﷺ : «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية» [٣].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢١٢٨)، وأحمد فى مسنده (٢/ ٢٢٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البيهقى فى سننه (٢/ ٢٣٤) وأورده الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٣٧) وعزاه لأحمد والطبرانى وقال: «فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات » .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ٤٠٠، ٤١٤، ٤١٨) ، وأبو داود فى سننه (٤١٧٣) والترمذى فى سننه (٢٧٨٦) من حديث أبى موسى الأشعرى. قال الترمذى: حديث حسن صحيح .

(٦) ألا يشبه ثوب المرأة المسلمة ثوب الرجل :

لقوله ﷺ : «ليس منا من تشبّه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال»[١].

(٧) ألا يشبه ثوب المرأة المسلمة أزياء الكافرات ، لأن المسلمين مطالبون في كثير من آيات القرآن الكريم ألا يتبعوا أهواء الكفار بعد ما جاءهم من البينات من ربهم .

وكان رسول الله ﷺ يتحرى مخالفة الكفار في كل شيء حتى في الهيئات البسيطة مثل : فرق الشعر أو إسداله. وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص : رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» .

(٨) ألا يكون الثوب ثوب شهرة :

لقول النبي ﷺ : «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً» [٢].

أما إذا كان وجه المرأة فيه جمال فتّان يمكن أن يؤثر على من يراه فهنا إذن ينبغي أن تستر هذه المرأة وجهها. أما المرأة العادية فنرى أنه لا ضرورة لأن تستر الوجه والكفين. إذن : فالحجاب مفروض على جميع النساء المسلمات ، أما النقاب فلا هو مفروض ولا هو مرفوض .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٢) من حديث ابن عمر ﷺ ، وكذا ابن ماجه في سننه (٣٦٠٦) .

المرأة والرجل

يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾ (آل عمران)

كلمة (إنى وضعتها أنثى) التى قالتها امرأة عمران تحسر على أنها لم تضع ذكراً أى : أن الوليد الذى جاء لا يؤدى الغرض الذى وُهب من أجله ، لأن امرأة عمران نذرت ما فى بطنها لله سبحانه وتعالى ، وكيف تستطيع مريم أن تؤدى الخدمة فى المعبد وهى أنثى ؟

وامرأة عمران تقول إن الرجل أفضل من المرأة فى ذلك ، فيبين الحق سبحانه أن هذا هو منطق الدنيا الخائب.

ويضيف الحق سبحانه (وليس الذكر كالأنثى) أى أن الأنثى التى جاءت أفضل من الذكر الذى تمنيتيه ، وكأنما الأنثى لها مكانة أكبر مما تظنين ، فلا تقولى أن الله قد أعطانى أنثى ولم يعطنى ذكراً ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الذى لا خالق غيره .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الزخرف)

ويقول الحق تعالى :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى)

إن الحق سبحانه وتعالى خلق كلا من الرجل والمرأة لمهمة معينة ، وأعطى كلا منهما مقومات هذه المهمة .

فإعطاء القوامة للرجل ليس تفضيلاً من الله للرجل ، وإنما لأن الله خلق فى الرجل مقومات هذه القوامة ، وفى نفس الوقت لايستطيع الرجل أبداً أن يقوم بشىء مما تستطيعه المرأة من العطف على الأطفال والحنان فى الأسرة والسكن والمودة .

وقد وضع الله فى قلب المرأة قدرة هائلة على الحنان والعطف لتستطيع أن تتحمل تربية الأطفال ، بعكس الرجل الذى يضيق بأطفاله ولا يستطيع أن يتحمل ، لأنه خُلق لمهمة أخرى هى الكدح والعمل وتوفير نفقات الأسرة والقوامة على الأسرة .

الرجال قوامون على النساء

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (٣٤)﴾ (النساء)

بعض الناس يفهمون معنى القوامة خطأ ، هم يفهمونها على أنها تفضيل الرجال على النساء. والحقيقة تختلف عن ذلك الفهم كليّةً ، إن من بقوم على أمر معين فهو يجعل كل حركته من أجل ذلك الأمر.

والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ (٣٣)﴾ (الرعد)

أى : أن الحق سبحانه وتعالى يرعى كل نفس ، ويوفر لها رزقها ، ويدبر أمور حياتها.

والقيام ضد القعود ، والرجال قوامون يعنى متحركين فى الحياة من أجل كفالة النساء ، ورعايتهن وتوفير متطلبات الحياة من مال وطعام لهن.

فالقيام هنا معناه المسئولية عن توفير متطلباتها هى والأولاد.

وقول الحق سبحانه ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ ليس فيه تحديد من هو المفضل ، ومن هو المفضل عليه ؟.

فكأن للرجال تفضيلاً فى أمور معينة ، وللنساء تفضيلاً فى أمور أخرى ، كلاهما مُفضّل بما يضمن له أداء دوره فى الحياة .

وأول ما نلتفت إليه فى قوله سبحانه : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

أن بعضهم لم يفسروا الآية إلا على الرجل وزوجته على الرغم من أن الآية تكلمت عن مطلق الرجال ومطلق النساء.

ولهؤلاء نقول : ليست الآية مقصورة على الرجل وزوجه ، فالأب قوّام على البنات ، والأخ قوّام على أخواته.

والقوّام هو المبالغ فى القيام ، وقد جاء الحق سبحانه وتعالى هنا بالقيام الذى فيه تعب ، وعندما تقول : فلان يقوم على القوم ، أى : لا يرتاح أبداً.

إذن : فلماذا تأخذ القوامة هنا على أنها كتّم لأنفاس المرأة ؟

لماذا لا نأخذها على أنها سعى فى مصالحهن ؟ فالرجل مكلف بمهمة القيام على النساء ، أى : أن يقوم بأداء ما يصلح الأمر.

فوَجْه تفضيل الرجل أنه القادر على الكدح والتعب والضرب فى الأرض والسعى على المعاش ، حتى يكفل للمرأة سبل الحياة اللائقة عندما يقوم برعايتها.

ويجب على المرأة أن تفرح بذلك ، لأنه سبحانه أعطى المشقة والتعب للجنس المؤهل لذلك ، لأن الكسب والسعى يحتاج إلى القوة والعزم والشدة ، أما المرأة ففيها الرقة والحنان والعطف والوداعة .

إذن : فقوامة الرجل جاءت لراحة النساء ومنعت عنهن المتاعب ، فلماذا تحزن المرأة منها ؟

والحق سبحانه يعطينا حيثية هذه القوامة ، فيقول : ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ

عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النساء)

فالحق فضّل الرجل وميّزه بالقوامة على المرأة بصفات الرجل الخِلقية التى جعلت للرجل حق القوامة على المرأة ورعايتها والقيام بمصالحها .

وكذلك كانت له القوامة بالمال ، والمال يأتى نتيجة الحركة ونتيجة التعب.

والمتمول هو الذى يتحرك فى الحياة حركة قد تكون لنفسه ، وإن اتسعت حركته فسيكون لأبنائه ، وإن اتسعت أكثر فستكون لأحفاده .

فمال الرجل سواء كان أباً أو زوجاً ليس له وحده ، ولكنه له ولمن يعولهم من نساء وأولاد ، أما مال المرأة فلها وحدها ، ورغم هذا فالرجل مطالب بالإنفاق عليها ، فهى لن تصرف أو تنفق من دخلها على نفسها .

حكمة الزواج

إذا نظرنا إلى كلمة (امرأة) وجدنا أن لهـا مقابلاً وهو (رجل) ، فالمرأة (أى الأنثى)، والرجل (أى الذكر) لو نظرنا إليهما لوجدنا أن هنـاك جنساً يجمعهما وهو الإنسان ، والجـنس هو ما يمكن أن ينشـأ منه نوعان ، أى : ينشـأ منه أفراد متساوون.

فنحن نقول : إن الإنسان (جنس) لأنه ينشأ عنه نوعان هما الذكر والأنثى ، ولا اختلاف فى تكوينهما الحقيقى .

ونحن إذا نظرنا إلـى جنس ينقـسم إلى نوعـين فـيـجب أن نقـول : إنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مـهمتين ، وإلا لو كانت المهـمة واحدة لظل الجنس واحداً ، وانقسامه إلى نوعين يدل على أن كل نوع منهما له خصوصية فى ذاته، والجنس يجمع لهما معيّة خصوصية.

ضربنا فى الماضى مثلاً بالزمن ، فـالزمن جنس يشمل النهار والليل ، النهار نـور ، والليل ظـلام ، وهـما ظاهرتـان قـد يـظـن البعـض أنهما متـعارضـتان أو متناقضتان.

نقول له : لا ، النـور لم يأت ليعارض الظلام ، ولا الظـلام يعارض النور ، ولذلك لا يصح أن نقارن بين نور وظلام ؛ لأن لكل واحـد منهما مهـمة يؤديها لا يستطيع الآخر أداءها .

فالزمن ينقـسم إلى ليل ونهار ، والزمن بجنسـيته له مـعنى ، وهو أنه ظرف

تحدث فيه الأحداث ، هذا هو المعنى المشترك لليل والنهار ، فكلاهما يشترك فى هذا المعنى .

وبعد ذلك ينقسم الزمن إلى نوعين (ليل ونهار) لماذا ؟ لأن النهار له مهمته، والليل له مهمة أخرى.

والحق سبحانه وتعالى حينما يعرض هذه القضية يعرضها عرضاً واضحاً :
﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿٦١﴾﴾ (غافر)

إذن : فقد جاءت علة وجود الليل وهى السكن والهدوء والراحة والاستقرار ، والنهار للكدح والعمل .

إذن : نحن لا نستطيع أن نقول إن الزمن كنهار دائم ينفع ، أو كليل دائم ينفع .

والحق سبحانه وتعالى يقول عن ذلك :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

(القصص)

إذن : فالحق سبحانه وتعالى من رحمته جعل الزمن نوعين ، وكل نوع منهما يؤدى مهمة معينة ، فلو أردنا أن نشبه الليل بالنهار أو النهار بالليل نكون قد خرجنا بالنوعين عما قد خلقهما الله من أجله.

نفس الشىء بالنسبة للرجل والمرأة ، فالرجل والمرأة نوعان لجنس واحد هو (الإنسان) ، فكأن هناك أشياء تتطلب من كل نوع كإنسان ، وبعد ذلك هناك

أشياء تتطلب من الرجل كرجل ، ومن المرأة كامرأة ، بحيث نستطيع أن نقول إنهما كنوعين من الجنس لهما مهمات : مهمات مشتركة كجنس ، ومهمات مختلفة كنوعين.

والحق سبحانه وتعالى حينما عرض قضية الليل والنهار ، وهى قضية كونية لا يختلف فيها أحد ، يأتى الحق سبحانه فى هذه القضية ليقدمها إيناساً بالقضية التى يمكن أن يُختلف فيها ، وهى قضية الرجل والمرأة ، فقال سبحانه:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾ (الليل)

نوعان للزمن ، ونوعان آخران يمكن أن يختلف فيهما ، فكأن لليل مهمة ، وللنهار مهمة ، وتبعاً لذلك فللرجل مهمة ، وللمرأة مهمة ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل)

ويأتى الحق سبحانه وتعالى إلى القضية العامة فيقول :

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ (٣٢)﴾ (النساء)

إذن : لا يصح أن يتمنى الرجل أن يكون امرأة ، ولا المرأة أن تكون رجلاً ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال» [1].

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٣٣٩)، والطبرانى فى المعجم الكبير (١١/ ٢٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

لأن ذلك خروج عن النوعية المقصودة ، وكذلك كل أزواج الحياة ، ومن هنا يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (الذاريات)

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ (النساء)

أي : خلق من جنسها زوجها ، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً.

إذن : فحكمة وجود الزوجية فى كل من الإنسان والنبات والحيوان التكاثر، والتكاثر فى هذه الأشياء يهدف إلى حفظ النوع .

وقد بيَّن لنا الحق سبحانه وتعالى أن لكل نوع من الجنس مهمة يؤديها. وهذه المهمة يجب أن يقف عندها ، وإذا ما وقف عندها أمكن لكل نوع أن يؤدى مهمته دون تعارض ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿٤٠﴾﴾ (يس)

بل بتساو وتعاطف ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس)

والذى يفسد الأمر أنَّ نوعاً يريد أن يُغير على حقوق نوع آخر أو واجباته ، ومن هنا يحدث الفساد فى الكون .

إذن : فلكل من المرأة والرجل دور فى الحياة خلقه الله ليؤديه، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق الزواج لكى يتعاون الرجل والمرأة فى الحياة ، ويكمل كل منهما الآخر .

فالمرأة والرجل مثل الليل والنهار يختلفان فى طبيعة المهمة فى الحياة ، ولكنهما مع ذلك يتكاملان فى أداء المهمة أى يُكمِل أحدهما الآخر .

فالرجل له وظيفته فى السعى على الرزق ورعاية زوجته وأولاده وتوفير أسباب الحياة لهم.

والمرأة لها مهمتها فى رعاية البيت وإنجاب الأولاد ، وتكون سكناً للزوج تمسح عنه الشقاء . ولذلك فإن الحق سبحانه يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ (الروم)

هكذا حدد الحق سبحانه وتعالى المهمة التكاملية للمرأة والرجل ، فلا الرجل يصلح لمهمة المرأة فى إنجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم ، ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى فى سبيل الرزق لتوفر لقمة العيش للرجل ، هذا هو القانون السائد الذى وضعه الحق سبحانه فى الكون كله.

تلك هى سُنّة الله فى الكون بصرف النظر عن الإيمان وعدم الإيمان ، ومن تمام الحياة أداء الإنسان لمهمته فيها ، فلا بد أن يقوم كل إنسان بمهمته ، أما إذا انقلبت الموازين ورفض بعض الناس أداء أدوارهم فى الحياة ، أو حاولوا القيام بأدوار أخرى هم غير مكلفين بها ، لم يؤهلهم الله تعالى للقيام بها فى هذه الحالة لابد أن يحدث الشقاء والمشاكل والتعاسة والفوضى فى الحياة .

ويقول الحق سبحانه : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا (٣٦)﴾ (يس)

وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾ (الحجر)

إذن : فـالزواج هو سُنّة من سنن الله فـي الكون ، خلقـه لإعـمـار الكون واستمرار الحياة وبقاء الأنواع .

إنّ التزاوج موجود فى الإنسان وفى النبات وفى الحيوان وحتى فـى الجماد، وهدفه التكاثر والبقاء إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى بالانتهاء .

والزواج بين الرجل والمرأة تترتب عليه مسئوليات اجتماعية كبيرة ، ولذلك يلزم للزواج أن يُقام على أسس قـوية ومتينة لكى ينجح ويستـمر ، وليس هناك أقوى ولا أبقى من أساس الإيمان ، ولذلك قـال الرسول ﷺ : «تُنكح النساء (المرأة) لأربع : لمالهـا وجمـالهـا وحسـبهـا ودينهـا ، فاظفـر بذات الدين تربت يداك»[1] .

هناك من يدخل على الزواج بغير منطق الإسلام ، فتجده يختار من تشاركه الحياة بمقياس الدين ، ولا يضع نُصْب عينيه شروط اختيار الزوجة الصالحة التى جاءت فى هذا الحديث الشريف .

فالمطلوب ألا تنظر إلى زاوية واحدة فى الجمال ، بل انظر إلى كل الزوايا ، فلو نظرتَ إلى الزاويـة التى تشـغل الناس ، الزاوية الجـماليـة ، لوجـدتهـا أقل الزوايا بالنسبة إلى تكـوين المرأة ، لأن عمر هذه المسألة "شهـر العسل" وتنتهى ، ثم بعد ذلك تبدو المقومات الأخرى .

فإنْ دخلتَ على مقوم واحد ، وهى أن تكون جـميلة فأنت تخدع نفسك ، وتظن أنك تريدها سيدة صالون .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٠٩٠) ، وأحمد فى مسنده (٢/ ٤٢٨) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

هذه الصفة أمدُها بسيط فى عمر الزمن ، لكن ما يبقى لك هو أن تكون أمينة ، أن تكون مخلصة ، أن تكون مدبرة .

لذلك ، فالفشل ينشأ فى الأسرة من أن الرجال يدخلون على الزواج بمقياس واحد هو مقياس جمال البنية ، وهذا المقياس الواحد عمره قصير ، يذهب بعد فترة .

وبعد ذلك تستيقظ عيون الرجل لتتطلع إلى نواحى الجمال الأخرى ، فلا يجدها فيحدث الفشل ، لذلك لا بد أن تأخذ مجموعة الزوايا كلها .

وخير الزوايا أن يكون لها دين .

وكذلك المقياس بالنسبة لقبول المرأة للزوج ، فخير الزوايا أن يكون له دين، فقد قال رسول الله ﷺ : «إذا أتاكم مَنْ ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» [1].

وعندما استشار رجل سيدنا الحسين بن على ؓ قال : زَوِّجها من ذى دين، إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها .

إذن : فالدين يرشدنا إلى أنه لا بد أن ننظر إلى المسألة التى سيكون لها عمر طويل فى الحياة الزوجية الممتدة .

❑❑❑

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه (١٩٦٧) من حديث أبى هريرة ، وكذا الترمذى فى سننه (١٠٨٥) من حديث أبى حاتم المزنى مرسلاً وقال: حديث حسن غريب .

صفات الزوجة المسلمة

أفضل صفـات المرأة المسلمة حين تكون زوجة تلخصـها لنا فى إيجاز بليغ أم إياس فى نصائحها ووصاياها لابنتها قبيل زواجها فتقول لابنتها :

« أى بنية : اعلمى لو أنّ امرأة اسـتغنت عن الزوج لِغنى أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكن النساء لـلرجال خُلِقْنَ ولَهُنّ خُلِق الرجال. يا ابنـتى احفظى عنى عشر خصال تَكُنْ لك ذُخْراً :

أما الأولى والثانيـة : فالمعاشرة له بالرضـا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثـالثة والرابعة : فالتفـقد لموضع أنفه وموقع عيـنه فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشمنّ منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالهدوء عند منامه ، والتفقد لوقت طعامه ، فإن مرارة الجوع مَلْهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السـابعة والثـامنة : فالاحـتفـاظ بماله ، والإرعاء عـلى حشـمه وعياله .

وأما التـاسعة والعاشرة : فإياك أن تعـصى له أمراً ، أو تُفـشى له سراً ، فإنك إنْ عصيت أمره أوغرت صدره ، وإنْ أفشيت سره لم تأمنى غدره .

وأعظُمِك بعد ذلك من الفرح إنْ كان ترحاً ، ومن الترح إنْ كان فرحاً»



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فى هذه الأيام التى نعيشها تشتد حاجة المسلمين إلى دينهم عن أى زمن مضى ، وآية ذلك إقبالهم على قراءة الموضوعات الفقهية ، وكثرة استفتاءاتهم أهل العلم فيما يجهلون من أمور الدين .

ولم يكن المسلمون فيما مضى من زمان هذا القرن يقبلون على هذا اللون من العلم ، فقد عشنا فى ثلاثينيات هذا العصر وأربعينياته والثقافة السائدة المكتسحة هى الأدب العربى ، والمترجم إلى العربية .

كانت مجلة الأزهر - على عراقتها وقوتها فى هذا الوقت - لا يقرؤها إلا المتخصصون ، وكانت مجلة الإسلام التى يصدرها المرحوم أمين عبد الرحمن متواضعة كل التواضع فى مظهرها ، قوية كل القوة فى مخبرها ، ولكنها كانت بطيئة التوزيع ، تسعى إلى قرائها فى المساجد ، فيسعون إليها سعى السلاحف ليمدوا أيديهم بثمنها الهزيل وهو نصف القرش إلى صاحبها رحمةً به ... أما مجلة الثقافة ، ومجلة الرسالة ، وهما ميدان الصراع الفكرى الأدبى ، ومجال المعارك المستمرة بين الأدباء الكبار ، وكان فارس تلك المعارك هو الدكتور زكى مبارك : الذى اشتبك حينًا مع الأستاذ أحمد أمين ، وحينًا مع الأستاذ السباعى بيومى ، وكانت معركة بين الأستاذ عباس العقاد والأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وكانت المعارك تمتد أزمنة طوالاً ، والشباب والكبار يقبلون على هاتين المجلتين ومجلة الرواية إقبالًا منقطع النظير .

أما الشئون الدينية فقد كانت فى المرتبة الأخيرة من اهتمامات المثقفين ، ولم يكن هناك ما يستولى على الألباب من ثقاف الإسلام إلا ما ينشره فضيلة الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، ودروس رمضان التى كان يلقيها

فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمهما اللّٰه . وفى غير هذا كان الدين وأهله يعيشون فى هوانٍ بين الناس ، يستقبل الناس أهله بالامتهان فى المدن ، أما فى الريف فكانت لهم قداسة لا تدانيها قداسة ، لاسيما فى صورة « سيدنا » وهو معلم أبنائهم ، وخطيب جمعتهم ، والقاص المفصل الذى يزودهم بمجموعة من القصص والموضوع ولكنه آسر للألباب .

وأذكر من ظواهر امتهان الناس لأهل الدين أن الناس فى مدينة « الزقازيق » . فى الثلاثينيات كانوا يستقبلون طلاب المعهد الدينى فى شوارع المدينة وهم بملابسهم الأزهرية بالصياح خلفهم ، وبترديد كلمات سخيفة تدل على فقدان الوعى بالإسلام ، وكثيرًا ما كانت هذه المظاهر تنتهى بضرب الطلبة إن هم اعتصموا بالوقار والسكوت .

وتكررت هذه الأحداث ، فلما اعتصم أحد الطلبة بمقهى من المقاهى ليحمى نفسه من الضرب ، ما كان من صاحب المقهى ورواده إلا أن أوسعوه ضربًا على ضرب ، ففر هاربًا حتى عاد إلى المعهد الدينى ، وقصد إلى شيخه المرحوم الشيخ محمود أبو العيون ، وشكا له ما حدث . وكان الشيخ ثوريًا قديمًا . فأخذ الطالب ، وجمع طلاب المعهد ، وكانوا ألفًا وخمسمائة طالب تتفاوت أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين ، وعرض عليهم مأساة زميلهم ، وخطب فيهم خطبة مثيرة تهيب بهم أن ينتزعوا احترام الناس فى الزقازيق لهم بالقوة .

وأعلن الطلبة الحرب على مدينة الزقازيق : لبسوا الجلاليب ، وفتحوا مخازن المعهد وكسروا الأخشاب ، وقطعوا فروع الأشجار ، ولم يصبح الصباح إلا وألف وخمسمائة يخرجون إلى الشوارع وفى يد كل منهم هراوة يحطم بها كل ما يصادفه دون تمييز .. الناس ، والمحال التجارية والصيدليات والمقاهى وكل ما فى الشارع تناولته هروات الطلبة .. ولم يسلم رجال الشرطة من هجمات الطلبة ، مما اضطر مدير الشرقية إلى الإستعانة بالشيخ محمود أبو العيون لإسكات طلابه ،

وكان ذلك على شروط ، منها أن يكون رجل الشرطة فى خدمة طلبة العلم الدينى فى أى لحظة .

تلك صورة لما كان عليه الدين وثقافة الإسلام فى المدن الكبرى .

فإذا ما جئنا إلى أيامنا هذه وجدنا الحال تتغير ، وسبحان مقلب القلوب والأبصار ، فالثقافة الدينية احتلت مركز الصدارة ، والناس يتوجهون بأسئلتهم واستفتاءاتهم إلى العلماء فى كل مكان ، والكل فى حاجة إلى الكتاب الإسلامى ، وتواضع توزيع كتب الأدب ودواوين الشعر أمام الكتاب الإسلامى ، فى دورة جديدة من دورات السيادة الدينية على كل الثقافات .

ولعل السبب فى ذلك هو إخفاق الأفكار البشرية فى تحقيق السعادة للبشر ، وتوالى الهزائم على بلاد الإسلام من أعداء الإسلام ، والوعى الإنسانى الذى تفتح فأصبح أكثر فهمًا ، وأشد أخذًا للأمور .

ومع ذلك فهناك هجوم مضاد يشنه أعداء الإسلام لتمييع هذه النهضة ؛ وإيجاد حالة من الانحلال بين الشباب تجعل السيادة للأندية ، وأفلام الإثارة الجنسية ، والعنف ، والتغريب بكل معانيه وأساليبه .

وقد ضاقت الكتب عن إشباع حاجة المسلمين ، فراحوا يبعثون باستفتاءاتهم إلى الصحف والمجلات ، وراح الكبار من العلماء يجيبون عنها . ومن أجل هذا راجت هذه البضاعة وأقبل الناس عليها من أجل دينهم ومن أجل مستقبلهم .

والشيخ الشعراوى رأس من يستفتيه الناس . وقد صدرت له سلاسل فى الإجابة عن حاجات المسلمين ، استخلصها من أعدُّوها من أفكاره ، وجعلوها كالجواب عن أسئلة ، فأفادت الناس كثيرًا ، وكان من هذه الفتاوى فتاوى حقيقية سئل عنها الشيخ من أناس مُعيَّنين بأسمائهم ، فى مواضع خاصة ، ونشرت إجاباتها فى الصحف والمجلات الشهرية والأسبوعية .

ولما كان العثور على هذه الفتاوى صعب المنال ، وتجميعها فى كتاب واحد أمرًا عسيرًا فقد جمعنا منها مائة سؤال وجواب فى هذا الكتاب ، لعل اللّٰه ينفع به الناس ، ويهديهم إلى أسرار دينهم .

وتمتاز إجابات الشيخ - رحمه اللّٰه - بأنها تقترن دائمًا بالحكمة ، فلا يكتفى بأن هذا جائز أو غير جائز ، حلال أو حرام ، وإنما يعقب على الحكم بحكمته ، ويسهب فى بيان أبعاده الإسلامية ، بما يُقنع المسلم بدينه ، ويحببه فيما يفعل ، ويبغضه فيما لا يفعل ، وتلك سمة جديدة تخرج بنا عن نطاق التخويف والترهيب إلى مجال الحب والتعصب للّٰه فيما أمر ونهى .

هذا .. وإننا نهيب بالناس أن يستوعبوا هذه الفتاوى ، فهى تعليم بطريقة سهلة ومحببة ، ليست من باب الأمر والنهى ... ولا صلاح للناس إلا فى رحاب دينهم ، ولا أمل لهم فى العودة إلى المجد إلا من خلال شرع اللّٰه .

نسأل اللّٰه أن ينفع به الناس ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدًا .

عبد القادر أحمد عطا

---

(١) انتقل إلى رحمة اللّٰه تعالى فضيلة الأستاذ عبد القادر أحمد عطا فى رمضان عام ١٤٠٣ من الهجرة النبوية الشريفة بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات وكتب التراث القيمة التى كان لها أثر طيب فى نفوس الناس .

ولما أخبرت فضيلة الإمام داعية الإسلام محمد متولى الشعراوى حفظه اللّٰه وأطال لنا فى عمره بوفاة الأستاذ عبد القادر عطا ترحّم عليه ودعا له ، وأخبرنى فى مجلس آخر أن فضيلته صلى ركعتين ودعا للمرحوم عبد القادر أحمد عطا .

رحم اللّٰه عبد القادر أحمد عطا رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

عبد اللّٰه حجاج

السؤال الأول :

حول ثواب الحج

تسأل فايدة إبراهيم : أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « إن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » فهل يتناسب هذا مع أعمال الحج ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى قائلا :

عندما يتوجه الإنسان لأداء فريضة الحج ، فإنه يترك بيته وأهله وماله متوجهًا إلى بيت اللّٰه الحرام ، ملبيًا دعوة اللّٰه ، وترى الحاجّ حين يحرم ويحج لا يخطر بباله شيء من أمور الدنيا ، فإذا ما انتهى من أعمال الحج ، تشوّق إلى أهله ووطنه ، وتلك حكمة أخرى ، لأنه لو حلا له النسك ، ولم يتشوق للعودة إلى الأهل والوطن ، لضاق المكان بالمحبين .

وكون الحاج يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، هذا يعنى الذنوب التى بينه وبين ربه ، أما الذنوب التى بينه وبين العباد فلا بد أن تؤدَّى قبل الحج ، ولذلك نجد من دقة التكليف أن المدِينَ لا يصح أن يحج إلا إذا استأذن صاحب الدين ، أو كفيله ، فإن كان عنده وفاء للدين فى بلده وفَّى به ، وإن لم يكن عنده وفاء أوصى بالوفاء من تركته .

ولا يصح أن نقول : إن الجزاء أكبر من العمل ، لأن تناسب الصفقات لا يجوز أن يلاحظ إلا بين المتساوين ، يعنى إلا إن كانت الصفقة معقودة بين متساوين ، إنما حين نقيس الصفقة المعقودة بين اللّٰه سبحانه وتعالى وبين عباده ، فلا يصح أن نقول : الجزاء أكبر من العمل ، لأن اللّٰه هو الذى حدد العمل ، وحدد الجزاء ، لأن اللّٰه يعطى من وصفه .

ولنفرض أن إنسانًا زرع وردًا جميلا ، ثم قدم وردة للملك ، فأعطاه ألف دينار ، هل نقول : إن الملك أعطاه أكثر من ثمن الوردة ؟ لا نقول هذا ، إلا فى الصفقات

بين المتساويين ، ولذلك يقولون : إن الملوك إذا وهبوا ، لا يسألون عما وهبوا .
وقالوا : ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب .

○○○

السؤال الثانى :

حول الإيمان

يسأل أحمد الشريف يقول : يتكرر فى القرآن نداء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ ، ويتحدث القرآن كثيرًا عن جزاء الإيمان ، فما هو الإيمان ؟

يرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كلمة الإيمان فى عموم إطلاقها : إيمان باللّه ، بمعنى انتهاء العقل من مناقشة قضية استقرت فى القلب ، استقرارًا لا تطفو بعده إلى العقل لِتُناقَش من جديد ، هذا هو معنى الإيمان .

فإن كانت المسألة لم تستقر بعد ، فلا يقال لهذا : إيمان ، فالإيمان هو استقرار فى النفس واطمئنان إلى قضية ما ، بحيث يصبح هذا الاستقرار كأنه معقود عليه بعقد ، وليس محلولا ، ولذلك يقال عقيدة ، أى عقدت عليها القلوب ، فلا تطفو لتناقش من جديد ، أى تبعد عند دائرة النقاش . هذا هو معنى الإيمان المطلق .
ولو لم يوجد إيمان بقضايا لما وجدت حركة فى الحياة ، لأن الإيمان بهذه القضايا هو الذى يخفف على الناس متاعب حركة الحياة ، ويطمئنهم على أن أعمالهم موصلة لغاياتهم .

وحركة الحياة أثر من آثار الحق سبحانه وتعالى ، ولا بد للإيمان بكل حقيقة فى الوجود أن تكون له قمة إيمانية ، هذه القمة هى : أن تؤمن بخالق الوجود ، وخالق الإنسان المتحرك فى الوجود ، والذى ستكون عنده قضايا فرعية فى الإيمان يسير

عليها فى حياته ، ولذلك سمى هذا بالإيمان بالله .

فالإيمان على إطلاقه لا يكون فيه تقييد ، تقول : آمنت بقضية كذا ، وآمنت بكذا ، وكذا ، وهكذا . وقمة هذا كله : الإيمان بالله .

والإيمان بالله يزيد علمًا بالحياة ، لأن هناك كثيرًا من الأشياء لا تدخل فى متناول الفكر البشرى ، وعندما تؤمن بالله يعطيك علمًا لا يوصلك له الحس . فالذين لا يؤمنون تكون علومهم مبتورة ، ولكن الذى يؤمن بالله سيأخذ هذا العلم ، وسيأخذ علمًا آخر ، هو الذى قالت عنه الملائكة : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢] .

إن الإيمان بالله هو قمة الإيمان ، وهو أن تنتهى النفس إلى قضية وجود إله هو الله سبحانه وتعالى من له مطلق صفات الكمال ، وهو الذى خلق ، وهو الذى رزق ، وهو الذى ننتهى إليه ، وتكون هذه هى قضية الإيمان الأكبر . الإيمان العام .

○○○

السؤال الثالث :

القضاء والقدر

تسأل مديحة متولى قائلة : عرف الله أنه عادل ، فلماذا خلق الإنسان مختلف الظروف ، ثم يحاسب الجميع حسابًا واحدًا برغم اختلاف ظروف كل منهم ، وهو الذى قدر لهم حياتهم وظروفهم ؟

يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى ردًا على ذلك فيقول :

لا بد أن تفهمى الفرق بين قضى ، وبين قدر .

« قضى » ، يعنى حكم حكمًا لازمًا لايمكن أن ينتهى ، وذلك فى الأمور التى لا دخل للإنسان فيها ، ولذلك فالله لا يحاسبك على قضاء .

ولكن « قدر » ، تعنى : أن الأمور تأتى فى المستقبل من وجهة نظرك ، فتقول : إننى قدرت أن أفعل كذا . وعندما يأتى وزير الزراعة مثلا بناء على الإحصاءات والأرقام ويقول : تقدر الدولة محصول القطن هذا العام بكذا مليون قنطار . مع أن علم البشر ناقص ، وتقديره حسب المعلومات التى وصلت إليه .

ولكن تقدير اللّٰه عز وجل لا يحدث فيه خلاف ، لأن معلوماته مؤكدة . فإذا قدر على إنسان فى الأزل أن يكون عاصيًا ، فمعنى ذلك أنه علم أزلا أن هذا الإنسان سيختار المعصية . ولكن ساعة اختيار المعصية .. هل أرغمه اللّٰه عليها ؟

الوزير حينما قدر المحصول ، هل أرغم الأرض على أنها تنفذ تقديره ؟ لا . بل هو قدر حسب المعلومات التى وصلت إليه والمسألة تسير فى طريقها الطبيعى بدون تدخل منه .

كذلك خلق اللّٰه الخلق ، وقال : هناك أمور قضيتها ، وهذه لا أحاسب عليها أحدًا ، وهناك أمور تركت للعبد الاختيار فيها ... ولكن قدرت أن العبد سوف يعمل كذا ساعة كذا ، لا أقهره على أن يعمل ، لأنه عمل بصفة الاختيار ، ولكنى أعلم ما سوف يعمل .

فاللّٰه قدر ، لأنه علم أنك ستختار ، ولم يقدر ليوجب عليك أن تصنع ما قدر . وهذا هو الفرق بين القضاء والتقدير .

ولنضرب لذلك مثلا ، فلو أن كلية الحقوق مثلا حددت جائزة ، فقال عميد الكلية لأستاذ المادة : إنه يريد امتيازًا فى مادة كذا ، ليعطى جائزة قدرها كذا .. فرشح الأستاذ أحد تلاميذه ، لأنه يعرفه ، فلم يثق العميد فى كلامه ، وعقد اختبارًا ، فجاءت النتيجة حسب ما قدر الأستاذ ، فهل كان الأستاذ على يد الطالب ساعة أن كتب الإجابة ؟

كلا . ولكنه حكم لعلمه بامتياز هذا الطالب بالذات ، ولكنه علمٌ قد يختل ، لأنه علم بشر ، ولكن علم اللَّه لا يختل أبدًا .

○○○

السؤال الرابع :

الخلافات بين المسلمين

تسأل نجلاء حلمى قائلة : عن الرأى فى الخلافات والحروب على الساحة الإسلامية والعربية ، بما يجعل قلوب العرب والمسلمين شتى ، ويضعف هيبتهم !!

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى :

لاشك أن ما يحدث الآن على الساحة العربية أمر محزن للغاية .

وقد سبق أن قلت : إن ما يحدث الآن فى بلاد الإسلام على وجه العموم دليل على صدق منهج الإسلام ، لأن العالم لو كان كما نحب صلاحًا واستقامة وأمنًا وطمأنينة ، مع عزوفه عن منهج اللَّه تعالى ، لقلنا : إنه لا ضرورة لهذا المنهج .

أما الفساد مع عدم التمسك بالمنهج ، فهذا يعتبر شهادة للإسلام . قال اللَّه تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١] .

ولقد سئلت مرة : عن مشاكل الزواج بين المسلمين ، وكثرة الطلاق بينهم ، فقلت : إنكم اتهمتم الإسلام ، مع أنكم تزوجتم على غير منهج الإسلام .

هل دخلتم على الزواج بمنهج الإسلام ؟

هل اختارت المرأة صاحب الدِّين ؟

وهل اختار الرجل ذات الدِّين ؟

أم كان اختياره بمقاييس بعيدة عن الإسلام ؟

كيف تُدخلون على الزواج منهجًا غير الإسلام ، ثم تُلقون تَبِعَة الفشل فى الزواج على الإسلام ؟ إنما يصح لكم هذا القول لو أنكم دخلتم على الزواج بمنهج الإسلام .

إذن .. الذى يحدث الآن فى العالم الإسلامى أمر طبيعى ، ويمكن أن يفسر بأن استشراء هذه الأحوال سببه أن اللّٰه سبحانه وتعالى أراد أن ينبهنا إلى أننا ما دمنا تابعين ، وكل منطقة تابعة لهوى من سيطر عليها ، فسيظل هذا الفساد كما هو .

كذلك يمكن أن نسأل : هل يوجد استقرار فى الدول القوية ؟

ونقول : لا ، لم يحدث استقرار فى روسيا ، ولا فى أمريكا مع قوتهما . لو كان الفساد موجودًا فى الدول الضعيفة لكان معقولاً ، ولكن حدوثه فى الدول القوية يمكن أن يفسر بأن نظام العالم الذى نراه الآن محكوم بالوضع التقدمى ، أو الطموح المادى ، إذن يجب أن نلتقى فى الفساد ، لأننا التقينا فى كثير من المظاهر .

○○○

السؤال الخامس :

أول بيت وضع للناس

تسأل كريمة مصطفى عن الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مُبَارَكًامُبَارَكًاعَلَى كَانَ فِيهِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران] .

وتسأل : هل كل شعائر الحج تتم فى مكة ؟

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى ذلك :

الشائع عند كثير من المفسرين أنّ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذى بنى البيت ، وحجتهم فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

وأقول : إن معنى الآية : أن إبراهيم عليه السلام رفع قواعد البيت مع إسماعيل . أما القواعد فكانت موجودة ، ويبدو أن عوامل التعرية كانت قد غطت هذه القواعد ، فأظهرها اللّٰه لإبراهيم أولا فى طفولة إسماعيل ، فلما شب إسماعيل ، وأصبح قادرًا على المعاونة ، أمر اللّٰه تعالى إبراهيم برفع القواعد .

ويؤكد هذا الفهم : أن إبراهيم كان يعرف بتوجيه اللّٰه تعالى بقعة خاصة من الوادى فيها بيت اللّٰه ، وإن لم يكن يعرف بالتحديد مكان البيت من هذه البقعة ، فلماذا جاء بهاجر ووليدها ، وأسكنها بهذه البقعة ، ودعا ربه قائلا : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

فعندية البيت كانت معروفة مقصودة وقت الإسكان ، وإسماعيل كان طفلا ، ولكن البيت لم يكن محددًا ، وذلك هو الطور الأول لعلاقة إبراهيم بالبيت .

ثم جاءت المرحلة الثانية . وهى أن يبين اللّٰه لإبراهيم مكان البيت على التحديد . ويشرح اللّٰه تعالى هذه المرحلة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ [الحج : ٢٦] .

وذلك مطلوب عَقَدى لا يتطلب جهدًا عضليًا ، ثم قال له بعد ذلك : ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦] .

وذلك عمل سهل يستطيع إبراهيم أن يقوم به وحده ، لأنه لا يتطلب إلا إزالة ما ستر القواعد من الرمال المتراكمة ، والأحجار الصغيرة ، ولهذا لم يظهر لإسماعيل دور فى هذه المرحلة التى يمكن أن يساعد فيها وهو صغير ، مما يدل على أن إسماعيل كان فى سن لا تسمح له بهذه المهمة .

ثم تأتى المرحلة الثالثة التى تتطلب عملا يحتاج إلى معونة ، وكان هذا بعد أن كبر إسماعيل إلى حد يمكنه أن يعاون أباه ، ولهذا ظهر إسماعيل فى طور رفع

القواعد . وفى هذا الطور يجىء قول اللّٰه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

وهو يدل على مشاركة إسماعيل فى الدعاء ، مما يؤكد أنه كان فى عمر عقلى يعرفه أنه كان يشارك فى عبادة لإله يسأله القبول .

وحتى يسهل علينا فهم الآية يجب أن ننعم النظر فى كلمتين هما معًا مفتاح الفهم ، والكلمتان هما ﴿ وُضِعَ ﴾ المبنى للمجهول ، و ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ الموضوعة أصلا لتشمل أفراد الجنس .

وما دام البيت قد وضع للناس ، فواضعه بالضرورة من غير الناس . والبيت وضع لعبادة اللّٰه .

فاللّٰه اختار مكانه ، وأعلم ملائكته بحدوده ، ولهذا كان الفعل مبنيًا لما لم يسم فاعله ، فستر الفاعل رمزًا إلى أن المشرع غيبٌ هو اللّٰه ، والمنفذ غيب وهم الملائكة .

وحين ننظر فى مدلول كلمة ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ نجدها تشمل كل أفراد البشر ، من آدم إلى مَن تقوم عليهم الساعة . فلماذا يتأخر وجود البيت فلا يوضع إلا للناس من عهد إبراهيم ؟ أليس آدم وذريته قبل إبراهيم من الناس أيضًا ؟

ولقد وصف اللّٰه جل شأنه البيت الحرام بأنه مبارك ، وبين هذه البركة فى قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

أى قوامًا لهم دنيا وآخرة ، وأما صالحهم فى الدنيا فحسبهم أن يستشعروا عنده الأخوة الإسلامية ، والمساواة المثالية ، وأن يدركوا حلاوة الوحدة ، وروحانية التجمع ، فلا فرق بين أبيض وأسود ، ولا غنى وفقير ، فالكل عبيد فى رحاب المولى عز وعلا ، أكرمهم عند اللّٰه أتقاهم .

وأما صالح الآخرة فهم يزورون ربهم فى بيته ، وحق على المزور أن يكرم زائره ، ولا أكرم من اللّٰه ، وقد ثابوا كما أراد اللّٰه ، فأمنهم كما يحبون .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ما يوحى بشمول هدايته لكل عالم .
وفى قوله سبحانه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ما يدل على ما لهذا المقام من خصوصية أظهرته وحده دون سائر الآيات .

فمقام إبراهيم : حجر كان يقوم عليه ليرفع البيت ، فجعله اللّٰه من الآيات البينات ، فحين أمر إبراهيم برفع البيت كان حريصًا على أداء التكاليف بأقصى الوسع ، فأخذ حجرًا على قدر ما يحمل هو وإسماعيل ، وقام عليه ، فزاده طولًا ، وبقدر هذه الزيادة زاد فى رفع البيت .

وذلك يرمز إلى بذل الجهد فى أداء التكاليف ، ولو بالحيلة ، مما يدل على عشق المكلف لكل تكليف ، وإتقانه لكل عمل .

ولما كان بيت اللّٰه الحرام هو المقصد الأصيل الذى تهوى إليه الأفئدة ، وهو المحور الذى تدور حوله المناسك ، وتحيط به أماكن الشعائر ، لما كان ذلك أحاطت به أربع دوائر ، لكل دائرة حدها وخواصها ومطلوباتها .

وأولى هذه الدوائر المسجد الحرام . ويحدد مكانه بالمسجد مهما امتد واتسع . وقد اختص اللّٰه هذا المسجد دون سواه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [ال عمران : ٩٧] .

وبقوله : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] .

واختصه رسول اللّٰه ﷺ بمضاعفة ثواب الصلاة فيه إلى مائة ألف ضعف ، وبأنه أول المساجد التى تشد إليها الرحال .

أما الدائرة الثانية حول المسجد فتحددها حدود ، وتحميها علامات تفصلها عن الحل ، وهى المنطقة المعروفة بالحرام . وهى منطقة حرام ، لا يقطع من شجرها شىء ، ولا يحل صيدها ، ولا يحرم من كان داخلها بعمرة إلا أن يخرج إلى الحل .

أما الدائرة الثالثة حول بيت اللّٰه فهى أوسع ، وتحدها المواقيت التى لا يجوز أن يتجاوزها قاصد بيت اللّٰه إلا محرمًا .

والإحرام هو نية القلب ، وتجرد الإنسان مما اعتاد من ثياب تنم عن جاهه وتميزه ، مستبدلا بذلك الأبيض غير المخيط ، حتى يكون الحاج عبدًا فى ركب عبيد ، مندمجا فى سوائية الخلق حين يقبلون على الحق ، ولا يستثنى من ذلك إلا المرأة التى ترتدى ملابسها المحتشمة التى أمرها بها دينها الحنيف ، مع كشف وجهها .

ومن هنا يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله : سلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل اللّٰه لغير المحرم ، فلا شهوة له فى زينة ولا فى طيب ، فضلا عن الرفث أو الفسوق .

وهو فى سلام مع الناس ، فلا جدل معهم .. وفى سلام مع النبات ، فلا يقطع نباتًا ، ولا يعضد شجرًا .

وفى سلام مع الحيوان .. فلا يرمى صيدًا ولا يذبحه وإن صاده غيره . ويظل هكذا حتى يتحلل من إحرامه .

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى اللّٰه ، وأقبلت على مكان غير عادى ، فلا بد أن تخرج عن كثير مما اعتادت ، تربية للمهابة ، واستحضارًا لقداسة البيت .

وبعد دائرة المواقيت تأتى الدائرة الرابعة ، وهى أوسع الدوائر ، لأنها تشمل سائر الأرض ، ولهذه الدائرة مطلوب واحد ، هو أن يجعل العبد بيت اللّٰه قبلة لصلاته ، مع حضور القلب ، وإجلال الرب .

○○○

السؤال السادس :

أثر الحج فى حياة المسلمين

تسأل ريهام خالد فتقول : كيف يستفيد المسلمون والشعوب الإسلامية من الحج ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الحج تجمع عقدى فذ ، ومؤتمر عالمى فريد ، دعا إليه رب واحد ، وحدد دوراته فى زمان واحد ، ورسم منهجه بكتاب واحد ، على رسول واحد ، واستجاب له المسلمون بزى واحد ، وقصد واحد .

وفى جلال هذه الوحدة تنصهر الأجناس والألوان واللغات ، وتذوب العصبيات والبيئات والطبقات ، فلا نسب إلا إلى الإسلام ، ولا حسب إلا فى الإيمان .

وتلك خصوصية يجب أن تستغل تعارفًا يربط الشعوب بالمودة ، وتآلفًا يلف الأجناس بالتراحم ، كما يجب أن يستغل الحج لتدارس الأحوال ، حتى يعرف كل مسلم وضع إخوانه فى كل بلد ، وحينئذ تتعاون الطاقات ، وتتكامل الإمكانيات ، ويصبح المسلمون كما قال الرسول ﷺ « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا » .

وإذا كان الإسلام يواجه تحديات خصومه ، فليس لنا أمل إلا توحيد الصفوف هدفًا . وصفًا وتخطيطًا ونضالاً ، فيمكننا حينئذ أن يفيد دورنا فى الأرض ، ونصبح تجمعًا له وزنه وقدرته وهيبته وخطره .

○ ○ ○

السؤال السابع :

عن سر السعى بين الصفا والمروة

تسأل ليلى الأسيوطى : عن قصة السعى بين الصفا والمروة .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الصفا والمروة شعيرتان من شعائر اللّٰه ، وسر استبقاء هاتين الشعيرتين : أن سيدنا إبراهيم ترك زوجته هاجر وطفلها سيدنا إسماعيل بواد غير ذى زرع ، ليس فيه من مقومات الحياة إلا الهواء .

وذلك أمر غير طبيعى من زوج وأب مثل سيدنا إبراهيم . ولكن سيدنا إبراهيم كان أمةً قانتًا للّه ، يصدع بالأمر دون مراعاة لأسباب البشر .

ولو كان إبراهيم سيبقى معهما لسكتت هاجر ، لأنه بذلك يتحمل عناء الفكر فى ضروريات الحياة ، ولكنه كان على رحيل ، فلما سألته وعلمت أن ذلك عن أمر اللّه ، قالت بيقين العبد فى ربه ، وثقة المؤمن فى إلهه : « إذن لا يضيعنا » .

وذلك أول درس للغافلين الذين يذكرون الأسباب وينسون خالق الأسباب .

ثم يقرن هذا الدرس بدرس آخر ، هو ألا نهمل الأسباب ، لأن الأسباب من عطاء اللّه ، فإن جوارح المؤمن تعمل ، وقلبه يتوكل .. وكذلك كانت هاجر .

فكما أنها توكلت على اللّه فى ترك زوجها لها ولطفلها ، كانت ذات نصيب فى الجهاد بالسبب فى الدرس الثانى ، فذهبت إلى الصفا لعلها تجد مظهر حياة يدل على ماء ، فلما لم تجد سعت إلى المروة ، ثم عادت إلى الصفا ، وظلت هكذا سبعة أشواط ، وعادت مجهدة متعبة غير ساخطة لأن لها رصيد الإيمان بقدرة اللّه سبحانه .

وكان ربها عند حسن ظنها به ، فقد تفجر الماء عند الطفل الذى لا حول له ولا قوة ، وهكذا يجزى اللّه المتوكل ، فيرزقه من حيث لا يحتسب ، ولكن بعد أن يبذل المستطاع من الجهد .

السؤال الثامن :

حول النسيان فى القرآن

تسأل عزة عابدين نور الدايم : من السودان .. عن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

وقوله سبحانه تعالى فى آية أخرى : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . **وفى سورة الأعراف قال سبحانه وتعالى :** ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ

يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف : ٥١] . ولكنه فى سورة طه يقول تعالى : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أولا : ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ يعنى : أنه لم يجازهم ولم يأبه بهم ، وليس المعنى النسيان المعهود ، فهو سبحانه يذكرهم ولا يأبه بهم ، ولا ينظر إليهم .

أما الآية الأخرى التى يقول فيها الحق : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ .

فهى تعنى أن آدم عوقب على النسيان .. أما نحن فمرفوع عنا النسيان ، وهذا خاص بأمه محمد ﷺ الذى قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . ومعنى هذا أنه لم يكن مرفوعًا عمن سبقوه . فهنا خصوصية .

أما سبب عقاب سيدنا آدم فهو نسيان معصيته .. قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] .

فإذا نسى الأمر بعدم قربان الشجرة ، وهو حكم واحد ، وتكليفه من اللّه له مباشرة لا بواسطة رسول اللّه ، فما كان يصح له أن ينسى هذا الأمر .

أما الآية الأخيرة التى قال اللّه سبحانه وتعالى فيها : ﴿ فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ .

فمعناها النسيان المعهود ، ونفيه عن اللّه تعالى .

○○○

السؤال التاسع :

أنواع الوحى

وتسأل عزة عابدين نور الدايم من السودان أيضًا :

عن قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ

أَن أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ .

وكيف أوحى الله إلى أم موسى ، والوحى لا يكون إلا لنبى أو رسول ، وأم موسى ليست رسولا ، فكيف أوحى إليها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يجب أن تعرفى معنى الوحى أولا . ونحن نجد الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝ ﴾ [الزلزلة] .

فهنا أوحى الله إلى الأرض .. ثم نجده تعالى يقول : ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾ [النحل : ٦٨] .

فهو سبحانه هنا أوحى إلى النحل .

وأثبت القرآن أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم فى قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

إذن .. كلمة الوحى يجب أن تفهمى معناها ، وهو : الإعلام بخفاء ، وهذا هو الوحى المطلق .

أما ما تقولين أنت من وحى يوحى لنبى أو لرسول ، فهو الوحى الشرعى ، وهو : أن يوحى الله بواسطة رسول من الملائكة إلى رسول من البشر ؛ هذا هو الوحى الشرعى . أما الوحى اللغوى المطلق فمعانيه متعددة .

○○○

السؤال العاشر :

حول حق الفتاة فى جهازها

تسأل الآنسة ع . أ . فتقول : إن والدها أعطى كلا من إخوتها عشرة آلاف جنيه فى حياته . فهل

يحق لها خمسة آلاف جنيه أخرى نقدًا . لأن جهازها واجب على الأب ، وعليه أن يكون خارج القسمة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

جهاز العروس واجب على الزوج شرعًا . أما ما يحدث عندنا من أن الأب يجهز ابنته فهذا عرف تعارف الناس عليه ، ولا يلتزم الأب به ، وبذلك تصبح القسمة التى قسمها والدك قسمة شرعية .

○○○

السؤال الحادى عشر :

حول تصرف الزوجة فى مال الزوج

تسأل السيدة م . م . س . من القاهرة فتقول : إنها مسلمة مؤمنة ، أدت فريضة الحج ، ومتزوجة من رجل موسر ينفق على نفسه مبالغ طائلة ، ويقتّر عليها هى وأولادها ، حتى إنها لا تستطيع أن تكتفى بما يعطيها من مصروف الشهر ، فلا تجد بدًا من سحب مبلغ بسيط يكفيها دون أن يشعر هو به ، وتصرف ما تأخذه على هذه الصورة فى القوت الضرورى للبيت ، ولكنها تتعذب لهذا ، وتخاف غضب اللّه ، فهل فى تصرفها هذا ما يغضب اللّه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لك أن تختلسى من ماله بقدر ما يوسع عليك التوسعة المناسبة . فلقد سألت هند زوج أبى سفيان رسول اللّه ﷺ قائلة : إن أبا سفيان رجل شحيح . فأجاز لها ما تأخذه خلسة بقدر الحاجة وبدون إفراط .

○○○

السؤال الثانى عشر :

حول الميراث

تسأل السيدة ن . أ : عن سيدة توفيت ولها ثلاث بنات وأخ غير شقيق . فما نصيب كل منهم فى التركة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

تقتسم البنات ثلثى التركة ، والباقى للأخ .

○○○

السؤال الثالث عشر :

عن زواج غير المحجبة

يسأل الدكتور عاصم درويش : عن امرأة مسلمة تقيم فروض دينها ، ولكنها لا ترتدى الزى الإسلامى ، وهى مقتنعة به ، ولكنها لا تقدر عليه ، فهل يجوز الزواج بها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قال رسول اللّه ﷺ : « فاظفر بذات الدِّين تربت يداك » فإذا كانت صاحبة دين فعليها أن تعجل بإرضاء ربها وطاعته . أما حكم الزواج بها شرعًا فجائز .

○○○

السؤال الرابع عشر :

حكم الشراء بالتقسيط والاقتراض بفائدة

ويسأل الدكتور عاصم مصطفى درويش أيضًا : عن حكم الاقتراض من البنك بفائدة ، وعن حكم الشراء بالتقسيط مع العلم بزيادة سعر نفس السلعة بالتقسيط عنها بالنقد ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الاقتراض من البنك بفوائد حرام قطعًا .

أما شراء سلعة بالتقسيط بسعر أعلى من سعرها نقدًا فلا شيء فيه ، لأنه حتى فى السلعة النقدية نجد واحدًا يبيع السلعة بسعر ، ومن يجاوره يبيعها بسعر أعلى منه ، فكل واحد حر فى تحديد السعر ، ما دام الفرق معقولاً ، وليس فيه فحش فى المكسب ، أو احتكار للسلعة ، واستغلال لحاجة الناس .

○ ○ ○

السؤال الخامس عشر :

حول توقف الزى الإسلامى على شرط

تسأل السيدة م. م. من البحيرة : ما هى شروط ارتداء الزى الإسلامى ، وهل يجب ارتداء الزى الإسلامى أولا ، أو معرفة أمور الدين وتنفيذها أولا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يجب أن تعرفى أن ما نصنعه من الطاعة نأخذ ثوابه ، ومالا نصنعه نأخذ عقابه ، فاللّه تعالى لا يحاسبنا على أعمالنا كلها جملة واحدة ، فأوامر الدين نحاسب على كل أمر منها على حدة ، ومنها ارتداء الزى الإسلامى للمرأة .

○ ○ ○

السؤال السادس عشر :

الجهر والإسرار بالصلاة

تسأل هدى حلمى : عن حكم الإسرار بالقراءة فى صلاتى الظهر والعصر . والجهر بها فى باقى الصلوات ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كان المسلمون ضعافًا فى أول الإسلام ، فكانوا يجهرون بصلاتهم صباحًا .. والمنافقون كذلك ينامون فى المغرب والعشاء ، والكفار يشغلون بلهوهم ، فكان الجهر تمييزًا للمسلمين . أما فى صلاتى الظهر والعصر فكان موعد يقظتهم وانتشارهم فى كل مكان .

فلما قَوِىَ الإسلامُ . ولم يعد المسلمون ضعافًا ، ظلت الصلاتان السريتان والصلوات الجهرية كما هى دون تغيير استصحابًا للأصل .

أما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] . فمعناه أن يكون المصلى أثناء قراءته فى الصلاة وسطًا بين الجهر والمخافتة .

ooo

السؤال السابع عشر :

حول تفكير الزوجة فى غير زوجها

تسأل سلمى . أ . من الإسكندرية فتقول : إنها تزوجت شابًا صالحًا يحبها ، ولكنها مضطربة نحوه ، وهى دائمة المقارنة بينه وبين غيره من الشباب ، وهى فى حيرة من أمرها ، ولذلك تحتقر نفسها .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كفاك عذابًا أنك تحتقرين نفسك . وقد حكمت أنت بذلك على تصرفك الخاطئ .. ولو قلنا نحن لك ذلك ، وحكمنا عليك بما حكمت به على نفسك لكان حكمًا من الغير عليك .. ولكن كونك حكمت أنت بنفسك على نفسك فإنك حينئذ لست فى حاجة لحكم الغير على هذا التصرف المشين .

وليست هذه المسألة مجرد قبح دينى ، فحتى لو لم يكن للإنسان دين لكان هذا التصرف قبيحًا .

ويجب أن تتنبهى إلى أمر هام ، وهو : أنك إن لم تحبى زوجك فإن الحب بين الناس نسبى ، ولا تقنين له ، ولكن أن تفرقى بين الحب والاحترام ، فالمطلوب منك إن لم يمل قلبك مع زوجك عاطفيًا أن تحترميه فى العقد الذى أحلك له ، فإن لم تقدرى على ذلك فمن اليقين الإيمانى أن تطلبى منه أن يسرحك ، بدلا من أن تعيشى معه مزدوجة العواطف .

○ ○ ○

السؤال الثامن عشر :

حول عبادة المبعوثين إلى الخارج

تسأل عبير برزويل من الشاطبى فتقول : إنها أتيحت لها فرصة الدراسة بالولايات المتحدة لمدة عام ، وهى مقيمة للفرائض من صوم وصلاة ، وهى تسأل : ماذا تفعل لو لم تستطع الصلاة أو الصوم هناك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يجب أن يعلم الناس أن اللّٰه لم يُشرِّع حكمًا على المؤمن وهو يعلم أنه توجد ظروف تحول دون تنفيذه . وحينما يعلم أن ظروفًا قد تحول دونه فإما أن يحفظه أو يلغيه . فلا يوجد حكم مفروض على المؤمن ولا يستطيع المؤمن أن يقوم بأدائه .

ويجب أن تعلمى أن فى الولايات المتحدة وفى كل مكان فى العالم مسلمين لم يجدوا فى غربتهم أُنسًا إلا فى دينهم ، بل أكثر من ذلك فإن بعض من لم يكونوا متمسكين بفروض دينهم هنا فى بلدهم ، لما ذهبوا إلى هناك لم يجدوا لهم راحة يستريحون بها ، وظلا يفيئون إليه ، إلا أن يعيشوا فى أحضان منهج اللّٰه فترة من الزمن ، حتى تطمئن نفوسهم وأرواحهم .

فلا توطنى نفسك من الآن على أنك لن تستطيعى أداء فرض اللّٰه ، واحسبى كم تكلفك الصلاة .. إن الصلاة لا تكلفك فى اليوم كله أكثر من نصف ساعة مفرقة على خمسة أوقات ، فلا تقولى . إنه لا يوجد لدى وقت لأداء الصلاة .

هناك ستجدين المراكز الإسلامية التى تفيدك بمواقيت الصلاة ، ومكان الجمعة ، واجتماع السيدات ، ولا توجد هناك أى صعوبة لأداء فروض دينك .

وفى أى بلد تذهبين إليه ستجدين جاليات إسلامية من أناس عضتهم الحضارات ، فلم يجدوا ملجأ إلا أنهم يعيشون فى منهج اللّه .

○○○

السؤال التاسع عشر :

حول الإسلام والسيف

يسأل صلاح محمود من المنيرة : هل صحيح أن الإسلام انتشر بحد السيف ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لم يحمل رسول اللّه ﷺ السيف أولا ، وإنما حمل أولا سيف البرهان والحجة والإقناع .

وحمل السيف ليس للإكراه على الإسلام ، وإنما كان لتأمين الكلمة التى تقال ، وليس لحمل الناس على ما يقال .

بدليل أن البلاد التى فتحت بالقوة لم يكره أهلها على الدخول فى الإسلام ، وإنما تركت لها الحرية فى أن تقبل الإسلام أو لا تقبله ، وعليها إن لم تقبل أن تدفع الجزية .. وهذا يدل بوضوح لا لبس فيه على أنه لا إكراه فى الدين ، وقد تبين الرشد من الغى .

والذين يقولون : إن الإسلام انتشر بالسيف إما جاهلون لا يعرفون مبادئ الإسلام ، وإما أنهم حاقدون .

○○○

السؤال العشرون :

الطلاق ثلاثًا

تسأل المعذبة س . خ . أ فتقول : إنها تزوجت من شاب ممتاز ، إلا أنه طلقها ثلاث مرات ، يندم كل مرة ويعود ، وهو الآن شديد الندم ، ويريد العودة إليها لتربية أطفالهما ، وهى تقول : إن الطلقات الثلاث تتم بدون حضور شهود بينهما .

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا لزوم للندم فى مثل هذه الحالة ، فلقد أعطى اللّٰه ثلاث فرص للرجوع ولكنه لم يحافظ عليها ، أما من ناحية الشهود فإن الطلاق لا يشترط فيه وجود الشهود .

وكان الأَوْلَى بهذا الزوج أو الأب أن يراجع نفسه ، ويسيطر عليها ، قبل أن يتصرف هذا التصرف الأحمق ، أَمَا وقد وقع التصرف الأحمق بالفعل ، فلا يحق له أن يعود إليك مرة أخرى إلا إذا تَزوجْتِ رجلا غيره ، وطُلِّقْتِ منه .

○○○

السؤال الواحد والعشرون :

هل تصح العبادة مع الإجهاض

تسأل وفاء سليمان من العريش : هل يمكن لمن أجهضت ألا تصوم وتصلى إلا بعد أربعين يومًا مثل النفساء ؟ وهل يمكننى أن أطهو الطعام ، أو أستمع إلى القرآن الكريم فى هذه الظروف ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يقترن الامتناع عن أداء العبادات من صلاة وصوم وقراءة قرآن وغيره مما يشترط لأدائه الطهر فى حالات الولادة أو الإجهاض – يقترن ذلك بنزول الدم ..

فتستطيع المرأة إذا انقطع عنها الدم أربعين يومًا أن تتطهر وتمارس عبادتها بشكل طبيعى .

أما إذا نزل الدم أكثر من أربعين يومًا فعليها أن تتطهر بعد الأربعين ، وتمارس عباداتها بعد ذلك ، لأن هذا الدم ليس طبيعيًا ، فلا يفسد صلاتها ولا صومها .

أما عن طهو الطعام وهى على غير طهارة فهذا ممكن ، وتستطيع أن تؤدى كل واجباتها اليومية بلا أى حرج ، لأن الإنسان المؤمن لا ينجس أبدًا .

وأما الاستماع إلى القرآن فيمكنك ذلك ، ولكن الممنوع هو إمساك المصحف الشريف ، أو قراءة القرآن .

○○○

السؤال الثانى والعشرون :

لقاء الأحباب فى الآخرة

يسأل الأمين نور الدائم من السودان فيقول :
لا أستطيع أن ألتقى بمن أحبهم فى الحياة الدنيا ،
فهل أستطيع أن ألتقى بهم فى الدار الآخرة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن المرء مع من أحب ؛ فقد نظر أحد أصحاب رسول الله ﷺ إليه وبكى . فقال له : « ما يبكيك ؟ »

قال : أذكر دنيانا ونحن معك ، ثم أذكر آخرتى وأنت فى مقامك الأعلى عند ربك ، ونحن فى مقام آخر .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] . فالمرء مع من أحب .

○○○

السؤال الثالث والعشرون :

حول الزكاة

يسأل عادل حسن السيد من الخرطوم : عن زكاة المال وعن النصاب .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أنصحك بأن تزكى زكاة الوَرِعين ، بأن تزكى باثنين ونصف فى المائة عن أى مبلغ زائد عندك . فإن عاملت اللّٰه بغير حساب فإنه يعطيك بغير حساب . فلا تتعب نفسك فى معرفة النصاب ، وأد الزكاة عن أى مبلغ زائد عندك ، فسيأخذ اللّٰه تعالى حقه ، ثم يقبل منك التطوع بالزائد .

إن زكاة الوَرِعين لا تحدد نصابًا ، بل يزكّى المؤمن عن كل ما يأتيه ، وأكثر من ذلك فإنه يزكى عن كل ما يخرج من حوزته ، فإذا اشترى شيئًا بجنيه ، تصدق بقرشين ونصف القرش .

فهو يزكى عما دخل إليه ولو لم يُحلْ عليه الحوْل ، ولو لم يبلغ النصاب ، يخرج منه ربع العشر ، ولو اشترى سيارة بألف جنيه ، يخرج خمسة وعشرين جنيهًا زكاة .

فإن فعلت هذا فإن اللّٰه سيجزيك خير الجزاء ، ومن فعلوا هذا لم يُرِهمُ اللّٰهُ فيما زكوا عنه سوءًا أبدًا . وهذه عملية سهلة لا يشعر بها الإنسان ، ولا تكلفه كثيرًا .

○ ○ ○

السؤال الرابع والعشرون :

عائد البنك الإسلامى

يسأل الحاج حسين عبد الخالق من المعادى : هل فوائد البنك الإسلامى حرام أم حلال ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أنت قلت إنه إسلامى ، فكيف تكون حرامًا ؟ ويجب أن تعلم أنه ليس للبنوك الإسلامية فوائد ، لأنه اصطلح على أن الفائدة هى : ربح محدد لغير العامل فى المال .

أما البنك الإسلامى فإنه يعطى عائدًا قدره مقدر بالربح من العمليات المختلفة ، ولا يحدد ربحه ، فقد يعلو وقد يهبط ، لأن الأساس فى البنوك الإسلامية أنه لا ائتمان فيها ، بمعنى أنه لا يُقْرِض ولا يَقتَرِض .

○○○

السؤال الخامس والعشرون :

التعامل مع الناس بالمعروف

تسأل سيدة من حى رشدى بالإسكندرية فتقول : إنها تتعامل مع الناس بإخلاص ووفاء ، ولكن هذه المعاملة تقابل منهم بالنكران والخيانة ، برغم عدم إساءتها إلى أحد . فهل هذا دليل على غضب اللّٰه عليها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كنت تعاملين الناس للناس فلك أن تحزنى لمقابلتهم معاملتك الحسنة بالنكران .. ولكن المؤمن يعامل الناس للّٰه ، فلا يهمه خانوه أم وفوا .. فإن أنت عملت عملك للناس فقد جحدوك . أما إذا كنت قد عملت عملك للّٰه فقد اختلف الموقف .

فمن يعمل العمل الإيمانى فلا شأن له بالناس ، ولذلك إذا قال البعض : إنى فعلت كذا وفعلت كذا ، ورغم ذلك فقد أنكروا الجميل ، فإننا نقول ردًا على ذلك : إن اللّٰه لم يكن فى حسابك ساعة إحسانك لهم ، فأنت عملت لإرضاء الناس ، ولذلك انتظرت جزاء عملك منهم ، ووكلك اللّٰه إليهم .

أما إذا عملت عملك لله فإنك لا تنتظر جزاء عملك من الناس ، ولكن ثوابك وجزاءك عند الله ، ولا يهمك رد الفعل من الناس .

ولتعلم أن الخير الذى يعمله الإنسان ويجحده الناس هو أربح خير يفعله الإنسان ، لأنه ينال كل ثوابه عنه من الله تعالى .

○ ○ ○

السؤال السادس والعشرون :

الأحلام المزعجة

وتسأل نفس السيدة فتقول : إنها دائمًا ترى أحلامًا مفزعة ، فهل تقرأ آيات معينة من القرآن الكريم لمنع تلك الأحلام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا حدث ورأيت حلمًا مفزعًا واستيقظت ، فالتفتى جهة يسارك ، وابصقى ثلاث مرات ، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم فى كل مرة ، ولا تقصى ما رأيت من الأحلام على أحد ، ففى بعض الأحيان يقضى الله سبحانه وتعالى على الإنسان قضاء ، ويريد الحق أن يلطف بهذا العبد فيه ، ومن لطفه أنه يجرى الحدث على الإنسان وهو نائم .

○ ○ ○

السؤال السابع والعشرون :

الخوف من الموت

تسأل ف . ع من مصر الجديدة : هل البكاء والخوف من الموت حرام فى الدين ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الإنسان يجب أن يخاف من الموت لأنه لم يستعد للقاء الله .. أما لذات الموت ، فلا يجب الخوف منه .

السؤال الثامن والعشرون :

الحسد والضيق من الناس

تسأل ع.أ.ع من مصر القديمة : عن إحساسها بالضيق لمن يسبب لها الأذى ، هل هو حرام ، أو إنه شىء طبيعى ؟ وتسأل كذلك عما تفعل ضد الحسد ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يقول اللّه تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ ، ولكنك إذا كظمت غيظك وعفوت لكانت لك منزلة أسمى من هذه المنزلة فلا تكافئى من عصى اللّه فيك بأكثر من أن تطيعى اللّه فيه ، واجعلى هذا مبدأك فى الحياة .

أما عن الحسد ، فليس من شىء تفعلينه ضده إلا أن تفزعى إلى ما علمنا النبى ﷺ ، بأن نقرأ المعوذتين : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ .

○○○

السؤال التاسع والعشرون :

حول نذر الصوم

تسأل ح. ك. م. فتقول : إنها نذرت أن تصوم شهر شعبان إن نجحت ، ولكنها لم تصم منه إلا خمسة عشر يومًا ، برغم مرور خمسة أعوام .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يمكنك قضاء بقية أيام النذر فى أى وقت من العام ، وإذا كان الصوم المفروض فى شهر رمضان فإن اللّه أباح لنا أن نقضى ما لم نستطع صومه ، فكذلك الصوم المنذور .

ويجب أن تعلمى أن صومك بالنذر صار فرضًا ، ويصبح له حكم المفروض ، وعقاب من لم يؤد النذر مثل عقاب من لم يؤد الفرض .

أما إن كان عدم الاستطاعة بسبب صحى فنرى إن كان عدم الاستطاعة إلى زوال فإنها تنتظر إلى أن تشفى ، ثم تقضى ... أما إن كان المرض لا يرجى برؤه فعليها الفداء . وإن شفيت بعد ذلك فعليها أن تصوم .

ولو أن النذر لا يقدم ولا يؤخر إلا أن النبى ﷺ قال : « إنه يستدر به المال من البخيل » .

○○○

السؤال الثلاثون :

رؤية الرسول فى المنام

تسأل بدرية عبد المجيد من عين شمس الغربية : هل يظهر الرسول ﷺ فى الأحلام بصورته الحقيقية ، أو أنه طيف ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن أى شيء يأتى فى الرؤيا على أنه الرسول ﷺ فهو الرسول . فما دام قيل فى الرؤيا أو استقر فى بالها أنه الرسول فإنه هو ﷺ .

○○○

السؤال الحادى والثلاثون :

تخفيف الدعاء من المصائب

تسأل الحائرة ف . أ . ن : هل يخفف الدعاء من المصائب ؟ وهل يلطف اللّٰه بنا نتيجة الدعاء ؟ وكيف يكون ذلك ، واللّٰه سبحانه وتعالى ينزل المصائب على الناس على الرغم من أنهم يدعونه ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الإنسان يحدد اللطف بما عرف ، فأنت تريدين أن تخضعى حكمة اللّٰه فى اللطف لحكمتك أنت .

ألم تطلبى شيئًا من الخير فى نظرك مرة ، ثم يتبين لك بعد ذلك أنه شر ؟ بل لعل لطف اللّٰه ألا يجيبك إلى حمق دعائك ... إذن ليس اللطف بأنه تأتى الأمور على وفق ما يشتهى الإنسان وإنما اللطف يأتى على وفق ما يريده الحق سبحانه وتعالى .

فإن كنا مؤمنين بحكمة اللّٰه تعالى فجيب أن نأخذ اللطف على هذا المعنى ، وليس أن اللطف هو تحقيق المراد لنا ، لأن اللّٰه إذا حقق لعباده كل مراداتهم فإن هذا لا يكون مناسبًا لكمال الحق وحكمته .

ولكنه سبحانه وتعالى يعدل مطالبنا فى الخير ... فأنت تطلب الخير على قدر فهمك وتقديرك القاصر للأمور ، أما اللّٰه فبحكمته العالية يعلم أن ما تطلب من الأمر ليس خيرًا لك ... ويترك اللّٰه بعض الناس يصلون إلى خير يريدونه ، ثم يعرفون بعد ذلك أنه شر ، وهذا لكى يعرف هذا العبد أن اللّٰه حينما يقبض عنه طلبه : أن الخير فيما يختاره اللّٰه لنا ، ولو كان بعدم تحقيق رغباتنا وطلباتنا ، ولو جاء على غير مراداتنا .

فإن كنت تريدين اللطف من حيث تفهمين أنت ، فليس هذا إيمانًا ولا عبودية ، ولكن اللطف هو ما يعلم اللّٰه أنه اللطف .

ويجب أن نعلم جميعًا أن كل ما يجرى على العبد هو لطف من اللّٰه ، لأنه ليس بين اللّٰه وبين عباده خصومة . فاللّٰه قيوم ، وهو رحمن رحيم ، وكل صفات اللّٰه تعالى تدفعنا وتطلب منا أن نأمنه على مصالحنا ، وعلى اللطف .

فلا تطلبى مظهر اللطف بما تعرفين من اللطف ، ولكن دعى اللطف لما يعرفه اللّٰه من اللطف .

○ ○ ○

السؤال الثانى والثلاثون :

صدور الألفاظ غير اللائقة

وتسأل نفس الحائرة ف. أ. ن. فتقول : إنها أحياناً تصدر منها ألفاظ غير لائقة ، وخاصة عند ثورتها ، ويتكرر منها ذلك ، وهى تخاف غضب اللّه عليها ، وعدم مغفرته لها .

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أما ما يصدر عنك من ألفاظ تعبرين بها عن ثورتك وسخطك فليس لك إلا أن تستغفرى اللّه العظيم ، وأن تتوبى إليه ، وأن تؤكدى العزم على أنك لا تعودين .

فإذا ما غلبتك عواطفك فاعلمى أن الإنسان لا يتكلم إلا بإرادته ، فلا يمكن أن تصدر الألفاظ من الإنسان إلا بعد أن يفكر فيها ، ولا ينطق بها إلا بإرادته مادام الإنسان عاقلا .

فبمجرد أن يأتيك الخاطر فافزعى إلى اللّه تعالى ، واستعيذى باللّه من الشيطان الرجيم ، واعلمى أنها نفس الشيطان ، واعلمى أن لديك مرحلتين : مرحلة ذهنية ، ومرحلة كلامية . فساعة يأتيك الخاطر ذهنيًا فاستعيذى باللّه من الشيطان الرجيم ، وإذا ما غلب اللفظ فلا تكملين ، فبمجرد نطقك بأول الكلمة اقطعيها ولا تكمليها ، واستغفرى اللّه .

○○○

السؤال الثالث والثلاثون :

الرق فى الإسلام

تسأل مريم عبد العزيز من إمبابة : هل الإسلام شرع تحرير الرقيق أو شرع الرق ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لو نظرنا إلى ما قبل الإسلام لوجدنا أن الرق كان موجودًا فى كل أمة وكانت الأرض تباع برقيقها ... فلما جاء الإسلام وجد أن الرق له اثنان وعشرون ينبوعًا ، وليس له إلا مصرف واحد ، وهو إرادة المالك ، فماذا فعل الإسلام تجاه ذلك كله ؟

جفف الإسلام كل هذه الينابيع التى كان يسترق بسببها ، ولم يبق منها إلا ينبوعًا واحدًا ، وجعل بديلا لهذه الينابيع التى جففها اثنين وعشرين مصرفًا ، وهذه أول تصفية .

ولم يجعل الإسلام سببًا للرق سوى الحرب المشروعة فقط .. وكل ما عدا ذلك فهو غير معترف به شرعًا .. وكذلك كل الأسباب التى كانت تؤدى إلى الرق ، كدفع الإنسان نفسه ثمنًا لدينٍ أو دفع ولده أو ابنته للقمة العيش ، فلم يبق الإسلام إلا ينبوعًا واحدًا لم يوجده هو ، وإنما كان موجودًا فأقره ، أما باقى الينابيع فقد جففها .

فإذا رأيت وافدًا جديدًا وهو الإسلام يجفف ينابيع الرق المتعددة ، ثم يأتى إلى مصارفها فيعددها ويزيدها ، أليس هذا عكس ما يدعيه المستشرقون ؟ بل أليس هذا يثبت أن الإسلام دين يدعو إلى الحرية لا إلى الرق ؟

ولماذا بقى الرق فى الحرب المشروعة ؟

الحقيقة أنه لم يبقه دون أن يجعل له مصرفًا ، لأن القرآن الكريم يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد : ٤] .

فليس هناك استرقاق ، لأن الأسرى عند المسلمين لهم الحق فى أن يمن عليهم بالحرية دون مقابل ، أو يأخذوا منهم الفدية .. وليس من الجائز أن يسترق الخصم المسلمين ونحن نطلقهم . فلا بد أن تكون المعاملة بالمثل . فإن مَنَّ العدوُّ على أسرانا نَـمُنُّ على أسراه ، وإن طلب الفدية نطلب الفدية . وإن استبقى أسرانا نستبقى أسراه .

وهذا ما وصلت إليه معاملة الأسرى فى القرن العشرين ، ولهم أن يقيموا الأسرى ، فلربما كان واحدًا يساوى عشرة .

إذن .. فالإسلام هو أرقى ما انتهت إليه الحضارة التى نادت بإلغاء الرق ، ولكن لا يعقل أن يكون الأعداء أحرارًا وأولادنا يظلون عبيدًا ... ومن هنا نعلم أن الإسلام دعا إلى تحرير العبيد .

ولنفرض أنهم أمسكوا أسرانا ، ونحن بالمثل أمسكنا أسراهم . ولكنَّ هناك فرقًا بين معاملتنا للأسرى ومعاملتهم للأسرى . فنحن نعاملهم معاملة حسنة ، فنكسوهم مما نكتسى منه ونطعمهم ما نطعم ، ونعينهم على أعمالهم ، ولا نثقل عليهم فى العمل . ويظهر ذلك بوضوح من قوله ﷺ : « إخوانكم خولكم » - خدمكم - جعلهم اللّٰه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليكسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فهل توجد الآن فى العالم معاملة مثل هذه المعاملة ؟

ولنتأمل معاملة الصحابة رضوان اللّٰه عليهم للموالى فسنجد المعاملة الحسنة ، والأخلاق الكريمة .

فحينما سئل مولى عبد الرحمن بن عوف عن سمة عبد الرحمن قال : لو أقبلت علينا وهو معنا وأنت لا تعرفه فلا تكاد تميزه عن واحد منا .

وهذا بلال بن رباح مؤذن رسول اللّٰه ﷺ وهو عبد يعطى الولاية لإقامة شعيرة من شعائر الإسلام هى الأذان .

وكذلك سلمان الفارسى حينما اختار الرسول ﷺ ، وفضَّله على أبيه وعمه ، وأبى أن يفارق رسول اللّٰه ﷺ ، وخرج الرسول ﷺ فى الملأ من الناس وقال :

« سلمان منا أهل البيت » . فلم يقل : سلمان منا نحن المسلمين ، ولكنه جعله من آل بيته ، على الرغم من اختلاف جنسيته ، لأن النسب هو الإسلام .

وهذا عمر بن الخطاب يثنى على العبد صهيب فيقول : « نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه » .

ويقول : « لو أن سلمان مولى حذيفة موجودًا لوليته أمر المسلمين » .

وهذه ميزة تفرَّد بها الإسلام ، وهى أنه رفع العبيد ، وجعلهم أهلا للمناصب العالية ، لأن الإسلام يجمعنا إلى عبودية شاملة تجمع الناس جميعًا ، هى أن الكل عبيد الله . ولذلك لا تقل : هذا عبد . فعبد غير حر مثلك .

وقد نبهنا الرسول ﷺ إلى حسن نداء العبيد لئلا نخدش إحساسهم فقال ﷺ : « لا يقل أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » .

ومن هنا لا تصلح المقارنة بين رق وحرية ، ولكن المقارنة تكون بين رق وقتل ، لأن المسترق أسير حرب ، وأسير الحرب كان من الممكن أن يقتل ، فأراد أن يحقن دم الكافر فرقق عليه قلب المسلم بالانتفاع به حتى لا يقتل المؤمن كافرًا إلا مضطرًا ، وحين يستبقيه أسيرًا يكون قد ضمن له الحياة ، وأدخله بعد ذلك فى موجبات العتق ، أو حنان الاستبقاء فى حضن الإسلام .

○○○

السؤال الرابع والثلاثون :

حيض المرأة قبل طواف الركن

تسأل ممدوحة إبراهيم : إذا حاضت المرأة قبل أداء طواف الركن من الحج ، واضطرت إلى مغادرة مكة قبل الطهر لارتباطها بالفوج الذى تحج معه ، فماذا تفعل ؟

ويرد فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قالوا : تصنع احتياطًا بحيث لا يسيل منها دم ، ثم تتوجه مباشرة إلى الحرم وتطوف ، لكن تذبح بدنة ، أى بقرة ، وإن لم تستطع الذبح تصوم .

○○○

السؤال الخامس والثلاثون :

فائدة الصوم والعبادات الأخرى

تسأل سحر محمود فتقول : إننى أقوم بفرائض اللّٰه كلها ، غير أن نفسى تحدثنى دائمًا : ما الفائدة التى يستفيدها اللّٰه من صيام الناس عن الأكل والشرب ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كل التكليفات ليست لجانب اللّٰه عز وجل . والعجيب أن اللّٰه يقول : اصنع التكليفات للّٰه ، وعائدها لك . وهذه هى الفطرة . فالعمل للّٰه ، والاتجاه للّٰه ، لأنه هو الذى أمر بها ، وأنا أطيع الأمر ولكن عائدها لمن ؟ للإنسان العامل .

وكل عطاء تعطيه لغير اللّٰه فعائدته تعود إليه إلا عطاء اللّٰه فعائدته إليك ، وليست للّٰه . فالعبادة لمصلحتنا نحن . أما الحق سبحانه وتعالى فله صفات الكمال المطلق قبل أن يخلق الخلق ، ولذلك يقول فى الحديث القدسى : « لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وشاهدكم وغائبكم ، اجتمعوا على قلب أتقى رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك فى سلطانى قدر جناح بعوضة . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحاضركم وغائبكم ، اجتمعوا على قلب أفجر رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكى قدر جناح بعوضة » .

فأنت تصومين لنفع نفسك ، وليس لنفع اللّٰه . كما يطلب الأب من ابنه أن يذاكر ويتعب ليس لمصلحة الأب أو الأم ، ولكن لينجح الابن .

هذا ولله المثل الأعلى فأنت اشتريت ثلاجة . فإذا أردت أن تصونيها فعليك أن تنفذى قانون صيانتها ، ولذلك قال تعالى : ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٧] . فلا شيء يعود على الله ، ولكن كل شيء يعود عليك .

○ ○ ○

السؤال السادس والثلاثون :

الطاولة والورق

تسأل فاطمة م.ع : عن لعب الطاولة والورق والشطرنج هل هو من الكبائر ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا .. ليس من الكبائر ولكنه من اللَّهو . فإن كان يلهو به عن واجب فهو حرام ، فإننا نشاهد برامج التلفزيون أحيانًا أو الحلقة المسلسلة ، ولا بأس بهذا ، ولكن إذا أذن الأذان أصبح النظر إليه لهوًا ، لأنه يؤخرك عن أداء واجب الصلاة فى وقتها ، وهذا حرام .

ولذلك لم يبح من اللعب إلا ما لا يلهى عن واجب مما ينفعنا فى الجد ، فمثلا تعليمنا السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل رياضة ولعب ، ولكنها بحيث لا تلهى عن واجب ، وبشرط أن تنفعنا فى أوقات الجد .

○ ○ ○

السؤال السابع والثلاثون :

تحويل القبلة

تسأل جيهان كمال : ما سبب التوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة ، ثم التحول إلى المسجد الحرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كان بيت المقدس يحتوى على المقدسات الإسلامية فى الوقت الذى لم تكن الكعبة قد خلصت فيه للّه بعد ، ولأن الكفار جعلوها مقرّا لأصنامهم ، وكانوا يسمونها بيت العرب ، وقبل أن يستقر فى النفوس أن الكعبة بيت اللّه .

لذلك فلو أن المسلمين اتجهوا إلى الكعبة فى صلاتهم لكان مثلهم كمثل الكفار فى اتجاههم للأصنام ، فكأن اللّه تعالى أراد أن يستقر فى الأذهان أولا أن هذا بيت اللّه ، وليس بيت الكفار ، استقروا عقديّا ، كما أنه لم يكن للمسلمين ولاية على البيت ، بدليل أن المسلمين حينما تمكنوا من الكعبة كسروا الأصنام من حولها .

فإذا اتجهوا إليها وهى خالية تمامًا من الأصنام ، كان الاتجاه للّه لا للأصنام .

○○○

السؤال الثامن والثلاثون :

قوامة الرجال على النساء

تسأل الآنسة آلاء عبد الرحمن : ما المقصود من قوامة الرجال على النساء ، وهل تعنى هذه القوامة تفضيلا للرجال على النساء ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا قيل إن فلانًا قائم على أمر فلان ، فهذا يوحى بأن هناك شخصًا جالس ، والآخر قائم .

فمعنى قوامة الرجال على النساء أنهم مكلفون برعايتهن ، والسعى من أجلهن ، وخدمتهن ، إلى آخر ما تفرضه القوامة من تبعات وتكليفات .

إذن .. فالقوامة تكليف للرجل . ومعنى قوله تعالى : ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٤] . ليس تفضيلا من اللّه عز وجل للرجل على المرأة ، كما يعتقد الناس .

ولو أراد الله هذا لقال : بما فضل الله الرجال على النساء . ولكنه قال : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فأتى ببعض مبهمة هنا وهناك . وذلك معناه : أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود وحركة وكدح من ناحية الرجل ، ليأتى بالأموال ، يقابلها من ناحية أخرى ، وهو : أن للمرأة مهمة لا يقدر عليها الرجل ، فهى مفضلة عليه فيها .

فالرجل لا يحمل ، ولا يلد ، ولا يحيض ، ولذلك قال تعالى فى آية أخرى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٢] .

والخطاب هنا للجميع . وأتى بكلمة ﴿ بَعْضٍ ﴾ أيضًا لكى يكون البعض مفضلا فى ناحية ، ومفضولا فى ناحية أخرى .

ولا يمكن أن نقيم مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن مهمة الآخر . ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معا فسنجد أنهما متكاملتان . فللرجل فضل القوامة بالسعى والكدح ، أما الحنان والرعاية والعطف فهى ناحية مفقودة عند الرجل ، لانشغاله بمتطلبات القوامة ، ولذلك فالله عز وجل يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها ، ولا يحملها قوامة بتكليفاتها ، لكى تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذى خلقت من أجله .

ولكن الشارع قرر لنا أن الرجل عليه أن يساعد المرأة ، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت ووجد أهله منشغلين فى عمل يساعدهم ، مما يدل على أن مهمة المرأة مهمة كبرى ، وعلى الرجل أن يعاونها .

إن المرأة تتعامل مع أكمل الأجناس على الإطلاق وهو الإنسان فهى تربى سيد الوجود ، بينما الرجل يتعامل مع الجماد والتراب والنبات والحجر والحيوان .

○○○

السؤال التاسع والثلاثون :

تجليات مكة وتجليات المدينة

تسأل السيدة اعتماد أحمد فتقول : يشعر الإنسان فى مكة برهبة وخوف ، فى حين يشعر فى المدينة براحة وطمأنينة ، فما سبب ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن للّه سبحانه وتعالى صفات جمال كالرحمن والرحيم والغفور والشكور والودود والكريم . وكذلك فله سبحانه وتعالى صفات جلال ، كالعزيز والقهار ، والجبار ، والمتكبر ، والقوى ، وشديد العقاب .

أما من يتجلى عليه بصفات الجمال فيشعر بالراحة والطمأنينة ، وأما من يتجلى عليه بصفات الجلال فيشعر بالخوف والرهبة ، وهذا يحدث فى مرحلتين ، فمرحلة الخوف تأتى حينما يشعر الإنسان بالتقصير ، ومرحلة الطمأنينية تأتى حينما يشعر بفضل اللّه عليه .

وفى المدينة يتجلى اللّه باسم الجمال . ففيها يكون اتصال بيننا وبين قبر الرسول ﷺ ، وهو رحمة للعالمين ، بينما فى مكة يكون الاتصال بغيب . فاللّه غيب ، وبيته غيب ، فيكون الشعور بالرهبة والخوف ، وكلا الشعورين مطلوب .

○○○

السؤال الأربعون :

إمكان الصعود إلى السماء

تسأل السيدة فاتن زكى محمود فتقول : يقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] . **فهل هذه الآية الكريمة**

تحمل معنى احتمال أن ينفذ الجن والإنس من أقطار السموات والأرض ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا .. فإنه سبحانه وتعالى قال بعد ذلك : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] .

لقد تصور الناس عندما وصلوا إلى القمر ، أو اقتربوا من المريخ : أنهم قد وصلوا . ونقول لهم : أين القمر والمريخ من أقطار السموات والأرض ؟ وما هو القطر أولا ؟

القطر : هو الخط الواصل بين نقطتين على المحيط مارًا بالمركز . إذن فأقطار السموات والأرض خلقت على شكل دوائر ، ولأن الأرض كرة فإن لها محيطات لا تنتهى ، ولو كانت سطحًا مستديرًا لكان للأرض محيط واحد .

وكذلك فإن الكرة الأرضية تحيطها السماء من كل جانب . إذن فالأرض محاطة بدائرة من السماء ، فعندما يقف الإنسان على سطح الأرض ، ويمد بصره إلى آخره . يجد حوله دائرة تلتقى فى نهايتها الأرض بالسماء ، وهو ما نسميه « الأفق » .

إذن .. فالكون كله عبارة عن دوائر متداخلة ، ويحيط الكون كله سماء ، ثم سماء ثانية ، فى دائرة أوسع ، وهكذا . وبذلك فهناك أقطار لهذه الدوائر .

وهنا يقول الحق سبحانه : إنكم لن تستطيعوا أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض . ولنترجم ذلك إلى أرقام ، فلقد أمضى من وصل إلى القمر ستة أيام فى عدد ثانيتين ضوئيتين ، وهى المسافة بيننا وبين القمر . فى مائة وستة وثمانين ألف ميل ، وهى قيمة الثانية الضوئية .

إذن .. فقد استغرقت الثانية الضوئية مدة ثلاثة أيام .

وبيننا وبين الشمس ثمانى دقائق ضوئية . فى ستين ثانية ، فى ثلاثة أيام ، فنكون محتاجين إلى ثلاث سنوات وخمس وأربعين يومًا لنصل إلى الشمس .

ثم إذا انتقلنا إلى كوكب المشترى الذى يبعد عنا بمسافة أربع عشرة سنة ضوئية ، فى ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا ، فى أربع وعشرين ساعة ، فى ستين دقيقة ، فى ستين ثانية ، فى ثلاثة أيام .

فإذا أردنا أن نصل إلى هناك فما هو عدد الأجيال التى تستغرقها الرحلة ؟ ملايين الأجيال .

ثم أى سفينة فضاء هذه التى تستطيع أن تحمل ما يكفيها من وقود وطعام لهذه الفترة حتى تصل بعد ملايين السنين ؟

وبعد المشترى نجد « المجرة المسلسلة » التى تبعد عنا مائة سنة ضوئية . ثم الطريق اللبنى ، ويبعد عنا بمليون سنة ضوئية ، وبه مائة مليون مجموعة شمسية .

هذا ما يقوله علماء الفلك غير المسلمين . وهؤلاء العلماء يقولون : اذهب إلى شواطئ العالم ، واجمع رمالها ، ثم أحصها ، فستجد كواكب بعدد الرمال .

وبذلك نجد أنه من المستحيل حسابيًا أن نصل حتى إلى السماء الدنيا ، هذا إلى جانب النيازك الموجودة فى الفضاء .

ثم نتساءل : لماذا جاء الحق سبحانه وتعالى بالاستثناء فى الآية ، وهو ما يحمل معنى إخراج من الممنوع ؟

نقول : إن ذلك الاستثناء جاء فى الآية لاستثناء معراج الرسول ﷺ . إذن فعندما يقول الحق : ﴿ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ فليس ذلك سلطان العلم لاستحالته كما رأينا . ولكنه سلطان العلى القدير بأن نتجاوز أو لا نتجاوز .

○ ○ ○

السؤال الحادى والأربعون :

تحديد النسل

يسأل الدكتور مصطفى محمد عبد القادر من الإسماعيلية : عن تحديد النسل ، هل هو حلال أو حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قد يرجع سبب تحديد الزوجين لنسلهما إلى المحافظة على صحة المرأة ، أو عدم قدرتها على تحمل تبعات الحمل وحضانة الأولاد ، أو قد يكون السبب هو محافظة المرأة على نفسها باعتدال جسمها ، مما يجعلها أقدر على إعفاف زوجها ، أو قد يكون السبب ضيق المنزل الذى تعيش فيه الأسرة ، مما يجعل إنجاب مزيد من الأطفال أمرًا مزعجًا .

كل ذلك جائز فيه تحديد النسل ، ولا مانع من تحديد النسل بسببه .

أما إذا كان تحديد النسل بسبب الرزق فهذا هو الممنوع . والإنسان غير المتزوج حر فى أن يتزوج ، أو لا يتزوج ، ما دام آمنًا على نفسه وعلى دينه ، ومأمونًا على أعراض الناس .

فإذا كان الأصل وهو الزواج الذى شرعه الله لاستدامة النوع مباح ، فكذلك ما يترتب عليه بعد إنجاب الأولاد حسب رغبة الزوجين فلهما حرية الاختيار ، غير أن هذا لا يكون قانونًا لكل الناس . ولكنه راجع لحال الزوجين ، وبشرط ألا يكون الرزق هو السبب ، لأن الإنسان بذلك يدخل نفسه فيما ليس من مهمته ، لأن الرزق من الله ، والله هو الرزاق .

○ ○ ○

السؤال الثانى والأربعون :

الوصية بجميع التركة

تسأل السيدة م . م . قائلة : إن أختها أوصت قبل وفاتها بتوريث أحد أقاربها كل ما تملك . فهل هذا جائز ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أخشى ما أخشاه أن تكون الوصية لأحد الأقارب فراراً من أن يأخذ الوارثون حقوقهم المشروعة . فإن ذلك يدخل فى باب الكراهية .

وإلا فما الداعى لأن تؤخر فردًا كتب اللّٰه له ميراثًا ، فما دام اللّٰه كتب له ذلك فهو أقرب لها من غيره .

والإنسان لا يمكن أن يوصى إلا بثلث ماله . وأما الثلثان فهو حق اللّٰه يتصرف فيه بقوانين التوريث كما أراد .

والله تعالى يقول : ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١١] .

فأنا لا أترك ثروتى لمن أحب ، ولكن أتركها لمن أحب اللّٰه . وما دام الإنسان قد دخل دنياه وليس معه شىء ، فالله يخرجه منها أيضًا وليس معه شىء . وليس له أن يتصرف إلا فى الثلث ، ويترك الباقى لأصحاب الحقوق .

كما يجب أن يكون الثلث الذى تتصرف فيه لغير الورثة . فإن كان لأحد من الورثة فلا بد من موافقة جميع الورثة .

○○○

السؤال الثالث والأربعون :

تعويض أيام من رمضان

تسأل ن . م . ع . بالمعادى فتقول : إنها شديدة الضعف . مما يجعلها لا تستطيع تعويض صيام الأيام التى أفطرتها من رمضان . ومع مرور السنوات تراكمت عليها أيام الإفطار التى لم تعوض صيامها فماذا تفعل إذا هى لم تقدر على التعويض ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

عليك بصيام ما تقدرين عليه إلى حد الإجهاد ، فلا تتابعى الصيام ، وتوقفى فترة ، ثم عودى مرة أخرى للصيام ، فلو صمت يومين أو ثلاثة ، ثم أفطرت فترة من الزمن ، وعدت إلى الصيام مرة أخرى ، فيمكنك القضاء بالتدريج وبدون إجهاد .

أو يمكنك توزيع أيام إفطارك يومًا أو يومين كل أسبوع ، أو كل شهر حسب مقدرتك إلى أن تنتهى .

فإن كان ضعفك شديدًا ، ولا تتحملين ذلك أيضًا ، ورأى طبيب مسلم مؤتمن ذلك ، فإن الصيام يكون قد سقط عنك ، وتفدى صيامك بإطعام مسكين عن كل يوم أفطرت فيه .

○ ○ ○

السؤال الرابع والأربعون :

الوسواس فى الصلاة

تسأل سحر محمود فتقول : عند كل صلاة يوسوس لى الشيطان أنى أصلى للحائط الذى أقف أمامه ، برغم علمى الأكيد بغير ذلك . فهل أستمر فى صلاتى ، أم أتوقف حتى يبتعد عنى هذا الشيطان اللعين ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

استمرى فى صلاتك ، ولا تتوقفى أبدًا عن أداء الصلاة المفروضة ، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم .

فأنت لا تصلين إلى مطلق حائط ، ولكن تصلين إلى حائط مخصوص اتجاهه إلى القبلة . فلو كان مطلق حائط لكان أى حائط فى أى اتجاه يكفى .

ولكن ما دمت تتوجهين إلى حائط بالذات ، وقد تنحرفين عنه إلى ركن بالحائط حسب اتجاه القبلة ، فلا دخل للحائط فى ذلك .

قولى هذا فى نفسك ، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم .

○ ○ ○

السؤال الخامس والأربعون :

خيانة الزوج لزوجته

تسأل السيدة ع . م : هل للزوجة أن تغفر خيانة زوجها لها ؟

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى :

يجب أن تعرفى أنك لا تملكين المغفرة . فقبل أن يخون الزوج زوجته فإنه يخون اللّٰه . فهذه مسألة بين الإنسان وربه ، ولا شأن للعاطفة فيها .

وإذا حدث ما تقولين فإن إشاعة ما حدث من الخيانة إثم فى ذاته ، فلو أن الزوجة أشاعت ما حدث من زوجها بين الناس أو بين الأسرة ، تكون آثمة لذلك ، لأنها تعطى القدوة السيئة لمن يسمع بها .

وعليها أن تسكت وتترك حساب الرجل إلى ربه .

○ ○ ○

السؤال السادس والأربعون :

ترتيب المصحف وترتيب النزول

يسأل محمد صبرى عباس من القللى : عن سبب ترتيب المصحف ، على غير نظام ترتيب النزول .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن نزول القرآن كان على حسب الأحداث التى تتطلب الأحكام . وأما كتابته فهو على حسب وجود المصحف الشريف فى اللوح المحفوظ ، فهناك فرق بينهما .

○○○

السؤال السابع والأربعون :

رفع الصحف وجفاف الأقلام

تسأل السيدة عنايات أبو العلا من السودان : عن معنى : « رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

معنى هذا : أن كل ما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة مسطور فى الكتب ، ولم يخرج الكون عما سطر ، ولم يعد هناك شىء جديد يكتب .

وكل ما كان وسيكون مسطور فى الصحف ، لأن اللّه سبحانه وتعالى علم ما يقع فى كونه ، وإن كان الإنسان مختارًا . وتحكم الإنسان فيما فيه منطقة الاختيار دليل على العلم الشامل ، وليس معناه أنه مفروض علينا ، ولكن اللّه كتب لأنه علم .

○○○

السؤال الثامن والأربعون :

معنى اللات والعزى

وتسأل السيدة عنايات أبو العلا أيضًا عن معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم] .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

معنى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ ﴾ . فإن اللات والعزى ومناة : أصنام كان الناس فى الجاهلية يعبدونها ، ويدعون أنها آلهة ، وشركاء للّه .

فيقول الحق : هل ترون أن هذه الأصنام شركاء لله وأنتم الذين تنحتونها ، وإذا تصدعت تصلحونها بأيديكم .

وبعد ذلك تُقسّمون الكون ، فتجعلون الملائكة إناثًا للّه ، وتجعلون لكم الذكور ؟ فهل من المعقول أن يخلق اللّه الخلق ، وتختارون أنتم لأنفسكم ولله ؟ فهذه قسمة جائرة .

ثم يقول الحق بعد ذلك موضحًا الحقيقة : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم : ٢٣] .

○○○

السؤال التاسع والأربعون :

تحكم الآباء فى تزويج البنات

تسأل س . م . من الإسكندرية فتقول : إن والدها طلق أمها قبل ولادتها ، وهى تعيش مع أبيها منذ بلغت الثانية عشرة ، وهو رجل متشكك للغاية ، حتى إنه يمنعها من فتح النافذة ، ومن الخروج من البيت إلا نادرًا ، ويمنعها من زيارة أمها ، وتقول : إنه تقدم لخطبتها شاب ممتاز على خلق ودين ، انشرح له صدرها ، غير أن أباها رفضه لمجرد أنه قريب لوالدتها . وتسأل : هل إذا تزوجته فى بيت أمها ، وبدون موافقة أبيها تُغْضِبُ اللّه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ليس للأب أن يتحكم ويعترض على هذا الشاب ما دامت مقاييس الإيمان موجودة فيه ، لمجرد أنه قريب للمرأة التى طلقها . قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] .

فالإثم على الأب هنا ، وللفتاة أن تجد وليًا آخر يزوجها من هذا الشاب ، وقد بلغت الرشد .

○○○

السؤال الخمسون :

تحضير الأرواح .. وعلاج الأرواح للمرضى

تسأل السيدة س . م . م . من الزيتون : عن حكم تحضير الأرواح ، وعن علاج الأرواح للمرضى ، وعن علاج المرضى بالقرآن الكريم .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

وما الذى أعلمهم أنها أرواح ؟ هل يعرفون الروح حتى إذا حضرت قالوا : هذه هى الروح التى نعرفها ؟

يمكن أن يقولوا : إنهم يحضرون قُوىً خفية ، ولكن يُحضرون أرواحًا فلا . وكل ذلك غير مقبول .

ولقد اشتغل الناس بذلك من قديم ، ولم يتقدم هذا العلم خطوة واحدة ، رغم أن بقية العلوم تقدمت وتطورت بشكل هائل ، مما يدل على أنهم فى غير موضوع تجريبى ، لأن البحث العلمى يحتاج إلى المعمل ، وإلى التجربة ، وهذا العلم لا تتوفر فيه التجربة ، ولا يتوافر فيه المعمل .

ومن يقول : إنه يحضر الأرواح عن طريق القرآن فهو كاذب مدلس ، وكل ذلك يتم عن طريق الشعوذة ، فيحضرون الجن .

وهؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم ذلك ، ويدعون تحضير الأرواح ، نجدهم أشقى الناس حالا ، وأتعب الناس فى أمور دنياهم ، ولا يوجد واحد منهم يموت بخير أبدًا . وأرزاقهم تؤخذ ممن لايعملون بعلمهم ، وفى هذا أكبر دليل على أنهم لا يستطيعون نفع أنفسهم .

ثم إن اشتغال الناس بالغيب يتعبهم ، ولقد كان يجب على الناس أن يعرفوا قدر أنفسهم ، ويعلموا أن اللَّه ستر الغيب عنهم رحمة بهم ، وإلا فلو أن الإنسان عرف حدثًا واحدًا يحزنه فإنه هذا الحديث يطغى على كل الأحداث السارة فى حياته .

والذى يخبرنى بغيب لا يستطيع دفع هذا الغيب . فما الذى أستفيد إذن ؟

○ ○ ○

السؤال الحادى والخمسون :

تعامل الحائض مع القرآن

تسأل السيدة نادية محمد سليمان : عن قراءة القرآن سرًا للحائض ما حكمها ؟ وهل النظر لكلمات القرآن بدون لمسه حرام على الحائض ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إمرار آيات القرآن على ذهن المرأة الحائض مباح ؟ أما قراءتها للقرآن بأى صورة فممنوع ، وذلك لإيجاد قداسة للقرآن ، فلا يجوز أن يُقْبِل الإنسان على القرآن إلا وهو متطهر .

ولقد أعفى اللَّه الحائض من الصلاة والصوم ، فهل تصلى وتصوم رغم إعفائها هذا ؟

إن امتثال أوامر اللَّه فى ذلك عبادة ، فكما أن قراءة القرآن فى الطهر عبادة ، فكذلك عدم قراءته عند الحيض عبادة .

ونجد أيضًا أن الإنسان حر فى أن يصوم فى أى يوم من السنة ، ولكن فطره فى يوم العيد واجب ، لأنه عبادة كذلك ، فإن عبادة الصيام لا يزيد فضلها بتطويل مدة الصيام بعد المغرب ، ولكن تعجل الإفطار عند آذان المغرب والامتثال لذلك عبادة مثل صوم النهار تمامًا .

○○○

السؤال الثانى والخمسون :

التثقيف الدينى

تسأل السيدة حياة محمود من القاهرة فتقول : انشغل الناس بالحياة ، ولم يعودوا يهتمون بثقافتهم الدينية فكيف يتعلمون دينهم مع هذه المشاغل ، بحيث لايكون هناك إفراط ولا تفريط ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن المشكلة الموجودة بالفعل ليست هى مشكلة علم بالدين ، ولكنها مشكلة عمل بالدين . فدع الناس يعملون بما يعلمون أولًا ودع ما لا يعلمون .

هل يوجد مسلم لا يعرف أن الصلاة واجبة ؟ وهل هناك من لا يعرف أن الصوم واجب فى شهر رمضان ؟ أو أن الخمر والسرقة والرشوة حرام ؟

كل هذه أمور معروفة ، وأولية ، ولكن هل المسلمون ينفذون المبادئ الأولية لدينهم ؟

إن الإسلام فى البلاد الإسلامية فى غربة ، ويجب أن نعرف أن هناك فرقًا بين إسلام وبين مسلم .

فما دام الإسلام قد حرم بعض الأفعال ، فذلك دليل على فهمه أن المسلم من الممكن أن يعمل عملا خاطئًا كالسرقة مثلا ، فقال : من يسرق تقطع يده .. ووضع حدًا على شارب الخمر ، وطالب برجم الزانى .

إذن .. فما دامت هناك عقوبات مُجرِّمة فى نفس الدين ، ثم رأيتها فى الناس ، تقول : إن هذا خطأ فى الدين ... كيف ذلك وقد حرم الدين هذه الأفعال ؟

ولو رأينا المسلم الذى صنع شيئًا مُجرَّمًا قد وقعت عليه العقوبة لما استطاع أحد أن يقول شيئًا .. ولكننا نرى المسلم يجرم ، ولا تقع عليه العقوبة .

لقد نص الإسلام على جرائم ، ووضع للجريمة عقوبة ، فحين يرى واحد جريمة ، ولا يرى العقوبة عليها ، يعتقد أن هذا هو الإسلام . وهنا نقول له : لأنه يوجد شىء معطل .

○○○

السؤال الثالث والخمسون :

اختلاف الناس فى حظهم من الدنيا

تسأل السيدة نجوى عبد الله فتقول : تختلف البيئات والمجتمعات ، فنرى بيئة صالحة . وأخرى فاسدة ، فيأخذ من ينشأ فى البيئة الصالحة فرصة فى التربية ، بينما لا يجد الآخر هذه الفرصة . فما ذنب هذا ، وما فضل ذاك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما دام الإنسان قد أصبحت له ذاتية فإنه يسأل ويستفسر عن كل شىء ، فيختار لون القماش الذى يريد أن يرتديه ، ويذاكر مجتهدًا فى الثانوية العامة لكى يحصل على مجموع يؤهله لدخول الكلية والجامعة التى يريدها .

إذن .. لماذا كانت له ذاتية فى اختيار هذه الأشياء ، ولا تكون له ذاتية فى معرفة دينه . فالذى ينشغل بأمر يهتم به .

ودليل ذلك وجود كثيرات ممن نشأن فى مثل تلك البيئة الفاسدة ، ولكنهن تعرفن على دينهن ، وتمسكن به ، والعكس صحيح ، فكثير ممن نشأن فى بيئات صالحة طيبة قد ينشأن فاسدات .

ولذلك قال رسول اللّه ﷺ : « نضر اللّه امرأ سمع مقالتى فوعاها ، وأداها إلى من لم يعلمها » .

وذلك لكى يحدث تكامل بين من حصل على نعمة التربية الصالحة ، فينقلها إلى غيره ، ليتسفيد منها . وهذا من خير المؤمن نفسه أيضًا ، لأننى عندما أعلّم شخصًا خصلة من خصال الخير ، فسينالنى خيره ، وإن تركته على شره فسينالنى شره . فهذا من مصلحتى ، لأن أثر المستقيم يعود على غيره ، وأثر الشرير يعود على غيره .

إذن .. فمن مصلحتى - أنا صاحب الخير - أن يعرف غيرى الخير ليعاملنى به فكأننى أعمل الخير لنفسى . ولذلك قال رسول اللّه ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

فهذا يعود إلى حب النفس .. فإن كنت أمينًا عاد خير أمانتى على من حولى ، فيأمنون على أموالهم وأعراضهم .. وإن كان فيمن حولى سارق فسيمسنى شره بسرقة مالى . إذن فلكى أنال خير الناس لابد أن أنقل إليهم الخير .

○ ○ ○

السؤال الرابع والخمسون :

خير العمل

تسأل الآنسة ضحى الشابورى فتقول : ما معنى القول المأثور : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ؟ » .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الدين لا حدود له ، ولقد فرض اللّه علينا الحد والمحتمل والضرورى .. ولكن إذا أردت أن تتصدق بكل مالك فتصدق .

إذن .. فليس للدين حد يقف عنده ، ولكن هناك حدًا أدنى ، ولا يوجد حد أعلى . ولكنك لا تلزم نفسك بالحد الأعلى حتى لا تمل .

وخير الأعمال أدومها وإن قل ، فإذا صليت فى اليوم مائة ركعة ، فمن الجائز أن تفعل ذلك فى وقت نشاطك ، ولكن قد لا تستطيع المداومة ، وهنا الخطأ ، فكأنك جربت اللّه فى الود ولم تجده أهلا له . ولذلك فإياك من ذلك ، فالإيغال هو الزيادة عن المطلوب ، فافعل أولا المطلوب ، وإن أردت أن تزيد فبرفق ، فإن اللّه لا يمل حتى تملوا .

○○○

السؤال الخامس والخمسون :

الغيبة والنميمة

تسأل السيدة ناهد عبد الودود : ما هى الغيبة ، وما هى النميمة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الغيبة هى : أن تذكر أخاك بما يكره ، حتى ولو كان ما تذكره صحيحًا ، فإن كان صحيحًا فقد اغتبته ، وإن كان كذبًا فقد بهته ، أى افتريت عليه . والأخوة هنا بمعنى الأخوة الإيمانية . فكل مؤمن أخ للمؤمن الآخر .

أما النميمة فهى : أن تؤتمن على سر فتنقله إلى الغير .

أما الشخص الذى يتعرض للرأى العام ، وللحكم العام ، فلا غيبة له . لأنه عرَّض نفسه لحكم الناس عليه . فإن أساء فلا مانع من الحديث عن ظلمه ، لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] .

لأن القول هنا يجيء تنفيسًا عن الظلم ، أو لرفعه .

ولا مانع من المشورة ، فإذا استشارنى شخص فى زوج ابنته مثلا ، فعلىَّ أن أقول الحقيقة ، ولو كانت فى غير صالحه .

وبذلك تقول : إن الغيبة يقصد بها شفاء النفس بحقد على واحد ، وبعد ذلك قالوا : لا غيبة لفاسق . فالفاسق الذى يتعالى بفسقه لا غيبة له .

○○○

السؤال السادس والخمسون :

معنى كظم الغيظ

تسأل السيدة ليلى صبرى : عن الكاظمين الغيظ .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا أساء إلىَّ إنسان فقلت إننى لم أتأثر بإساءته ، فلن أكون صادقًا ، لأن هناك مؤثرًا خارجيًا ، ولا بد من وجود انفعال يقابله . ولكن من الناس من يأخذه الانفعال ، ولا يستطيع كتمانه ، ومن الناس من يستطيع كظمه .

إذن .. فكظم الغيظ : أن يحتفظ المغيظ بغيظه فى نفسه ، ولا ينفس عنه بشىء .. فكأنك ملأت - بالونة - بالهواء ، واحتفظت بالهواء فى داخلها .

وشخص آخر تجاوز هذه المرحلة ، فأخرج سبب الغيظ من نفسه ، فعفا بالتماس العذر مثلًا .

واللّه يحب المحسنين . هذه مرحلة أخيرة ، ليستوفى الحق أحوال النفس البشرية : إبقاء الغيظ كما هو دون تنفيس ... إخراجه من القلب ، والعفو عن المسىء ... الإحسان إلى المسىء بعد العفو عنه .

○○○

السؤال السابع والخمسون :

علاقة الأحياء بالأموات

تسأل السيدة سعاد محمود فتقول : هل يشعر الأموات بالأحياء ؟ وهل الدعاء لمن لا نعرف من الأموات يؤدى إلى رحمتهم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

نعم . ولو لم يكن هناك شعور لما أمرنا الشارع أن نقول حين نذهب إليهم : السلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون ، وإنا إن شاء اللّٰه بكم للاحقون.

أمرنا الشارع أن نسلم عليهم ، فلا بد أن تكون هناك استجابة وتجاوب . ويقولون : إن الميت يشعر بكل شيء ، حتى إنه يسأل عن هرة بيته .

وأما عن الدعاء ، فما الذى يمنع من أن يصل إليهم ثواب الدعاء بالرحمة ؟ باللّٰه ، ألست تجد فى حياتك إنسانًا يعذب إنسانًا ، فيمر آخر فيشفع له ، فيمنع عنه العذاب ؟ وما الهدف من هذا ؟ الهدف أننى يجب أن أشعر أننى محتاج لرأى الغير فى نفسى ، وأن رأى الغير فىَّ ينفعنى ، وذكراى الطيبة تنفعنى ، فأحاول جاهدًا أن يرضَى الناس عنى ، فأترك الدنيا ولى فيها رصيد خير عند كل الناس ، لعل واحدًا يدعو لى .

إذن .. فهذا استحثاث لك أنت ، لكيلا تترك عند الناس إلا كل خير .. لا يجب أن تأخذ المسائل منفصلة ، فلقد خلق اللّٰه الكون فى نظام لكى نسعد ببعض ، ولكى يوجد التعاضد والتساند ، فعندما أجد خصلة خير فى شخص أنميها فيه ، فإن لم أستطع أنا أن أفعل الخير بنفسى ، فعلى الأقل لا أستهزئ بفاعل الخير .

لأنه عندما يفعل الخير سينالنى أنا منه شيء ، وبذلك فالمقصود أن أترك الخير لدى كل الناس .

○○○

السؤال الثامن والخمسون :

وصف الله بالمكر

يسأل رشاد نيازى : ما المقصود بمكر الله ؟ وكيف يكون الله سبحانه وتعالى ماكرًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما هو المكر أولا ؟ المكر هو : أن يعلن المرء شيئًا ، ويضمر شيئًا آخر . وهناك مكر سيىء ، ومكر حسن ، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله .

المكر هو : تبييت باطن ، وتغليفه بظاهر ، لكى يحقق شيئًا لو اطَّلعَ عليه الممكورُ به لتلافاه .

إذن .. كلما كان للإنسان قدرة على تغليف مراده فى ظاهره كان ماكراً . ولكن مراده فى ظاهره لمن يحب أو لمن يكره ، بالخير أم بالشر ؟ فإذا كان المكر لمن يحب بالخير فهو المكر المحمود ، وأكون قد مكرت به لفائدة له . أما العكس فهو مذموم .

إذن .. فالمسألة هى تبييت ، والتبييتُ يقتضى أن المبيَّتَ له جاهل بما يُبيَّت له ، ولكن عندما يريد اللَّه سبحانه أن يُبيِّت أمرًا فمن ذا الذى يستطيع أن يعرفه .

إذن .. لا يمكن لأى مخلوق أن يمكر مع اللَّه أبدًا .

ولقد قال اللَّه تعالى عن نفسه : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] يعنى أنه سبحانه وتعالى عندما يمكر فمكره خير .

○○○

السؤال التاسع والخمسون :

قراءة القرآن بلا انفعال

تسأل السيدة ليلى موسى : أحيانًا أقرأ القرآن بلا انفعال ، ولكننى أستمر فى القراءة لأنال الثواب ، فهل أثاب على ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الأفضل فى هذه الحالة عدم القراءة ، لأن القرآن ليس حملا على القراءة ، بل يستطيع الإنسان أن يقرأ ما دام يريد القراءة ، سواء فهم أم لم يفهم ، ولكنه لا يحمل نفسه على القراءة بدون رغبة وإقبال .

○ ○ ○

السؤال الستون :

قراءة جزء من القرآن لايتعداه

تسأل سمية فتحى : تعودت على قراءة جزء معين من القرآن لا أتعداه ، فهل هذا ينقص الثواب ؟ وهل القراءة فى المصحف أفضل أو الحفظ ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إنك تقرئين القرآن لعقلك ، وهناك من يقرأ القرآن لقلبه .

فمن يقرأ لعقله يبحث عن القريب للفهم ، وهذا لا ينقص الأجر ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل : ٢٠] ولم يحدد ، ولم يكلف الشرع الإنسان بحفظ القرآن ، ولكنه كلفه بحفظ القدر الذى يقيم به عبادته .

أما إذا ألزم الإنسان نفسه بحفظ القرآن لرقى الدرجات فهذا أمر زائد ينال ثوابه ، كذلك فإن قراءة القرآن أمر زائد ، فالمفروض أن يحفظ الفرد ويقرأ ما يقيم به عبادته .

○ ○ ○

السؤال الحادى والستون :

صلاة الجنازة للمرأة

تسأل سامية عبد اللّه من الجيزة : هل تصلى المرأة صلاة الجنازة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

دل قول النبى ﷺ : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » على ألا تشترك المرأة فى تشييع الجنازة ، وبالتالى لاتصلى على الميت .

ولكن إذا وجدت المرأة بالصدفة فى المسجد ، وصلى المصلون على ميت ، فيمكنها أن تصلى معهم ، على ألا يكون خروجها من بيتها لغرض الصلاة على الميت .

○○○

السؤال الثانى والستون :

الإعلان عن الزواج

تسأل ن . ح : عما يفعله الناس من الطبول والزغاريد وتعليق الأنوار على البيوت فى الزواج .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الإصرار على ألا يعلم أحد بالزواج يجعل الزواج باطلا ... فالإعلان شرط ، لحماية أعراض الناس من الناس .. وكل ما نراه من مظاهر مختلفة فى الأفراح من دق الطبول ، وإعلان الزغاريد ، ووضع الزينات والأنوار على البيوت كل ذلك إعلان عن الزواج ، لنحمى أعراض الناس من ألسنة الناس .

ويجب أن نعرف أن الإعلام شىء ، والكتابة شىء آخر ، لحماية المصالح المدنية من مؤخر الصداق ، والنفقة أمام القضاء .

○○○

السؤال الثالث والستون :

الدعاء والقدر

تقول الآنسة س . م . ع : إنها لم تتزوج برغم أنها بلغت الخامسة والعشرين ، وبنات بلدتها يتزوجن

فى سن صغيرة ، وهى تسأل : هل الدعاء إلى الله أن يرزقها الزوج الصالح يعتبر اعتراضًا على قدر الله ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا شيء فى دعائك لله أن يرزقك الزوج الصالح ، وما دام الإنسان يدعو بما أحل الله له ، فله أن يدعو بما يشاء .

○○○

السؤال الرابع والستون :

الاستخارة الشرعية

تسأل محاسن على أبو الفتوح : عن صلاة الاستخارة وهل ما يراه الإنسان فى منامه بعد الاستخارة يدل على القبول أو الرفض ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الرؤيا فى المنام ليست واردة فى الاستخارة ، ولكن ما نراه فى المنام يأتى من شغل البال بالموضوع .

إنما الاستخارة الشرعية التى علمنا إياها النبى ﷺ هى : أن نصلى ركعتين ، ثم نسأل الله بالدعاء المعروف وهو : « اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى ، وعاجله وآجله ، فاقدره لى ، ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، وعاجله وآجله ، فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » . ثم تسمى حاجتك . ثم ما ينشرح له صدرك بعد ذلك فهو ما يريده الله لك .

والاستخارة لا تكون إلا فى الأمور المتساوية ، بحيث لا يستطيع الإنسان ترجيح أحدها . كما أنها لاتكون فى أمر يتصل بالشرع ، لا يجوز أن أعمل استخارة لرجل تقدم لابنتى وهو على غير دين .. فلا بد أن تتوافر مقاييس الدين فى الأمر أولا ، ثم بعد ذلك تأتى الاستخارة .

فلو تقدم شابان مستقيمان ، على دين واحد ، واحتار الإنسان بينهما لتساويهما . فأعمل الاستخارة حينئذ .

○○○

السؤال الخامس والستون :

تسأل حنان خاطر : ما المقصود بأن النساء ناقصات عقل ودين ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما هو العقل أولا ؟ العقل من العقال ، بمعنى أن تمسك الشىء وتربطه ، فلا تعمل كل ما تريد . فالعقل يعنى أن تمنع نوازعك من الانفلات ، ولا تعمل إلا المطلوب فقط .

إذن فالعقل جاء لعرض الآراء ، واختيار الرأى الأفضل . وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة ، والمرأة تتميز بالعاطفة ، لأنها معرضة لحمل الجنين ، واحتضان الوليد ، الذى لا يستطيع أن يعبر عن حاجاته ، فالصفة والملكة الغالبة فى المرأة هى العاطفة ، وهذا يفسد الرأى .

ولأن عاطفة المرأة أقوى ، فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية ، وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة .

إذن .. فالعقل هو الذى يحكم الهوى والعاطفة ، وبذلك فالنساء ناقصات عقل ، لأن عاطفتهن أزيد ، فنحن نجد الأب عندما يقسو على الولد ليحمله على منهج

تربوى فإن الأم تهرع لتمنعه بحكم طبيعتها . والإنسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم ، وإلى العقل من الأب .

وأكبر دليل على عاطفة الأم تحملها لمتاعب الحمل والولادة والسهر على رعاية طفلها ، ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم ، ونحن جميعًا نشهد بذلك .

أما ناقصات دين فمعنى ذلك أنها تعفى من أشياء لا يعفى منها الرجل أبدًا . فالرجل لا يعفى من الصلاة ، وهى تعفى منها فى فترات شهرية ... والرجل لا يعفى من الصيام ، بينما هى تعفى كذلك عدة أيام من الشهر ... والرجل لا يعفى من الجهاد والجماعة وصلاة الجمعة ... وبذلك فإن مطلوبات المرأة الدينية أقل من المطلوب من الرجل .

وهذا تقدير من الحق سبحانه وتعالى لمهمتها وطبيعتها ، وليس لنقص فيها ، ولذلك حكم اللَّه تعالى هذه الآية فقال : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء : ٣٢] .

فلا تقول : إن هذا عمله أكبر من ذلك أو العكس .. ولكن انظر إلى مهمة كل منهما .

فإذا قلت : إن المرأة غير صائمة لعذر شرعى فليس ذلك ذمًا فيها ، لأن المشرع هو الذى طلب عدم صيامها هنا ، كذلك أعفاها من الصلاة فى تلك الفترة ، إذن فهذا ليس نقصًا فى المرأة ولا ذمًا ، ولكنه وصف لطبيعتها .

○○○

السؤال السادس والستون :

جور الزوج فى إنفاق ماله

تسأل س . ع . م من حيفا : هل يحق للزوج أن ينفق ماله على أهله وأحبابه دون زوجته ؟ وهل يحق للزوجة التصرف فى مال زوجها بدون علمه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الرجل حر فى أن ينفق على أهله من ماله ما شاء ما دام يؤدى لزوجته حقها ، ولا يقصر فى واجبها ، وهو حر فى أن ينفق خصوصًا على أهله .

وليس للزوجة أن تتصرف فى مال زوجها بدون علمه إلا إذا كان من البخل بحيث يقصر فى واجبات مثله لمثلها ، فلها أن تأخذ على قدر التقصير ، وبما يجبر هذا التقصير ، كما أفتى بذلك رسول اللّٰه ﷺ لهند امرأة أبى سفيان ، على ألا تتمادى فى هذا .

وعلى أن تعلم أن اللّٰه رقيب عليها ، فلا تأخذ بدون علمه أكثر من حقها .

○ ○ ○

السؤال السابع والستون :

الشك فى الوضوء

تسأل السيدة س . م فتقول : إننى دائما متشككة فى الوضوء ، وأحيانًا أكون متأكدة من أن هذا وسواس وشك ، فأصلى ، ولكن ضميرى يظل يؤرقنى .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أصل الحكم به أن نترك الشك ، ونستصحب الأصل . بمعنى أنى فى الأصل كنت متوضئًا ، ثم شككت أحدثت أم لا . إذن أكون متوضئًا .

وإن كنت محدثًا ثم شككت هل توضأت أم لا ، فأكون محدثًا .

فالفتوى هى : استصحاب الأصل ، وترك الشك ، وإبقاء ما كان على ما كان عليه .

○ ○ ○

السؤال الثامن والستون :

ترك الصلاة فترة من العمر

تسأل السيدة أ . أ . س قائلة : إن أختها توفيت فى العشرين من عمرها ، ولم تكن تصلى ، إلا أنها صلت بانتظام قبل وفاتها بستة أشهر ، ولكنها مرضت قبل الوفاة . وتسبب مرضها فى عدم انتظامها ، لإصابتها بالغيبوبة ، فما رأى الدين فى ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما دامت أختك قد تابت قبل وفاتها ، وقطعت تركها للصلاة ، واستمرت عليها بالفعل ، ثم طرأ عليها المرض ، ففترة إغمائها لا تجب عليها الصلاة فيها . وفى غير فترة الإغماء تصلى قائمة ، فإن لم تستطع فجالسة ، أو مضطجعة ، حتى ولو برموشها ، ما دامت فى وعيها . أما فى حالة الغيبوبة فتسقط الصلاة عنها .

وما دامت كانت تصلى فى غير وقت الغيبوبة فنأمل إن شاء الله أن يغفر الله لها ، وأن يتقبل منها ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

○ ○ ○

السؤال التاسع والستون :

مهمة الزوجة وتعدد الزوجات

تسأل السيدة سهام أمين : إن من المعروف فى الدين أن يسمح للرجل بالزواج على امرأته فى حالة إصابتها بمرض لا يسمح لها بمراعاته . ولكننا نرى الرجل يتزوج بأخرى برغم إخلاصها ، وبرغم أنه لا يعيبها شىء ، فما حكم ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن اللَّه سبحانه وتعالى لم يشرع زواج الرجل بالمرأة لتخدمه ، فالقصد من الزواج أشياء كثيرة ، والخدمة ليست الأصل فى الزواج ، ولكنها تأتى مع الزواج ، حتى إن المرأة لو رفضت الخدمة ، فإن الرجل يأتى لها بمن يخدمها إن تيسر له ذلك .

إذن .. فالزواج ليس لخدمة الرجل ، ولكن القصد من الزواج هو إعفاف الرجل . فهب أن امرأته لا تعفه ، وأنه رأى فى امرأته أمرًا يناقض الإعفاف ، فلا يجوز أن نجعله يتطلع لسواها ، ويلهو فى أعراض الناس ، لكى لا يشاركها فيه أحد ؟

والآفة فى مناقشة الرأى أننا نناقشه من وجهة نظر واحدة .. فما معنى أن رجلا متزوجا تقدم لامرأة ، وقبلت أن تكون زوجة ثانية له ؟

معنى هذا : أنها استعرضت أمرها ، فوجدت أن قبولها أن تكون زوجة ثانية له هو خير أحوالها .

بل إننا نجد أخرى وقد وجدت أن خير أحوالها : أن تكون زوجة رابعة .

ولكى يكون الحكم على الرأى موضوعيًا فعلى المرأة أن تأخذ الحكم لها وعليها ، ولا تأخذه لها فقط . ولما أباح التشريع تعدد الزوجات ضمن للزوجة الأولى حقوقها . وأما إن كان للمرأة حساسية من زواج زوجها بامرأة غيرها ، فلها أن تشترط فى العقد أن تُطَلَّق إن تزوج بأخرى . ولكن لا يصح لنا أن نجادل فى أمر أحله اللَّه لحكمة قد لا نعلمها .

وما يحدث من مشكلات من جراء تعدد الزوجات ينشأ نتيجة لأن الناس أخذت حكم اللَّه فى إباحة التعدد ، ولكن لم تأخذ حكمه فى حتمية العدالة .

فقد حكم اللَّه على من يعدد بأن يعدل بين زوجاته . ولكن لما لم يعدل الرجل تشكك الناس فى حكم اللَّه فى التعدد ... ولكن لو أنهم عدلوا ، ولم يظلموا ، لما حدثت الحساسية من التعدد .

ولقد اشتكت امرأة زوجها ، لأنه أقبل على العبادة ، ولم يعطها حقها ، فرفعت المسألة إلى عمر بن الخطاب رضى اللّٰه عنه ، فقالت له :

إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا لا أحب أن أشكوه بطاعة اللّٰه فلم ينتبه عمر إلى شكواها وقال : نعم الرجل هو .

ولكن أحد الرجال كان يحضر المناقشة فقال : إنها تشكو انشغال زوجها عنها .

فقال له عمر : أما إنك فهمت كلامها ، فاحكم بينهما .

فقال الزوج : إنه أقبل على العبادة لخوفه من اللّٰه عز وجل .

فحكم الرجل عليه بأن يتعبد الزوج ثلاث ليال ، يقوم فيها الليل ، ويتعبد كما يشاء ، وأن يبقى مع امرأته الليلة الرابعة ، لأن اللّٰه قد أباح للرجل أن يتزوج أربعًا .

فرد عمر على ذلك قائلا للرجل :

لأى أمريك أعجب ، ألأنك فهمت أمرها ، أم لأنك حكمت بينهما ؟ أما والله ما دمت فهمت وحكمت ، لأولينك قضاء البصرة .

○ ○ ○

السؤال السبعون :

ارتباط الجنة بأقدام الأمهات

تسأل السيدة زينات محمد بدوى : ما معنى أن الجنة تحت أقدام الأمهات ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يقال : إن فلانًا بين يدى فلان . يعنى : أمامه . ويقال : إن فلانًا تحت أقدام فلان . وهذه كفاية ، مثلما تقول : إن فلانًا طوع يدى ، وإن لم تمسكه يدك . بمعنى : أنه مؤتمر بأمره ، لا يخرج عن إرادته ، كما لا يخرج المقبوض عليه من يد قابضه .

فإذا قلنا : إن الجنة تحت أقدام الأمهات . فليس معناه الإخبار عن مكان الجنة ، وأنه هنا ، وإنما معناه : من أراد الجنة فليلزم قدم أمه .

بمعنى أنه يكون فى الموطن الذى يظنه الناس مهينًا مع سواها .

وبذلك يكون معنى الجنة تحت أقدام الأمهات : يا من أراد الجنة ، الزم الذلة والخضوع كما قال الله عز وجل :

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

وعندما يوصى النبى ﷺ بالوالدين جعل الوصية الغالبة للأم ، لأن الأب له من قوة الكدح فى الحياة ما قد يغنيه ، ولأنه إن تعرض للحاجة والسؤال فلا غبار عليه . أما الأم إذا وصلت إلى هذا الحد من الحاجة ، فإن فى ذلك مهانة لها ، يجب أن نجنبها إياها .

وعندما سُئل رسول الله ﷺ ، عن أحق الناس بالصحبة قال : « أمك . ثم أمك . ثم أمك . ثم أبوك » .

وعندما تكلم الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ . فعندما طلب العلى القدير من الابن الدعاء ، طلب أن يدعو للأبوين كليهما بالرحمة ، وأرجع التربية إلى كل من الأب والأم . فالأم تعطى الرعاية والحنان ، والأب يعطى الكفاح وراء الرزق ، وكلاهما مشترك فى التربية .

وأوصى كذلك القرآن بالوالدين فقال الحق تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] فقد أوصى بالوالدين معًا وفى آية أخرى قال : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ . إذن فقد أوصى الله تعالى بالوالدين .

ولكنا نجده فى آية أخرى يقول : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف : ١٥]

وفى آية أخرى يقول : ﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان : ١٤] .

فأتى فى الآيتين بحيثية التوصية بجانب الأم ، فهو جل شأنه أوصى بالوالدين معًا ، ثم أتى بالسبب للأم .

وذلك لأن الأشياء التى يصنعها الأب للابن أشياء واضحة ، فعندما يتفتح ذهن الابن يجد أن كل شيء مرده إلى الأب ، فهو الذى يأتى بالأموال التى يشترى بها مطالبه ، ولذلك فإن الابن يدرك أن مصادر النفع له كلها مردها إلى الأب .

فالابن هنا لا يحتاج إلى لفت نظر إلى دور الأب ، لأنه أدرك بنضجه العقلى ما يفعله أبوه من أجله .

أما متاعب الأم بالنسبة للولد فقد حدثت فى مرحلة لم يبلغ فيها الابن بعد مرحلة الإدراك لما يحدث ، فهو لا يستطيع أن يدرك المتاعب التى تتكبدها الأم فى فترة الحمل والرضاعة ، وما تبذله من جهد عظيم فى رعايته فى مرحلة طفولته المبكرة .

ولذلك فإن متاعب الأم غير مدركة للولد الذى نوجه له النصيحة ، ولكن عندما ينصحه يكون قد بلغ من النضج والمقدرة على الفهم قدرًا مناسبًا . فيقدر ما يفعله أبوه فى الوقت الحاضر ، أما ما فعلته أمه قديمًا فهو لا يدركه فى نفسه ، مع إمكان إدراكه فى غيره ، فيأتى اللّه سبحانه ليذكره بذلك .

○○○

السؤال الحادى والسبعون :

التبرع بالدم

يسأل محمد سليمان مدكور : عن ثواب التبرع بالدم برغم أن المتبرع يأخذ خمسة جنيهات مكافأة من الحكومة ، فهل تَسلُّم هذه المكافأة يلغى الثواب ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن مجرد التبرع بالدم ولو أخذ المتبرع عليه أجرًا يوجب الثواب ، لأن هذا العمل قد يساعد على إنقاذ حياة إنسان ، خصوصًا بعد أن أمكن للطب الحديث الاستفادة بالدم ولو بعد فترة من الزمن .

وما دام القدر الذى يتبرع به المتبرع لا يضعفه ، ولا يؤذى صحته . ودليل ذلك أنه من الممكن أن يجرح إنسان عضوًا ، وينزف كمية كبيرة من الدم ، وقد تزيد على الكمية التى تؤخذ منه عند التبرع .. وعندما يتوقف النزيف ، ويلتئم الجرح ، لا يؤثر الدم المفقود على حياته ، ولا على صحته .

بل وأكثر من ذلك أن الدم يتجمد ، ويستعوض الجسم الدم المفقود .. ولذلك فإن الكمية التى يتبرع بها الإنسان ما دامت لا تؤثر على صحته ، وكان ذلك تحت إشراف طبى ، فإن مجرد القيام بهذا العمل ولو بأجر يكون عليه الثواب .

وإن أراد السائل التنازل عن هذا الأجر ، أو الحصول عليه للتبرع به لمن هو فى حاجة إليه ، فيكون له بهذا ثوابان : ثواب التبرع بالدم ، وثواب التبرع بالأجر .

○ ○ ○

السؤال الثانى والسبعون :

تكفير الولادة للذنوب

تسأل السيدة نجوى محمد زكى بشركة الملح والصودا قائلة : هل صحيح أن كل امرأة تلد تسقط عنها ذنوبها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إنهم يقولون هذا فى الولادة العسيرة ، التى تتحمل فيها الأم آلامًا فوق الآلام العادية للولادة بصبر وإيمان .

○ ○ ○

السؤال الثالث والسبعون :

تغيير مصرف النذر

تسأل السيدة جمالات محمود من كفر الشيخ :
هل يمكن دفع مبلغ كنت نذرته لباب من أبواب الخير بالتحديد في باب آخر من أبواب الخير ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إنه يمكن أن تضعى المبلغ الذى كنت نذرته لجانب معين من جوانب الخير ، ولم تتمكنى من أدائه فى هذا الباب فى باب آخر من أبواب الخير .

○○○

السؤال الرابع والسبعون :

فوائد البنوك وشهادات الاستثمار

تسأل السيدة جمالات محمود أيضًا : عن فوائد البنوك ، وشهادات الاستثمار ، هل هى حلال أو حرام ، وهل يمكن الحج منها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أما ما تدخره فى البنوك بفوائد فمن الأفضل أن تنقل السائلة مالها إلى بنك إسلامى ، لتخرج من حيرة الارتياب .

والحلال بَيِّن ، والحرام بَيِّن ، وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

وعلى فرض أنه وُجِدَ رأى يقول : هذا حلال . ورأى آخر يقول : هذا حرام . فمن يريد أن يستبرئ لدينه وعرضه فليبتعد عن المشكوك فيه ، وخصوصًا إذا وجد البديل ، وهو البنك الإسلامى الذى يعمل بنظام المضاربة .

وأما الحج من هذا المال فهو حرام ، ولا بد أن يكون مال الحج حلالا خالصًا لا شبهة فيه أبدًا . وفى هذا قال الشاعر :

إذا حججت بمال أصـــله دنس   فما حججت ولكن حجت العير

أى حجت الجمال والركائب فقط .

○ ○ ○

السؤال الخامس والسبعون :

معاشرة الزوج القاتل خطأ

تسأل السيدة سامية عليان من السودان : عن زوج قتل خطأ ، هل الاستمرار فى الحياة معه حلال أو حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما دام هذا الرجل لم يعمد إلى القتل ، ولكنه قتل من قتله خطأ وبدون قصد ، فلا شيء على زوجته ، ومعاشرته حلال ، ولا شأن للعلاقة بين الزوجة وزوجها بما حدث منه .

○ ○ ○

السؤال السادس والسبعون :

تشريح جثث الموتى

تسأل السيدة هند إسماعيل : هل تشريح الموتى حلال أو حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

التشريح نوعان : إما للوصول إلى نتائج علمية ، أو تشريح لمعرفة سبب الوفاة فيما إذا وُجِدَ شك جنائى .

وبالنسبة للأمر الأخير فإنه يعين القضاء على مسائل كثيرة لمصلحة المجنى عليه ، بمعرفة قاتله ، ولمصلحة المجتمع أيضًا . وليس القصد هنا التمثيل بجثة الميت .

وكذلك الأمر بالنسبة للبحث العلمى ، فإن التشريح يفيد البشرية بالتعرف على جثة الإنسان ، وما يمكن أن يتعرض له من أمراض قد تودى بحياته ، فيكون التشريح حينئذ بقصد تعليمى يهدف إلى فائدة الإنسان .. وفى مثل هذه الحالات تكون الجثة غير معروفة ، فلا يكون القصد أيضًا التمثيل بها .

ولكن الذى يسود هنا هو امتهان الجثة بعد أن تؤدى الغرض منها ، فلا يكون لها حرمة ، أو أن تنبش القبور للإتيان بالجثث وسرقتها ، وهذا بالطبع حرام قطعًا .

ويجب أن نعرف أن أجزاء الميت محترمة ، ولها حرمة ، بل إنه إذا بتر جزء من جسم الإنسان وهو حى ، فإنه يدفن كما يدفن الميت تمامًا ، فإن للإنسان كرامة حيًا وميتًا ، ولقد بلغ من كرامته أنه قيل : إن كل إهاب « جلد » دبغ فإنه يطهر بالدباغة ، إلا الخنزير لنجاسته ، والإنسان لكرامته .

فإذا كان ولا بد أن نشرح ، فالتشريح يكون باحترام وأدب ، وأن يعود كل شىء إلى أصوله ، بعد أن يتم الهدف من تشريحه ، فيدفن الدفن الطبيعى ، ويحافظ على كرامته ، أما كما نرى من إهانة الجثث بعد أن ينالوا غرضهم منها فهو ما لا يقره أحد .

السؤال السابع والسبعون :

صلاة المرأة فى ملابس شفافة

تسأل كريمة فؤاد : هل تصح صلاة المرأة فى الملابس الشفافة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يشترط فى الملابس التى تؤدى فيها المرأة الصلاة ألا تكون واصفة ولا كاشفة بمعنى ألا تكون ضيقة تحدد شكل جسمها ، ولا شفافة بحيث يظهر ما تحتها .

السؤال الثامن والسبعون :

كشف ذراع المرأة عفوًا فى الصلاة

تسأل كريمة محمد السيد : ماذا تفعل المرأة إذا انكشفت ذراعها فى الصلاة ، لتطاير طرحتها مثلا ، هل تعيد الطرحة بسرعة أو تعيد الصلاة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا انكشفت ذراع المرأة أثناء الصلاة فبحركة سريعة تغطى نفسها ، على أن تحتاط بعد ذلك قبل الصلاة ، بأن ترتدى من الملابس ما يسترها تحت الطرحة ، فلا تتعرض لمثل هذه الظروف .

ونحن نرى بعض النساء الفضليات وقد صممن زيًا خاصًا للصلاة ، بحيث يجعل المرأة تصلى فى هدوء ، وهى مطمئنة لستر كل ما طلب ستره ، فلا ينشغل بالها بلف الطرحة حولها ، لتستر ما قد يبدو منها ، وبذلك لا تشغل بالها أثناء الصلاة إلا بوقوفها بين يدى ربها عز وجل ، فتؤدى بذلك صلاة خاشعة مطمئنة .

○○○

السؤال التاسع والسبعون :

لبس الذهب للمرأة

تسأل هادية عبد المنعم : هل قول رسول الله ﷺ فى سوارين كانا فى يد ابنته : « هذان سواران من نار » بمعنى أن كثرة الذهب حرام ولو دفعت عنها الزكاة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يجب علينا أولا أن نعرف هل كان قوله هذا بعد أن أمسك بالحرير والذهب وقال : « هذان حلال لإناث أمتى ، حرام على ذكورها » . أم بعده ؟ كان يجب

التأريخ للحادثة . فلعل التشديد كان أولا ، ثم أباح اللّه للمرأة أن تتزين بالذهب ، وحرمه على الرجال ، أو أن هذا الحكم قد جاء متأخرًا . فيكون اللّه عز وجل قال : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور : ٣١] أى مواضع زينتهن . فذلك أنه أباح للمرأة أن تتزين .

أو أن هذا كان بالنسبة لابنته ﷺ خاصة .

ولكن جمهرة العلماء أباحوا للمرأة أن تتحلى وتتزين ويعفى من الزكاة قدر حليتها .

○○○

السؤال الثمانون :

حول خروج الفتاة مع خاطبها

يسأل الأخ س . م . من الجيزة : هل يجوز للفتاة التى وعدها شاب بالزواج وهو على خلق ، ولكن ظروفه تمنعه من التقدم لخطبتها فى وقته الحاضر .. هل يجوز لها أن تخرج معه إلى الأماكن العامة ، أو محادثته تليفونيا ، للتعرف عليه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كل هذا لا يجوز ، لا محادثته ، ولا الخروج معه ، ولا الخلوة فى بيتها بغير محرم ، وليس له إلا أن ينظر إليها مرة واحدة بمحضر من أهلها .

لقد أسرف الناس فى أمور الخطبة ، وحولوها عشرة ، وبرغم أن الأحداث أثبتت لهم سوء هذا النظام الذى ابتدعوه بفشل كثير من الخطبات بعد أن يدخل الخطيب بيت مخطوبته ، ويخرج معها ، وبعد ذلك يتركها ، لتجتر الآلام وحدها .

○○○

السؤال الحادى والثمانون :

لغة المتكلمين فى القرآن

يسأل السيد محمود غالى من البحيرة : هل حكى الله عز وجل نص ما تكلم به فرعون ومؤمن آل فرعون وسليمان والهدهد وغيرهم من المتكلمين فى القرآن . أو أنه تعالى عبر بطريقة خاصة عن كل ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الله عز وجل حكى بلغة الإنسان العربى ما حدث تمامًا . مثلما يرسل الإنسان خادمه برسالة إلى إنسان ، فالخادم يؤدى معانى الرسالة بألفاظه ، وإذا أرسلت أديبًا إلى واحد بمعنى من المعانى ، فإن الأديب سيعبر عن المعنى بأسلوب أدبى جميل . فهناك فرق بين الأداء وبين المعنى .

وللنظر إلى كلام فرعون . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ

هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر] .

فلننظر إلى الإبداع الإعجازى فى التعبير . فلم يكن فرعون بليغًا لكى يعبر بهذا الإبداع لرد موسى عن قومه . ولا مؤمن آل فرعون كذلك .

هذا إلى جانب نقطة أخرى ، هى اختلاف لغات لقمان وفرعون وسليمان والهدهد والنمل ممن ذكر القرآن الكريم محادثها .

○ ○ ○

السؤال الثانى والثمانون :

غسل الشعر كله فى غسل الجنابة

تسأل مريم حامد : هل يجب غسل الشعر كله عند الغسل من الجنابة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

نعم ، بالطبع يجب غسل الشعر كله عند الغسل من الجنابة ، ولكن المرأة لا تنقض ضفيرتها ، ويجب أن يتخلل الماء كل الشعر .

○ ○ ○

السؤال الثالث والثمانون :

صحة الصلاة مع وجود إفرازات

تسأل السيدة سارى على الدين : هل يمكن الصلاة مع وجود إفرازات ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن لم يكن العلاج لهذه الحالة طبيًا ، وإلى أن يتم العلاج يمكن للمرأة أن تصلى مع وجود الإفرازات ، على أن تتوضأ لكل صلاة وضوءًا خاصًا ، فلا تصلى الظهر والعصر بوضوء واحد ولو لم ينتقض وضوؤها الأول ، ولكن يجب أن تتوضأ لكل

فرض وضوءًا خاصًا وتصلى وتتم صلاتها ، حتى مع نزول الإفرازات ، على أن تحتاط الاحتياط اللازم لمثل هذه الحالات .

○○○

الوضوء مع الغسل

تسأل سحر أحمد : هل يغنى الغسل عن الوضوء أو لا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذا يتوقف على سبب الغسل وكيفيته . فإن كان الاستحمام للنظافة ، أم لمجرد غسل البدن والرأس فإنه لا يغنى عن الوضوء . وأما إن كان الاستحمام لإزالة الحدث الأكبر ، فإن الوضوء فى مثل هذه الحالة يدخل فى الاستحمام .

ويجب أن نفهم أن هناك أشياء لا تطلب فى الوضوء ، ويبطل الغسل إن لم تفعل ، فأنت لا يطلب منك فى الوضوء فرضًا أن تتمضمضى أو تستنشقى ، لكن فى غسل الجنابة فرض عليك ذلك . وهنا نجد أن فى الغسل شيئًا غير موجود فى الوضوء ، فأنت إذا توضأت بدون أن تتمضمضى أو تستنشقى فإن وضوءك سليم ، أما فى الغسل ولم تتوضئى ولم تتمضمضى ولم تستنشقى ففعلك باطل .

فالوضوء الشرعى هو غسل اليدين والوجه ومسح الرأس وغسل الرجلين وما زاد على ذلك ليس فرضًا ولكنه سنن .

أما فى الغسل فالمضمضة والاستنشاق فرض فيه ، لأنهما من مظاهر الجسد ، ولا تفطرين إذا فعلتهما فى صيامك ، لأنك لم تدخلى شيئًا فى جوفك ، فداخل الفم ليس من داخل الجوف .

○○○

السؤال الخامس والثمانون :

قابيل وهابيل

يسأل زكريا يوسف من جامعة الخرطوم : عن السبب الذى جعل قابيل يقتل أخاه هابيل ولماذا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كانت حواء تلد فى كل بطن ذكرًا وأنثى . فكان آدم يزوج كل ذكر من بطن بالأنثى التى من البطن الآخر : فأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل ، ولكن أرادها لنفسه . فأمرهما آدم أن يقربا قربانًا فمن تقبل قربانه تزوجها . فقرب قابيل جزعة سمينة وقرب هابيل حزمة من زرع ردىء وأتت النيران فأكلت قربان هابيل ، فعد هذا قبولا للقربان : فغضب قابيل وقال : لأقتلنك حتى لا تتزوج أختى . فقال هابيل : إنما يتقبل اللّه من المتقين . وكان قد أقدم قابيل على قتل أخيه . وهذا ما يقوله المفسرون والله أعلم .

○ ○ ○

السؤال السادس والثمانون :

عدد الكبائر

يسأل صالح دسوقى من طنطا : عن الكبائر ، وجزاء من يفعلها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الكبائر كما جاء فى حديث ابن عمرو بن العاص : الشرك ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس .

وفى حديث ابن عمر هى تسع : قتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، ورمى المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، والسحر ، والإلحاد فى الحرم .

ومنها عند العلماء : القمار ، والسرقة ، والخمر ، وسب السلف ، وعدول الحكام عن الحق ، واتباع الهوى ، واليمين الفاجرة ، وسب الأبوين ، والسعى فى الأرض فسادًا .

وقال ابن عباس : كل ذنب ختمه اللّٰه بنار أو غضب أو لعنة فهو كبيرة .

○○○

السؤال السابع والثمانون :

أولو العزم من الرسل

يسأل محمد زقزوق من السودان : هل يعتبر آدم من أولى العزم والله يقول فيه « ولم نجد له عزمًا » . ومن هم أولو العزم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

آدم ليس من أولى العزم . وأولو العزم من الرسل هم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وقد جمعهم اللّٰه فى قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى : ١٣] .

○○○

السؤال الثامن والثمانون :

عدة الرجل

تسأل نادية عبد العظيم من أبو ظبى : هل هناك حالات يمنع فيها الرجل من الزواج لفترة معينة كالمرأة المعتدة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

العدة أجل مضروب لانقضاء ما بقى من آثار الزواج الأول ... أما الرجل فلا ينتظر ، لأن له أن يتزوج وهى معه ، فأولى أن يتزوج وامرأته السابقة فى العدة .

غير أنه إن كانت المطلقة هى الزوجة الرابعة فليس له أن يتزوج إلا بعد انتهاء عدتها ، لأنه لا يجوز له أن يجمع أكثر من أربع فى نكاح ولا فى عدة .

والحالة الثانية أن يريد الرجل الزواج بمن لا يحل له الجمع بينهما وقد طلق إحداهما كالأخت يطلقها ليتزوج أختها ، فلا يصح له زواجها إلا بعد انتهاء عدة الأخت المطلقة .

○○○

السؤال التاسع والثمانون :

اقتناء التلفزيون

يسأل محمد محمود السلامونى : هل يحرم اقتناء التلفزيون نظرًا لما يعرضه من مناظر خارجة عن أدب الإسلام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

التلفزيون آلة ناقلة للصوت والصورة . فهو متاع من الأمتعة يجوز بيعه وشراؤه . والحرمة فى استعماله آتية من نوع ما ينقله كالأغانى الخليعة ، والصور الماجنة ، التى تفسد العقول والأجسام ، فإن خلا من ذلك ، وكانت الإذاعة الصوتية أو المرئية مقصورة على القرآن والحديث والمحاضرات الجادة ، والبرامج الهادفة ، والبرامج الترفيهية غير الخليعة ، فهو مباح .

والإثم يكون على من قدم المنكر وأذن به ، كما على من تعرض واستحله واستباحه .

○○○

السؤال التسعون :

التبليغ خلف الإمام

يسأل عبد المعز حجاج : عن حكم التبليغ وراء الإمام ، وحكم صلاة المبلغ .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

على الإمام أن يجهر بالتكبير والتسميع والسلام والإعلام من خلفه .. فإن كان صوته يصل إلى من فى المسجد فالتبليغ مكروه . وأما إن كان صوت الإمام لا يصل إلى المصلين ، فيستحب التبليغ على ألا يقصد المبلغ بتكبيره الإحرام والإبلاغ فقط وإلا فسدت صلاته .

والحنفية قالوا : إن رجع فى التبليغ وتغنى ، وقصد إعجاب الناس به فسدت صلاته على الراجح من أقوالهم .

○○○

السؤال الحادى والتسعون :

قطف العنب لصناعة الخمر

يسأل مؤنس يحيى من الجزائر : عن حكم العامل الذى يقطف العنب لتصنع منه الخمر ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

حرمت الشريعة الخمر وحرمت وسائلها التى تؤدى إليها ومن ثم لعن رسول الله ﷺ شارب الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها .

والعامل الذى يعمل فى قطف العنب ، دون أن يشارك فى عصره لتخميره ، لا شىء عليه ، إذا لم يقصد بعمله الإعانة على المحرم ، وتهيئة وسائله ، أما إذا كان يقصد بعمله تمكين غيره من فعل المحرم فعمله حرام ، واللعنة لاحقه به .

○○○

السؤال الثانى والتسعون :

أذان النساء

يسأل محمد أحمد فايد : هل يصح للمرأة أن تؤذن إن لم يوجد غيرها لأداء الأذان ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من شرط المؤذن أن يكون رجلا ... لأنه منصِبٌ من مناصب الرجال كالإمامة والقضاء . قال رسول اللَّه ﷺ : « يؤمكم أقرؤكم ، ويؤذن لكم خياركم » .

وأذان المرأة غير جائز لأنها إن رفعت صوتها ارتكبت معصية . وإن خفضته فقد تركت سنة الجهر . وأذان النساء لم يكن فى السلف .. ولو أذنت أجزأ أذانها وارتكبت معصية . وإن أذنت للنساء جاز ، لكنه غير مستحب .

○ ○ ○

السؤال الثالث والتسعون :

ظهور النفاق فى المدينة

يسأل على محمود من سوهاج : لماذا ظهر المنافقون فى المدينة ، ولم يظهروا فى مكة ، وما مدى خطورة النفاق على المجتمع ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن ظهور النفاق فى المدينة ظاهرة صحية ، ودليل قوة الإسلام ، لأن القوى هو الذى ينافقه غيره . والإسلام فى مكة كان ضعيفًا . فلما ذهب الإسلام إلى المدينة كان لابد أن تظهر ظاهرة النفاق ، وخاصة من القوم الذين كانت لهم سيادة بددت بالهجرة .

والنفس الإنسانية يجب أن تكون قوية ، ولكن حبها للقوة فى ذاته يختلف ، فنفس ترى أنها تقوى على سواها ، ونفس أخرى ترى أنه قبل أن تقوى على سواها تقوى على ذاتها ، وهناك نفوس لا تقوى على سواها ولا على نفسها .

ولكن الكافر تجتمع له قوة واحدة ، فهو لا يقوى على نفسه ليحملها على منهج اللَّه ، وإن قَوِىَ على دعوة الباطل ليواجهها .

وهناك ضعف ثالث لا يقوى على نفسه ولا يقوى على دعوة الحق . فهو معزول عن القوتين ، هؤلاء هم المنافقون .

المنافق لم يقو على نفسه ، ولذلك لا يستطيع أن يقبل دعوة الحق لأن نفسه قد راضها الباطل رياضة شرسة . فلم يقو على أن يكبح جماحها ، من الميل إلى الباطل ، وليته كان قويًا على دعاة الحق ليواجههم ، بل أشفق وخاف منهم ، فأعلن الإيمان بالحق ظاهرًا ، لأنه لا قوة له على مقاومة نفسه ، والقدرة عليها ، ليؤمن بهذا الحق .

وهؤلاء أخطر القسمين ، فهم أخطر من الكافرين ، لأن الكافر عائد بصراحة ، وعائد بكل وضوح ، وجعل القوة الخفية تقف أمامه وقوفًا ظاهرًا غير مستور ، ولكن المنافق الذى نافق القوة الخفية فادعى أنه معها لتطمئن إلى أن قوتها زادت ، وليته يدعى أنه معها فقط ولكنه فى الباطن هو عليها .

فكأنه حارب الحق فى وجهين .

الأول : أنه جعل الحق يعتبره معه .

والثانى : من ناحية اقتناعه وإيمانه سل سيفًا إيجابيًا ظنت قوة الحق أنه معها ، وسيفًا سلبيًا سلب معها .

إذن .. قوة النفاق كانت أخطر من قوة الكفر ، لشراستها ، وعملها فى الظلام . ولذلك فإن الحق حين عالج الإيمان والمؤمنين بالآيات عالج الكفر بآيتين ، وعالج النفاق بثلاث عشرة آية ، لأنه حقيقة ملونة متعددة المظاهر .

○ ○ ○

السؤال الرابع والتسعون :

معنى البرزخ

تسأل عصمت خفاجى : عن يوم البرزخ وما معناه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما هو البرزخ فى الجغرافيا ؟ هو ما يصل بين يابسين يختلف عما يصل بين ماءين . وكل ما يصل بين شيئين فهو برزخ . فمعنى برزخ هو : فاصل موصل بين شيئين أصليين .

ونحن لنا حياة نعيشها ، وحياة أخرى وعدنا اللّٰه سبحانه بها . وهناك فاصل بين الحياتين . وهى فترة الموت . وهى فترة البرزخ .

وتختلف حياة البرزخ من فرد إلى آخر ، كل حسب عمله ، ولكن انعدام الشعور بالزمن هو الذى يجعل فترة البرزخ متساوية ... ولننظر إلى من ينام ثم يستيقظ ، فهو لا يشعر بزمن نومه ، فربط الزمن بالحدث هو الذى يشعرنا بالزمن، بدليل أنه لو جاء حدث يشغلك عن تتبع الزمن فإنك تجد الزمن قد مر سريعًا . دون أن تشعر به . وإن جاء حدث يقتل فإنه يعطيك شعورًا بطول الزمن .

فإذا انتبهت إلى الحدث والزمن شعرت به ، وإن لم تنتبه إليه لم تشعر به ولذلك يعبر الحق عن ذلك قائلا : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] .

وقال : ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٣] .

وهذا يدل على أنه لا يشعر بالزمن إلا من يتتبعه .

○ ○ ○

السؤال الخامس والتسعون :

العوالم الأخرى

تسأل م . ن . من المنصورة : هل يوجد عالم آخر غير عالمنا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الأشياء التى تغيب عن الإدراك والحس والمشهد لا دليل فيها إلا قول من تثق به وبصدقه . فكل دليلنا على الغيبيات هو أن من آمنا به إلهًا قال إن لى خلقًا آخر

صفتهم كذا وكذا . فقال : إنى خلقت الملائكة والجن ولكننا لا نستطيع رؤيتها .

وفى الإنسان نفسه أشياء لا يستطيع رؤيتها بالعين أو الأنف ، أو بأى من الحواس المعروفة . ومع ذلك فهى موجودة فى الإنسان ... فروح الإنسان التى بها حياته ، هل رآها أحد ؟ إنها لا تدرك بأى حاسة . فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأنفسنا ، فإذا قال لنا خالقنا : إن فى الوجود مخلوقات ترانا ولا نراها فعلينا أن نصدقه .

○○○

السؤال السادس والتسعون :

لعن الدنيا

وتسأل عطيات السيد سليمان من الزقازيق : كيف نوفق بين لعن الدنيا فى الحديث ، وبين الحديث الآخر : « لا تسبوا الدهر فأنا الدهر ؟ »

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

المقصود بالنهى عن سب الدهر على أنه الفاعل ، لأن الدهر مخلوق ، فلا تقل إن الدهر فعل بى كذا ، فإن الدهر ظرف للحدث ، والله سبحانه هو مُجْرِى الأحداث . فإن سببت الدهر كمسبب للحدث فإنك سببت اللّٰه والعياذ بالله .

ومعنى لعن الدنيا وما فيها إلا ذكر اللّٰه . هو أن اللّٰه أعطانى اختيارات فى الدنيا أن أختار الطريق خيرًا كان أو شرًا ، فإن أقبلت على الخير فمن المنطق ألا تلعنه ، وإن أقبلت على الشر فإنه ملعون .. إذن فليس المقصود لعن الدنيا لذاتها ، ولكن لما فيها من مخالفة منهج اللّٰه .

○○○

السؤال السابع والتسعون :

مسئولية حواء عن معصية آدم

تسأل هدى جابر من الإسكندرية : يقولون إن حواء هي التى أوعزت إلى آدم بالمعصية بالأكل من الشجرة . فهل هذا صحيح ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الدين لم يقل هذا . ونص القرآن : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

إذن .. فالقرآن قد برّأ حواء من هذه التهمة ، إنما الذين يكرهون المرأة هم الذين يشيعون عنها ذلك ، وأنها هى التى زينت له الأكل من الشجرة .

○○○

السؤال الثامن والتسعون :

خطيب الجمعة

يسأل محمد إبراهيم منصور من القاهرة : هل يجوز لشخص آخر غير خطيب الجمعة أن يؤم المصلين بدون عذر . وهل تجوز الإقامة من غير المؤذن ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من الأفضل أن يكون الخطيب هو إمام الجمعة إلا إذا كان هناك مانع كإصابة الخطيب بمرض أو غيره . وكذلك من الأفضل أن يقيم المؤذن ، وإن أقام غيره فجائز .

○○○

السؤال التاسع والتسعون :

خضراء الدمن

تسأل سهير عبد الله : ما المقصود بخضراء الدمن في الحديث : « إياكم وخضراء الدمن » ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

بقية الحديث : قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « ... المرأة الحسناء في منبت السوء » . والمعنى بهذا هو فساد النسب إذا كان الأصل غير سليم . والدمن هى آثار الإبل والغنم وأبوالها وأبعارها ، فربما نبت فيها نبات ، فيكون منظره حسنًا أنيقًا ، ومنبته فاسد ، والمراد التحذير من الزواج بذوات المنظر الحسن ، والجمال الفاتن ، بغير دين أو خلق ، فهذا ينتج ذرية غير صالحة .

○○○

السؤال المائة :

لا موت ولا حياة

يسأل سليمان نجيب من القاهرة : عن معنى عدم الحياة والموت فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٧٤] . ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

المجرم هنا هو المشرك . والمعنى أن هذا جزاء الكافر الجاحد ، لا يموت فيستريح ، ولا يحيا الحياة الأخرى بما فيها من نعيم . بدليل قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] .

○○○

السؤال مائة وواحد :

تقدم المأموم على الإمام

يسأل عبد الرحمن سليم من دمنهور : بعض المسلمين يتقدمون على إمامهم فى الصلاة وبخاصة يوم الجمعة لشدة الزحام ، فما حكم ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من شروط الجماعة : ألا يتقدم المأموم على الإمام فى غير الصلاة حول الكعبة .

وقال الشافعية : يكره التقدم على الإمام لغير ضرورة ، كضيق المسجد ، والمالكية لا يشترطون عدم تقدم المأموم ، فلو تقدم المأموم صحت الصلاة .

○○○

السؤال مائة واثنان :

السمسرة

يسأل عبد اللّٰه فرج إمام من القاهرة : ما رأى الدين فى السمسرة التى يمارسها بعض الناس ، سواء فى التجارة أو فى إيجار المساكن ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

السمسرة هى التوسط بين البائع والمشترى أو بين المؤجر والمستأجر ، لتسهيل عملية البيع . وهى شىء مقصود فى حياة الناس ، وكثيرًا ما يحتاجون إليه ، لأن بعض الناس لا يعرفون طرق المساومة فى البيع والشراء ، ولا يعرفون طرق شراء أو بيع ما يحتاجون إلى بيعه أو شرائه .

ومن هنا كانت السمسرة عملًا شرعيًا نافعًا للبائع والمشترى وللسمسار .

وليس فيه ما يوجب التحريم ، بشرط أن يبتعد السمسار عن التغرير والتدليس والغش حتى تكون أجرة السمسار حلالًا .

السؤال المائة وثلاث :

خلوة الطبيب النفسى بالمرأة

تسأل السيدة ف . ف من القاهرة فتقول : إنه قد ترتب على سوء معاملة والدي لى ، الذى توفي ولوالدتي مشاكل نفسية ، عانيت منها طويلا ، ولذلك اضطررت إلى أن أعالج عند طبيب نفسى ، وأضطر إلى أن أذكر له المعاملة السيئة التي لقيتها من والدى ، وهذا يؤلم ضميرى ، وكذلك فإن العلاج يقتضي بقائي مع الطبيب فترة طويلة فى خلوة ، وهو طبيب مسلم مؤتمن الجانب ، فهل هذا حلال أم حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أولا : ما معنى العلاج ؟ إنها كلمة تؤدي معنى المحاولة . فنحن إذا أردنا أن نخلع مسمارًا مثلا ، فإننا نحركه أمامًا وخلفا ويمينًا ويسارًا ، ونكرر هذه الحركة لمحاولة الخلع ، أو معالجة الخلع .

إذن .. فالعلاج هو المحاولة للوصول إلى هدف بأسباب .. والطب يعالج ولا يشفي ، فهو يحاول أن يأتي بالأسباب ، لعل سببًا يصيب الداء فيشفى المريض ، وعندما عجز الطب عن إدراك سبب عضوي للمرض قالوا عنه : إنه مرض نفسي . أي أن السبب فى هذا المرض مجهول لنا .

وتبين لنا بعد ذلك أن كثيرًا من الأمراض النفسية تتسبب عن اختلال فى أجهزة الجسم ، لكننا لا نعرفها ، مثل غدة صغيرة جدًا فى حجم حبة السمسم ، وعندما يحدث اختلال فى إفرازها تسبب اكتئابًا نفسيًا ، أو أي مرض آخر . وقديمًا لم يكن العلم قد توصل إلى أن كل انفعال أو إدراك فى الحياة البشرية إنما يترك أثرًا

عضويًا على جسم الإنسان ، ولكننا لا نعرف تمامًا هذا الأثر ، لأن فى الإنسان أجهزة بلغت من الدقة حدًا لا نكاد معه أن نتبينها ، وإذا اختل توازنها انقلبت الموازين .

فعندما يتعرض الإنسان لصدمة تتأثر تلك الأجهزة ، فتنقبض ، فإذا استطاع الطبيب أن يتحدث مع المريض ليكشف سبب الصدمة ، ويوضح له وهمه ، انبسط الجزء المنقبض مرة أخرى .

إذن .. فإن كل تأثير على الكائن الحي يفيد شيئًا فى كيمائيته ، وقد لا ندرك ذلك فى حينه ، إلا أنه يحدث فيه اختلالا ، ولا ضرر فى أن أعالج هذا الاختلال مطلقًا .

وثانيا : ذكر ما أصاب السائلة من سوء معاملة الوالد المتوفي للطبيب لا ضير منه مادامت تعتقد بذلك معاونة الطبيب على تشخيص المرض .. والمنهي عنه هو قصد التشفي ، أو تبرير عدم البر بالوالد .

وفي هذا المجال أحب أن أذكر أن اللّه تعالى عندما أوصى بالبر بالوالدين فقد ذكر سببين :

أولهما : الوالدان ، أي أنهما سبب فى الوجود .

والثاني : التربية . فقال تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

وبذلك فإن حق التربية ينتقل لكل من ربى وإن لم يكن والدًا . وأما من اجتمعت له الصفتان فيصبح له حق الوالدية وحق التربية .

وثالثا : بالنسبة للبقاء فترة طويلة مع الطبيب المعالج ، فلا شيء فيه ، مادام الطبيب مسلمًا مؤتمنًا ، وما دام العلاج يقتضي ذلك .

○ ○ ○

السؤال المائة وأربع :

أولياء اللّه والغيب

تسأل السيدة كريمة بهنسي من القاهرة فتقول :
يتردد زوجي على أحد الأولياء الصالحين . ويقول :
إنه يكشف له الغيب . فكيف يصبح الإنسان وليًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

حين يتخذ اللّه من إنسان وليًا فإما أن يكون من فيض جوده ، أو من بذل المجهود ، فاللّه لا يحكمه سبب كألا يصل إليه إلا من أطاع . فمن الناس من يصل بطاعة اللّه إلى كرامة اللّه ، ومنهم من يصل بكرامة اللّه إلى طاعة اللّه . هذا يطيع اللّه أولًا فيكرمه . وذاك يكرمه اللّه أولا فيطيع .

فلو أن كل شيء لا يحدث إلا مترتبًا على سببه ، واستمرت الأمور هكذا ؛ ليئس المسرف على نفسه من رحمة اللّه . ولزاول اللّه سلطانه مرة واحدة ، ولكن للّه تعالى طلاقة القدرة . وهو يفعل ما يشاء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] .

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فلا شيء يحكم اللّه جلت قدرته . وإن أقرب الناس إلى اللّه الذين لا يعلمون . وأتعب الناس فى الوصول إلى اللّه هم العلماء ، لأنهم يناقشون ويتباهون بعلمهم ، فيصيبهم الغرور .

ويروى أن سيدنا عمر رضي اللّه عنه وقف ليستسقى ، فلم ينزل الماء ، وفي طريق عودته وجد عبدًا عجوزًا يقف يستسقي وحده . قال عمر : فواللّه ما وضع يديه حتى نزل الماء بغزارة .

فذهب عمر إلى النخاس ، وطلب عرض عبيده ، فظن النخاس أن أمير المؤمنين يريد عبيدًا ، فعرض عليه الأقوياء مفتولي السواعد ، ثم قال : لم يعد عندي يا أمير

المؤمنين إلا عبد هو كلٌّ على مولاه . فلما رآه قال : أهذا أنت ؟ فنظر إليه الرجل وقال : اللّهم كما فضحتني بين خلقك فخذني غير مفتون ، فقبض ميتًا من ساعته .

إن ستر الغيب نعمة عظيمة أنعمها اللّه علينا . ومعرفة الغيب هتك لهذه النعمة ، فلنترك الأمور تقع ، لأننا قد نعرف أمرًا محزنًا ، فنعيش فيه معزولين عن اللطف الذى يأتي به اللّه تعالى مقارنًا للحدث .

ثم إن هناك أمرًا آخر : هل إذا عرفت عيبًا ، أستطيع بمعرفتي له أن أمنع حدوثه ؟ لا يمكن طبعًا . إذن فلماذا هذا التعب الذى أجلبه لنفسي بمحاولة كشف الغيب ؟

فعلى الإنسان أن يترك أموره للّه ما دام لا يملك من الأمر شيئًا ، ولقد خلق اللّه هذه الأشياء ليزيدنا اطمئنانًا ورسوخًا ويقينًا ، لا لنشغل بها بالنا ونشتت أفكارنا .

○ ○ ○

السؤال المائة وخمسة :

أطفال الأنابيب

تسأل السيدة إيناس محرم فتقول : هل ما يحدث بخصوص أطفال الأنابيب خروج عن شريعة اللّه ، وتحد لإرادته ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما الخروج على شريعة اللّه فى هذا ؟ وما الذى فعله هؤلاء العلماء ؟ إنهم يأخذون بويضة المرأة وحيوان الإخصاب من الرجل ، ويهيئون مناخًا مناسبًا ومرحليًا ، لوجود عطب عند هذه الزوجة ، مما لا يسمح لها بالحمل فى تلك المرحلة ، ثم يعيدون الأمور بعد ذلك إلى طبيعتها .

فما الذى اخترعوه من عندهم ؟ ولو كان الأمر تحديًا لقلنا لهم : هاتوا بويضة وحيوانًا منويًا من عندكم .

وهذه المحاولات وجدت أساسًا لحل مشكلات مرضية عند بعض السيدات ، فتحاول أن تقلد المثال الصالح الذى أعطاه اللّه لنا ، فنجعل للأنابيب البيئة ، ودرجة الحرارة والرطوبة ، وكل شىء فيها مماثلا لرحم الأم الطبيعي الموجود فى الأصل .

إذن أنا آخذ مصنوعًا للّه لأضعه فى بيئة على وفق مصنوع اللّه ، فأنا أستلهم من اللّه ، فأين التحدي هنا ؟

ولكن يأتي الكلام إذا أخذنا بويضة المرأة لحيوان منوي لغير الزوج ، ففي هذه الحالة لمن ينسب الطفل ؟ وفيما عدا ذلك فلا شىء مطلقًا .

○○○

السؤال المائة وخمسة :

اللعان بين الزوجين

تسأل السيدة سميرة سعد فتقول : ما معنى اللعان بين الزوجين فى الشريعة الإسلامية ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

اللعان هو ما يحدث عندما يرمي الزوج زوجته بتهمة الزنى ، ولا شهود عنده إلا نفسه ، فيشهد أربع شهادات باللّه إنه من الصادقين ، والخامسة يقول فيها : لعنة اللّه عليّ إن كنت كذبت .

وفي هذه الحالة ماذا يكون موقف المرأة ؟ هل تثبت عليها تهمة الزنى بذلك ؟

إذا سكتت على قسم زوجها يكون الزنى قد ثبت عليها ، ولكن إذا شهدت باللّه العظيم أربع شهادات وفي الخامسة تقول : غضب اللّه عليّ إن كان من الصادقين ، فتكون قد دفعت عن نفسها التهمة .

إلا أنه لا تستقر الحياة بينهما ، ويفرق بينهما بما يسمى تفريق اللعان ، وينتهي الأمر بينهما ، وحسابهما على اللّه .

وقد نزلت آية اللعان عندما سأل أحد الصحابة رسول اللّٰه ﷺ قائلا : إذا دخلت على أهلي ، ووجدت رجلا معهم ، أأتركه حتى آتي بأربعة شهداء يشهدون ؟ فأنزل اللّٰه آية اللعان .

ونلاحظ أن الرجل يدعو على نفسه بلعنة اللّٰه إن كان كاذبًا ، بينما تدعو المرأة على نفسها بغضب اللّٰه إن كان زوجها صادقًا ، وهذا لأن اتهام المرأة بالزنى أفظع من اتهام الرجل به ، لأن زنى المرأة ينتج عنه اختلاط الأنساب .

السؤال المائة وستة :

جراحة التجميل

تسأل السيدة س . ل . من الدقي بالقاهرة فتقول : إن لى أنفًا طويلاً مدببًا ، يشوه شكلي ، ويؤثر على روحي المعنوية ، فهل إذا أجريت جراحة تجميل فيه يكون ذلك حرامًا ؟ ولماذا خلق اللّٰه فى الإنسان الجمال والقبح ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

القبح فى مكان يعطي جمالا فى أماكن متعددة .. ولكننا ننظر إلى القبح فى مكان محدد ، ولا ننظر إلى الجمال نظرة كلية .. ننظر إلى زاوية واحدة ، ولا ننظر إلى الزوايا الأخرى .

ولو نظرنا إلى الشواذ أو ذوي العاهات الخلقية فى الوجود ، لوجدناهم نسبة ضئيلة .. فنجد مثلا عدد فاقدى البصر فى دولة تعدادها الملايين ، نجد عددهم محدودًا جدًا .

وهذا يعتبر وسيلة إيضاح .. فمعنى أن اللّٰه سبحانه وتعالى يلفت نظرنا إلى كمال خلقه . فلو أن كل الناس مبصرون لما أدرك الناس نعمة البصر .

وربما يسأل أحد الناس قائلا : ولماذا اختير هذا بالذات ليكون وسيلة إيضاح ؟

فنقول : إن هذا السؤال أيضًا يدل على أن السائل ينظر إلى المسألة بشكل محدود ، وليس بنظرة شاملة . فأنت نظرت إلى زاوية النقص فى هذا الإنسان الذى تنقصه نعمة البصر ، ولم تنظر إليه فى زاوية أخرى قد تميز فيها وتفوق . وفي ذلك نتذكر المثل العامي الذى يقول : « كل ذي عاهة جبار » .

أي إن لكل صاحب عاهة ميزة يتميز بها عن غيره ، وهكذا لكي يعطي اللّٰه له تعويضًا فى المجموع ... بمعنى أنه إذا نقص فى جزء عوض فى الجزء الآخر .

وكذلك الشواذ فى القبح .. فنحن ننظر إلى زاوية معينة فى هذا الإنسان ، وكلنا يستخدم تعبيرًا يدلنا على اختلاف شكل الإنسان الظاهري عن داخله شكلا وموضوعًا .

فاللّٰه سبحانه وتعالى يريد أن يشجع صاحب العاهة بناحية كمال يتفوق فيها ، وذلك لكي يحاول بنفسه أن يعوض ناحية النقص . ولدينا نماذج تاريخية واضحة . فترى أن « تيمور لنك » الذى ساح العالم كان أعرج ، و « بتهوفن » الذى أطرب العالم بجمال ألحانه كان أصم . كما نجد رائد النهضة الأدبية الدكتور طه حسين كان أعمى . وغير هذا أمثلة كثيرة جدًا . فنجد بذلك أن الإنسان يعوض بتفوقه فى مجال من المجالات وتميزه فيه نقصًا لديه .

إذن .. لو كانت الأمور رتيبة لما وجدنا تفوقًا كماليًا فى الوجود . ولذلك فإن الإنسان حينما ينظر إلى الصنعة التي صنعها الصانع الذى نؤمن بحكمته وعدله فكلنا بالنسبة إليه سواء ، وبحكمته خالق كل شيء ، وإلا استطرق العالم استطراقًا فى كل الزوايا ، حتى يقعد الناس فى كل الزوايا .

وبالنسبة لعمليات تجميل الوجه ، نجد البشر وقد وضعوا مقاييس الجمال ، ووضعوا تمثال « فينوس » رمزًا لذلك الجمال ، وقالوا عنها : إلهة الجمال .

وعنوان الجمال العام هو الوجه ... فقسموا الوجه ثلاثة أقسام : من منبت الشعر إلى آخر الجبهة ثلث ، ومنه إلى آخر الأنف ثلث ، ومنه إلى آخر الذقن ثلث . فإذا قسم الوجه بهذه الطريقة أعطى نوعًا من الجمال . هذا من حيث الطول فقط .

ثم من حيث العرض ، من شحمة الأذن إلى مركز الخد ، ومنه إلى نصف الأنف ، فإذا اختلفت هذه المقاييس سمي قبحًا .

فتخيل أنت إنسانًا وقد احتلت جبهته نصف وجهه ، أو آخر احتلت المسافة بين جبهته إلى أنفه نصف وجهه ، واقتسم النصف الآخر الجزأين الباقيين .

ولما أرادوا أن يصنعوا تمثالا على مقاييس الجمال صار قبيحًا ... إذن لا نعرف سبب الجمال فى الوجه ، فربما كان الأنف الكبير هو سبب الجاذبية .

إذن الجمال هو شيء يضعه اللّٰه تعالى على مجموع ملامح الوجه ، ولا يجب أن نقيس الجمال على المقاييس التي وضعها البشر ، متناسين حكمة اللّٰه فى خلقه .

○○○

السؤال المائة وسابعة :

الاستعانة بالجن

يسأل ع.ع بمساكن الضباط بشبرا الخيمة فيقول : إن خطيب أخته السابق قد استعان بشيطان من الجن للانتقام منها ، لرفضها الزواج منه ، ويقول : ما هي حقيقة السحر ، وكيف نقي ذرياتنا منه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

عليك أن تتضرع إلى اللّٰه عز وجل وتقول : اللّٰهم إنك قدرت ، واحتفظت لنفسك بإذن الضرر ، وأنا أستعيذ بما احتفظت به مما قدرت عليه ... ولا تسر وراء المشعوذين ، لأنك لو بدأت هذا الطريق ما انتهيت أبدًا .

ودليل ذلك : قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

ووجود السحر شيء ، وعلمك بحقيقته شيء آخر ، فتوجد أشياء كثيرة نعلم بوجودها ، ولكننا لا نعلم حقيقتها ، ووقاية الذرية من السحر يكون بأن يدعو الإنسان بالدعاء الذين علمنا إياه رسول الله ، عندما يلتقي الإنسان بزوجته ، فيقول : « اللّهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنى » .

فإذا رزق بهذا الإخصاب نسل لا يستولي عليه سحر ولا شيطان .

○○○

السؤال المائة وثامنة :

تحية الضيوف بالخمر

تسأل م . ن . من تايلاند فتقول : إنها وزوجها يتقيان الله سبحانه وتعالى ، ويؤديان فروض دينهم كاملة ، وبالتالي فلا يقربان الخمر ، ولكن عمل زوجها يقتضي استضافة ضيوف غير مسلمين ، كجزء من عمله ، وهما يضطران كارهين إلى استئجار من يقدم لهم الخمر ، وهما كارهان لهذا العمل ، فما حكم الدين ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إنكما آثمان لأنكما تدعوان من تعتقدان أنهم يحضرون إليكما لشرب الخمر ، وحين لا تدعوان لهذا لأنكما تريدان أن تطيعا الله ، فلا تظني أنك ستسخطين القوم ، فقد لا يحب هؤلاء الحضور إليكما حينئذ ، ولكن لا يسخطهم فعلكما ، بل العكس هو الصحيح ، إنهم يكبرونكما .

ومن يرتبط بدينه يكون كبيرًا حتى عند المنحرف عن دينه ، ومن يعمل عملا يرضي به العباد بسخط اللّه ، سخط اللّه عليه ، وأسخط عليه الناس ، ومن يمتنع عن سخط اللّه وإن أسخط العباد ، رضي اللّه عنه ، وأرضى عنه العباد .

وفي أسوأ الفروض إن كان الأمر محتمًا عليكما من الجهات الأعلى فى العمل بتقديم الخمور - ولا أظن ذلك كائنًا - فإن طاعتكما لهذه الأوامر إشراك باللّه ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وكما أنكما صليتما وزكيتما ، بدون أوامر من جهات العمل ، فيستلزم ذلك ألا تعصيا من فعلتما ذلك له ، ولو أدى هذا إلى فصلكما من عملكما ، فإن اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ... ۝ ﴾ [الطلاق] .

فلو تركتما هذا العمل للّه ولأن هذا العمل يحتم عليكما أن تغضبا ربكما من خلاله ، وأنتما ترفضان ذلك ، فإن اللّه سبحانه وتعالى سيجعل لكما فى كل أموركما فرجًا ، ويعوضكما خيرًا مما أنتما فيه .

○○○

السؤال المائة وتاسعة:

الوضوء والمانيكير

تسأل السيدة ليلي إسماعيل من السويس فتقول :

هل يجب إزالة طلاء الأظافر عند كل وضوء ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

نعم .. وإنك قد أجبت عن السؤال بنفسك . فما دمت قد قلت : إنه طلاء ، إذن فهو طبقة تقدرين على إزالتها ، وما دام طلاء الأظافر يكون طبقة ، فهي شيء عازل يعزل ما تحته عن أن تصيبه الطهارة عند الوضوء .

والذين زينوا للمرأة مثل هذا أرادوا أن يجعلوه صبغًا . ونقول : لو كان صبغًا لما أمكن إزالته ، مثل الحناء مثلًا .

كذلك يروج البعض أن الظفر جزء ميت لا إحساس فيه . ونقول : لو أنه ميت ما كان ينمو ، ولما اضطررت إلى أن تقصه من حين لآخر : وهذا دليل على أنه حي لا ميت .

○ ○ ○

السؤال المائة وعشرة :

شيخوخة النجوم

يسأل مكي عبد الرحمن من السودان فيقول : هل تشيخ النجوم كما يشيخ الإنسان ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كبر النجوم وشيخوختها علم لا ينفع ، وجهل لا يضر . ولكن اعلم أن كل شيء في الحياة له تفاعلات خاصة مناسبة لحياته ، فالنيازك والشهب التي تتساقط إنما تسقط لأنها أدت مهمتها وانتهت ، وبعد ذلك ينتهي من شيء ليبدأ بشيء آخر ، فبعد تساقط النجم أو الشهاب تصبح له مهمة جديدة مختلفة .

○ ○ ○

السؤال المائة والحادى عشر :

هوية إبليس

ويسأل مكي عبد الرحمن أيضًا فيقول : إن الله جل ثناؤه قال : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة ص] .

١- إذا كان الأمر هنا للملائكة ، وإبليس ملكًا ،

فكيف يشمله أمر السجود ؟

٢- وكيف كان إبليس قبل خلق آدم ؟

٣- وما الفرق بين إبليس والشيطان والجن ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

١ - أما عن إبليس فقد كان بنص القرآن من الجن ، ففسق عن أمر ربه : فأصل إبليس وجنسه من الجن ، والجن عرضة لأن يطيع ولأن يعصى ، وكان إبليس قبل آدم قد التزم الطاعة ، فأصبح فى مجلس الملائكة ومعهم ، ثم صدر أمر اللّٰه بالسجود .

وهنا إما أن يكون إبليس فى مقام أعلى من الملائكة ، لأنه طائع عن اختيار ، وهم أطاعوا عن جبر ، فهنا كان الأول - وهو الأعلى - أن يطيع أمر ربه .

وإن كان إبليس أقل من الملائكة فى المقام ، فكان يجب عليه أن يطيع الأمر ، لأن الأمر للأعلى يستلزم الأدني .

وضربنا لذلك مثلًا فقلنا : إذا دخل رئيس الجمهورية فليقف الوزراء فهل معنى هذا أن وكلاء الوزراء لا يقفون ؟ أم أنهم من باب أولى يقفون ؟ وبذلك ففي الحالتين كان يجب على إبليس الطاعة .

٢ - وأما عن إبليس قبل خلق آدم فقد قال تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٧] .

مما يدل على أن هناك خلقًا قبل آدم . والدليل على ذلك أن إبليس - وهو من الجن - حضر عملية خلق آدم ، ولم يقل أحد إن آدم هو أول من عمَّر الأرض ، ولكنه أول جنسنا نحن ، وليس هو أول الأجناس جميعًا .

٣ - وأما الفرق بين إبليس والشيطان والجن ، فإبليس عَلَمٌ على المعصية الكبرى ، والجن جنس يخرج منه قسمان : مؤمن ، وعاص . والشيطان هو عاصي الجن . ونظرًا لأن فردًا من الجن - وهو إبليس - صار قمة المعصية ، فذلك لأنه جادل أمر الحق تبارك وتعالى ، فأصبح لذلك عَلَمًا على الشيطان .

○○○

السؤال المائة والثانى عشر :

حدود طاعة الزوج

تسأل القارئة منى محمود فتقول : هل يعتبر عدم طاعة الزوج فى ارتداء ما يعجبه من اللباس عند الخروج من المنزل معصية ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

المهم للمرأة أن تكون جميلة لزوجها ، فله أن يرى الجمال فيما يراه من اللباس الشرعي .

○○○

السؤال المائة والثالث عشر :

عدم التركيز فى الصلاة

تسأل منى عبد السلام فتقول : إنها ظلمت من قبل زوجها كثيرًا ، مما تسبب عنه عدم تركيزها فى الصلاة ، فتنسى عدد الركعات ، فهل يعتبر هذا نقصًا فى صلاتها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

مادمت تقرين بأنك مؤدية ما عليك كزوجة ، وبرغم ذلك يضطهدك زوجك ، فعليك أن تضعي فى ذهنك أنك ما دمت مظلومة فإن اللّٰه فى جانبك ، وله وحده عطاء لا يمكن أن يقدره أحد . وهذا لا يحزنك .

أكان يرضيك أن يكون اضطهاده لك بحق ، وأن يكون خطؤك هو سبب هذا الاضطهاد ؟

إذن فإن ظلمه لك يضمن لك جزاء اللّٰه ، وعلمك بذلك يجعلك تسعدين بأن اللّٰه معك ، وإلى جانبك ، فأقبلي على اللّٰه فارغة الذهن من هذه الآلام ، واحتسبي ذلك عند اللّٰه .

فإن ألح عليك النسيان عند الصلاة فابني صلاتك على الأقل من عدد الركعات ، أي اعتبري الأقل هو الأصل ، واستعيذي باللّٰه من الشيطان الرجيم .

○○○

السؤال المائة والثالث عشر:

كفارة يمين المصحف

يسأل محمد محمد على بالزقازيق فيقول : ما هي كفارة اليمين الكاذبة على المصحف ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يرى البعض أن اليمين على المصحف ليست يمينًا ، وعلى هذا فليس لها كفارة .

أما من يرون أنها قسم على ما يتعلق باللّٰه تعالى ، لأنها صفة من صفاته ، فنسأل : هل حلفت على شيء مستقبل أن تفعله ولم تفعله ؟ أم على شيء ماض ؟ فإن كان الحلف على شيء ماض فهي اليمين الغموس .. وهي يمين لا كفارة لها إلا التوبة ، واللّٰه يتولى أمرك . وإن كانت اليمين على شيء مستقبل أن تفعله ورأيت خيرًا منه ، فلتفعل ما رأيتها خيرًا ، ولتكفر بصوم ثلاثة أيام ، أو بإطعام عشرة مساكين .

○○○

السؤال المائة والرابع عشر :

عشرة المغتابين النمامين

تسأل المعذبة ق . ع فتقول : إنها بعد الزواج اكتشفت أن أسرة زوجها تتعاطى الغيبة والنميمة والخداع فهل تقاطعهم ، أم تجاريهم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
[الأنعام : ٦٨] .

فلا تجاريهم فيما يفعلون من معصية اللّه عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾

يعني أن الابتعاد عنهم متعلق بعملهم ، فإذا انتهوا فاجلسي معهم فى مجلسهم .

○○○

السؤال المائة والخامس عشر :

الغش فى الامتحان

يسأل ز . أ . ح من بني سويف فيقول : هل الغش فى الامتحانات حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هو غش ، بل إن الغش فى الامتحانات يترتب عليه أن كل ما بني على أساسه بني على غش ، فيصبح كل ما يوثق به من مؤهل مبنيًا على غش ، وتكون نتيجة ذلك كل أخطاء المستقبل ، لأنها تبنى على أساس الغش .

○○○

السؤال المائة والسادس عشر :

الأذى بالقرآن

تسأل هدى عبد السلام من دمياط فتقول : هل قراءة سورة يس بالمقلوب تؤذي وتسبب ضررًا لمن قرئت عليه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذا كلام لا أصل له .

○○○

السؤال المائة والسابع عشر :

تفضيل آل البيت فى العطاء

يسأل المحاسب عدلي عبد الغني بالزيتون فيقول : يروى أن عمر رضي اللّه عنه أعطى ألف درهم لكل من الحسن والحسين رضي اللّه عنهما ، وأعطى خمسمائة درهم لابنه عبد اللّه ، وذلك اعتمادًا على نسبهما لرسول اللّه ﷺ ، فهل هذه الرواية صحيحة ؟ وما سببها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذه الرواية صحيحة ، ويجب أن تفهم أن آل بيت النبي ﷺ محرومون مما يتمتع به غيرهم ، فهم ممنوعون من أخذ الزكاة ، فعمر كان يرى أنهم ممنوعون من حق مباح لغير آل رسول اللّه ﷺ ، فإذا احتاج أحد المسلمين استحق زكاة من أموال المسلمين ، أما هم فلا يحق لهم ذلك .

ثم تعليل عبد اللّه بأنه رجل شديد يضرب بالسيف ، والحسن والحسين غلامان يلعبان فى طرق المدينة ، يرد عليه بأنه من الذى يستحق المعونة ، الذى يضرب بقوة فى الأرض أم الغلمان ؟

السؤال المائة والثامن عشر :

إرغام الزوجة على العمل

تسأل ق. م. م. من القاهرة فتقول : إنها اضطرت للعمل فى بدء حياتها الزوجية لتساعد زوجها ، لضآلة مرتبه ، غير أنه اعتاد الاعتماد على دخلها ، برغم كبر دخله ، ويعارض تركها العمل ، برغم إرهاقها فيه .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذا جزاء طبيعي منه لها ، لأنها لم تختر فيه الزوج بمقاييس اللّٰه . قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

○○○

السؤال المائة والتاسع عشر :

الخل الأبيض والأحمر

تسأل منال حسن عبد المطلب فتقول : هل الخل الأبيض والأحمر حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الخل بأنواعه ليس حرامًا ، بل إن النبي ﷺ قال : « نعم الإدام الخل » .

○○○

السؤال المائة والعشرون :

جر الثوب خيلاء

وتسأل منال أيضًا فتقول : ما معنى قول الرسول ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّٰه إليه يوم القيامة ؟ » .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من يجر ثوبه خيلاء ، يعني كبرًا ، فهو يريد أن يظهر غناه ، وأن لديه من القماش الفائض الكثير ، فيجره على الأرض ، ولا يهتم باتساخه ، فمن ينظر مثل هذه النظرة فهو المقصود بهذا الحديث .

○○○

السؤال المائة والحادى والعشرون :

الشبهات فى المكاسب

يسأل محمد علاء الدين من القاهرة فيقول يدخل فى كسبي بعض الشبهات ، ولكني أؤدي الزكاة وأحج منه . فما الحكم ؟ ولا سيما وأن فيها مقابل وساطة فى إقراض بفائدة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يجب أن تتحرى أن يكون كسبك من حلال خالص ، فلا آتي بمالي من محل شبهة ، ثم أقول : إني أزكي وأحج . فإن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبًا والرسول ﷺ يقول : « لعن اللّه الربا وموكله وكاتبه وشاهده » .

○○○

السؤال المائة والثانى والعشرون :

الحركة فى الصلاة

تسأل السيدة ليلى سعيد فتقول : كثيرًا ما يطرق الباب طارق ، أو يرن التليفون فى أثناء صلاتي ، فأنشغل ، فهل أسلم لأفتح ، أم أرد ، أم ماذا أفعل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا طرق الباب طارق فى أثناء الصلاة فلا مانع من أن تفتحي الباب وتكملي الصلاة ، على أن تكون المسافة قريبة بين الباب ومكان صلاتك ، فلا تبتعدي أكثر من خطوتين وكذلك التليفون ، يمكنك رفع السماعة ووضعها بمكان قريب قائلة : اللّٰه أكبر ، فيفهم من يطلبك أنك تؤدين الصلاة . ولكن لا تشغلي أن ترفعي سماعة التليفون قبل الصلاة وحتى تنتهي من أدائها .

والحركة الممنوعة فى الصلاة هي الحركة التي إذا رآها أحد تصور أنك لا تصلين . ولكن الحركة التي لا تخرجك عن مظهر الصلاة ووقارها فلا حرج فيها ، فإن الدين يسر ، حتى إنه إذا طرأ على الإمام حدث وهو يصلي كأن ينتقض وضوؤه فيمكنه أن يشد من يقف خلفه ليصلي بالناس ، وليذهب هو ليجدد وضوءه ، ثم يأتي ليتم الصلاة مأمومًا .

ولذلك فلا بد من أن تتوافر فيمن يقف خلف الإمام شروط الإمامة ، بأن يكون من أولى العقل ، عارفًا بأحكام الصلاة .

○○○

السؤال المائة والثالث والعشرون :

التربية الدينية للصغار

تسأل السيدة نجوى عبد اللّٰه فتقول : كيف نعلم أبناءنا دينهم بيسر وبساطة ، وكيف نعالج مشكلاتنا معهم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن مشكلتنا الحاضرة هي أننا نترك الأمور تسير وحدها ، وبعد أن نفاجأ بالمشكلات نبدأ فى البحث عن الحل ، ونحاول أن نعالج جزءًا ونترك الجزء الآخر .

إن المسألة من أيسر ما يمكن ، ولكن الدنيا غلبت الناس ، وأخذت كل أوقاتهم ، ولم تترك لأبنائهم شيئًا ، فلو أن الآباء علّموا أبناءهم شيئًا فى ساعة من نهار ،

أو حتى فى أثناء تناول الطعام ، لاستفاد الأبناء استفادة عظيمة من آبائهم وأمهاتهم ... ولو علَّم الأب أو الأم أبناءهما حكمًا واحدًا فى الدين كل يوم لاجتمع لديهم فى عام واحد ثلاثمائة وخمسة وستون حكماً ، والعبادات المطلوبة ليس لها هذا العدد من الأجوبة .

لقد كان أساتذتنا يبدءون اليوم كل صباح بسؤال لا يتغير ، وهو : ما حكمة يومكم هذا ؟ فمن يعرف منا حكاية لها مغزى ، أو حكمة نادرة ، أو قولاً علميًا ، يقوله لنا ... وإذا لم يقل أحد قال هو لنا شيئًا . فكنا نتعلم منه طول العام ، وفي نهاية العام تصبح لنا حصيلة كبيرة ، إلى جانب تكوين عادة حب العلم ، وحلاوة طلب المعرفة .

فعلى الآباء أن يذكروا أنهم يعملون من أجل أولادهم ، ويجب أن نعطي أولادنا وقتًا ضمن وقت العمل ، فلا يصح أن نضيع الأصل من أجل الفرع ، فأنت تضيع مالا يستدرك من أجل ما يستدرك .

ومثل هذه المناقشات ، وتبادل الخبرات والمعارف بين الآباء والأبناء ، يقوي الرابطة بينهم ، ويفتح مجالا لمناقشة أمورهم .

إن ما يدفع الكثير من الشباب إلى الفساد : أنهم لا يجدون فى حضن الآباء والأمهات الحنان والتفاهم والوقت ... فإذا ربطنا أبناءنا بنا فلن تغني علاقة خارجية أبدًا عنهم .

ولكن عندما يفقد الأبناء هذه الرابطة ، تجدهم يندفعون إلى أول كلمة حنان يجدونها خارج البيت ، لافتقارهم لها داخله .

○ ○ ○

السؤال المائة والرابع والعشرون:

حساب القبر

تسأل السيدة فادية نور الدين فتقول : هل فى القبر حساب ، وما هو حساب القبر ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

علينا قبل أن نشغل بحساب القبر أن نسأل عن حساب الآخرة ، هل هو موجود أو غير موجود ؟

إذا عرفت أن فى الآخرة حسابًا فأقول : على أي شيء أحاسب فى الآخرة ؟ نجد أننا نحاسب إذا ما كنا أدينا ما أمرنا الله به أم لا ؟

إننا كبشر فى الدنيا لا نحكم على قضية إلا بعد تحقيق الشرطة ، ثم النيابة ، ثم المحكمة ... ثم ينفذ الحكم بعد ذلك . وحساب القبر هو عرض للجزاء ، والآخرة دخول فى الجزاء . قال تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر : ٤٦] .

ثم قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

إذن .. العرض فى غير قيام الساعة ، وبذلك نجد أن الزمان مجزأ إلى ثلاثة أقسام : الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة ، وما بين الحياتين . ففي الحياة الدنيا تعمل ، وفي الحياة الآخرة تلقى الجزاء ، وفي القبر يعرض عليك الجزاء جزاء عملك ، ومكانك فى الآخرة .

وحين يعرض الجزاء فى مكان وزمان لا نستطيع أن نفلت منه ، بل يصبح أمرًا محققًا ، لا يستطيع أحد أن يعود فيه .

○○○

السؤال المائة والخامس والعشرون :

كيفية الحياة الآخرة

تسأل سلمى عبد الفتاح ، وعبد الرحيم مصطفى
من القاهرة فيقولان : كيف تكون الحياة الآخرة ،
وهل هي مثل حياتنا على الأرض ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إننا فى حال حياتنا لنا حالان : حال يقظة ، وحال نوم ، فهل قانون اليقظة هو قانون النوم ؟ لا ، نجد أنهما يختلفان برغم وجود الحياة .

إذن .. إذا قلنا إن الموت حياة أخرى ، ونظام آخر ، فلا بد أن تصدق ذلك ، لأنك ترى وأنت نائم ، وعينك مغمضة ، فهناك وسائل إدراك غير العين ، تستطيع أن تدرك بها الأشخاص والألوان والأماكن .

فإذا حدث هذا لمجرد أن مادة الإنسان وهي جسم قد خمدت قليلاً ، فإذا ما قيل لنا : إن فى القبر حياة أخرى عندما تنتهي الحياة ، فلا بد أن تكون هذه الحياة أكثر شفافية .

إننا فى الرؤيا نذوق الطعام والشراب ، ونشعر بحلاوته ، أو مرارته ، ونرى هذا يرتدي أبيض ، والآخر يرتدي الأخضر ، وعندما ترى رؤيا تحكيها فى وقت طويل ، مع أن العلم أثبت أن أطول حلم لا يستغرق أكثر من سبع ثوان .

إذن .. فالزمن لا حقيقة له .

كذلك تنام إلى جانب شخص يرى أنه بين أحبابه يضحك ويأكل ويمرح ، والآخر يرى أنه بين أعدائه يتألم ويتمزق ، فلا هذا يشعر بذاك ، ولا ذاك يشعر بهذا .

ولذلك لفتنا النبي ﷺ إلى هذا فقال : « إنكم تموتون كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون » .

فإذا اختلف قانون النوم عن قانون اليقظة ، فإن قانون الموت يختلف عن قانون الحياة .

إذا فلا يوجد عذاب بالقبر . ولكن عرض ورؤية فقط لموقف الإنسان من عذاب أو نعيم .

○○○

السؤال المائة والسادس والعشرون :

تعزية المسلم لغير المسلم

تسأل السيدة حنان متولى فتقول : هل يصح للمسلم أن يعزي صديقًا على غير دينه فى وفاة أحد أقاربه أو معارفه

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ينظر الإسلام إلى هذه المسألة على ضوء قوله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

فهذا هو الحكم ، وهو : أنه ما دام ليس بيني وبين من أريد مجاملته بالعزاء حالة حرب ، وليس ممن يظاهرون علينا ، أي يعينون علينا عدونا ، فاللّه لم يمنعنا من مودتهم .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ [الممتحنة : ٩] .

إذن .. فالإسلام وضع الحد للعلاقة بين المسلم وبين غيره ، وما دام لم يمنعنا أن نبرهم ، فمن البر أن نواسيهم ، وأن نعود مريضهم . والنبي ﷺ عاد غلامه اليهودي حين مرض ، وكذلك عندما مرت جنازة فوقف رسول اللّه ﷺ ، فقالوا له : إنها لغير مسلم . فقال : « أَوَ لَيْسَتْ نفسا » ؟

والتعزية تشكل لونًا من البر والتواد ، والسؤال هنا بالنسبة لموقف المسلم فى تعزيته توجد له أربع حالات :

فهو قد يعزي مسلمًا فى مسلم ، فيقول مثلا : أعظم اللّه أجرك ، أحسن اللّه عزاءك ، وغفر لميتك .

أما إذا كان يعزي مسلمًا أيضًا ، ولكن فى صديق له كافر مثلا ، فليقل له : أعظم اللّه أجرك ، وأحسن عزاءك .

وإذا كان العزاء لكافر فى مسلم نقول : غفر اللّه لميتك ، وأحسن عزاءك .

أما إذا كان العزاء لكافر فى كافر فنقول له : أخلف اللّه عليك .

○○○

السؤال المائة والسابع والعشرون :

وفاة الرسول بالسم

تسأل مها مصطفى أمين : هل صحيح أن رسول اللّه ﷺ مات متأثرًا بالسم ؟ وإذا كان هذا صحيحًا ، فكيف يحدث مثل ذلك لرسول اللّه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذا صحيح ... وقد قال رسول اللّه ﷺ : « ما زالت تعاودني أكلة خيبر حتى قطعت أبهرى » . فهو لم يمت من السم ، ولكن عاودته الأكلة ، فسببت له علة .

وقالوا فى ذلك : إنه لا يصح أن يكون رسول اللّه ، فى منزلة أقل من منازل أتباعه ، وفي أتباعه صلوات اللّه وسلامه عليه شهداء ، فكيف يكونون أحياء عند ربهم يرزقون لشهادتهم ، ولا يكون لرسول اللّه ذلك ؟ فجعل اللّه له ذلك ليموت شهيدًا .

والشهيد : هو كل من يموت بهدم بنية . فالروح لا تحل إلا بنية سليمة ، فالموت حرقًا أو غرقًا شهادة ، لعل اللّه يريد بها تطهير صاحبها ، غير أن الناس لا يفهمون

ذلك ، ويتصورون أن هذا النوع من الموت غضب من اللّه ، وقد يكون رضا .

كذلك الموت بعد مرض طويل تطهير للإنسان ، ففي الحديث القدسي : « لا أخرج عبدي من الدنيا وقد أردت به الخير حتى أوفيه ما عمله من السيئات من مرض فى جسمه ، وخسارة فى ماله . وفقد فى ولده . فإذا بقيت عليه سيئة ثقلت عليه سكرات الموت ، حتى يأتيني كيوم ولدته أمه » .

وكان رسول اللّه ﷺ إذا عاد مريضًا قال : « لا بأس ، طهور إن شاء اللّه » . وهذا معناه أن فى المرض تكفيرًا للذنوب .

○○○

السؤال المائة والثامن والعشرون :

التطوع بصوم أيام من الأسبوع

يسأل أكرم محمود سالم من الزقازيق فيقول : ما حكم صوم أيام معينة من الأسبوع . كيومي الاثنين والخميس ، ولماذا لا يباح صوم يوم الجمعة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من المندوب صوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع . فقد روى أن رسول اللّه ﷺ سئل عن صوم يومي الاثنين والخميس ، فقال : « إن يومي الاثنين والخميس يغفر اللّه فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين أو متخاصمين » .

وعن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « تعرض الأعمال يومي الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » .

أما إفراد يوم الجمعة وحده بالصوم فهو مكروه ، لأنه يعتبر يوم عيد للمسلمين ويوم العيد لا يصام فيه ، قال رسول اللّه ﷺ : « يوم الجمعة يوم عيدكم ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم ، إلا أن تصوموا يومًا قبله أو بعده » .

ويوم الجمعة تستحب فيه الطاعات ، والغسل ، والتبكير إلى المسجد ، والانتظار ،

وسماع الخطبة ، فاستحب الفطر فيه ليكون أعون للمسلم على هذه الطاعات ..

السؤال المائة والتاسع والعشرون :

المرأة السكرتيرة

تسأل أ. م. ن. من أسيوط فتقول : أنا سيدة متزوجة ، ومواظبة على أداء الفرائض ، غير أني أعمل فى وظيفة سكرتيرة مدير إحدى الهيئات ، وطبيعة العمل تقتضي أن أعرض الأوراق عليه والباب مغلق . فهل يعتبر هذا العمل بهذا الوصف حرامًا شرعًا .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

حدد القرآن الكريم عمل المرأة فى قصة ابنتي شعيب كما قدمنا مرارًا بالضرورة ، وأن تكون الضرورة بقدرها ، فإذا زالت الضرورة زالت الإباحة .

وقد حذرنا الإسلام من الخلوة بين الرجل والمرأة ، فما اجتمعا على انفراد إلا كان الشيطان ثالثهما ... وعمل المرأة مع أجنبي عنها إذا كان لا يمكن التحرز من الخلوة بينهما حرام ، واجتماع المرأة مع الرجل فى مكان مغلق خلوة ، دون أي اعتبار لعمل أو لغيره .

ومن الأفضل للمرأة إذا كان لابد لها من العمل أن تبحث عن موقع عمل مناسب يفيد المجتمع ، ولا تجتمع فيه مع الرجال ... أما إذا كانت مضطرة إلى ذلك العمل للإنفاق على نفسها أو على من تعول ، وليس لها من تلزمه نفقتها من زوج أو قريب ، فعليها أن تكون محتشمة . وألا تدع باب الحجرة مغلقًا بحيث يمنع الداخل إلى الحجرة ، فالأولى أن تعرض الأوراق فى حضور زميل أو زميلة .

○○○

السؤال المائة والثلاثون :

حجوا قبل ألا تحجوا

يسأل عطية سعيد فيقول : ما معنى قول : « حجوا قبل ألا تحجوا » .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذا القول يعني أنه إذا تيسرت ظروفك ، وكان باستطاعتك الحج فى وقت معين فى حياتك ، فانتهز هذه الفرصة بسرعة ، وأد هذا الفرض ، فربما يأتي وقت آخر لا تستطيع فيه أن تحج .

وكذلك أيضًا بالنسبة للصلاة ، فمطلوب فيها أن تؤدي فى أول وقتها ، وذلك لأنه من الذى يضمن لك أن تعيشى إلى آخر الوقت ؟ صحيح أنه لو أبقى اللّٰه حياتنا إلى آخر الوقت فلا إثم علينا ، فالقادر المستطيع الذى لم يحج نقول له : إنك حتى هذا الوقت غير آثم ، ولكن إذا توفاك اللّٰه تكون آثما .

كذلك الصلاة ، إذا مات الفرد قبل أدائها مع حلول وقتها ، يكون آثمًا ، لأنه أخر الأداء عن أول الوقت .

ooo

السؤال المائة والحادى والثلاثون :

نظر الحائض فى المصحف

تسأل السيدة سناء . م فتقول : هل قراءة القرآن للحائض بالنظر فقط دون لمس المصحف حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قراءة القرآن للحائض بأي صورة حرام ، وذلك لقداسة القرآن الكريم ، فلا يصح أن يقبل الإنسان على قراءته إلا وهو متطهر ، بل إن الوضوء واجب أيضًا إلى جانب الطهارة .

وكما أعفى اللّٰه سبحانه الحائض من الصوم والصلاة فلا تصلي ولا تصوم امتثالا لأمر اللّٰه فعليها ألا تقرأ القرآن أيضًا امتثالا لأمر اللّٰه عز وجل ، وفي ذلك الامتثال أجر عند اللّٰه .

وكما أن قراءة القرآن فى الطهر عبادة ، فكذلك عدم قراءته للحائض اعترافًا منها وتقديرًا لقداسته عبادة أيضًا .

ولكن يمكن للحائض تمرير القرآن على ذهنها ، إيناسًا لها ، واطمئنانًا لقلبها ، وفي هذا القدر كفاية .

○○○

السؤال المائة والثاني والثلاثون :

حب رسول اللّٰه ﷺ

يسأل كاشف الشهابي من الأردن فيقول : إنني أحب رسول اللّٰه ﷺ فماذا أفعل حتى أحشر معه يوم القيامة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

قوى اللّٰه إيمانك ، وزاد حبك لرسوله صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، وليكن لك به أسوة حسنة فى كل ما فعل ، وأكثر من الصلاة عليه ، والحب له ، لأن الإنسان يحشر مع من يحب .

ويمكن أن تؤدي ما يسهل عليك من النوافل بحيث تستطيع الاستمرار على أدائها ، وعدم تركها بعد ذلك ، واعلم أنك إن اعتدت على أداء واجب معين يومي من العبادة ، ثم حالت ظروفك الصحية بعد ذلك دون الاستمرار فيه ، فإن اللّٰه تعالى يجري عليك ثواب ما كنت تفعله ساعة المقدرة والاستطاعة ، رحمة منه وكرمًا لك .

○○○

السؤال المائة والثالث والثلاثون :

المرأة وصلاة الجمعة

تسأل سامية عبد الرحمن من القاهرة فتقول : ما حكم صلاة الجمعة للنساء ؟ وإن صلت المرأة فى المنزل فهل تصلي ركعتين أم أربعًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

صلاة الجمعة غير واجبة على الأنثى ، لكن إذا حضرت وأدتها أجزأتها عن الظهر ، وإن صلت فى المنزل فلتصل أربع ركعات ظهرًا .

ومن قال من العلماء بكراهة خروج المرأة للجمعة خوف الفتنة أو حرمة خروجها أو قالوا بأفضلية صلاتها فى البيت مطلقًا . فإنما قالوا ذلك حينما كانت صفوف النساء فى الصلاة لا يفصلها شيء عن صفوف الرجال . أما الآن وقد خصص فى بعض المساجد مكان محجوب للنساء حتى يتعلمن أمور الدين فلا حرج من حضور الجمعة مع الاحتشام . وفي الحديث : « لا تمنعوا إماء اللَّه مساجد اللَّه » .

○○○

السؤال المائة والرابع والثلاثون :

اختلاف العلماء

تسأل سميحة الإبراشي من الإسكندرية فتقول : لقد وقفنا فى حيرة أمام اختلاف بعض العلماء فى بعض الأمور هل هو حلال أم حرام . فما رأي فضيلتكم فى مثل هذه المسائل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ماذا يجب على المؤمن الحريص على دينه حينما يجد رأيين مختلفين فى أمر واحد . أحدهما قال عنه إنه حلال . والآخر قال إنه حرام ؟

هنا يجب أن نذكر قول رسول اللّٰه ﷺ : [الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهة ، فمن ترك ما شبه ، فقد استبرأ لدينه وعرضه] . فإذا قال واحد عن أمر إنه حلال ، وقال آخر إنه حرام ، فإن الأحوط للدين أن نتقي الشبهات ، واللّٰه يعصمنا .

○○○

السؤال المائة والخامس والثلاثون :

هزيمة المسلمين فى أُحُد

يسأل محمود عبد الكريم فيقول : كيف انهزم المسلمون فى غزوة أحد ، ومعهم رسول اللّٰه ﷺ ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يعلمنا ربنا سبحانه وتعالى أن المؤمن حين يؤمن بربه ، يجب أن يخوض معركة الإيمان مع الكفر ، ومعركة الحق مع الباطل ، على أنه مسنود من إله قوي ، ولا يمكن أن ينتصر عليه أحد أبدًا ، ما دام المؤمن فى معية منهجه . وإذا تخلى المؤمن عن معية منهجه فليكن الخسار عليه ، قوة بشر لبشر .

ولذلك كانت حياته ﷺ متنا للدعوة الإسلامية ، بمعنى أن كل جزئية ستحدث للإسلام إلى أن تقوم الساعة جاءت فى تاريخه ﷺ ، وشاء اللّٰه أن يعلم المسلمين على يدي محمد بن عبد اللّٰه فى حياته ﷺ .

وهذا هو الأمر الظاهر ... أما فى حقيقة الأمر ، فإن الذى انهزم هم المسلمون المتخاذلون عن منهج الإسلام ، أما الإسلام فقد انتصر ، لأن أوامر رسول اللّٰه ﷺ خولفت ، فلو أنهم انتصروا مع مخالفة رسول اللّٰه ﷺ لهان أمر المخالفة ، وقالوا : خالفناه وانتصرنا .

لكن الله تعالى يقول لهم : خالفتموه فانهزمتم ، لتبقى مهابة توجيه رسول الله ﷺ فى نفوس المؤمنين .

وقد قلت مرارًا : إن الحق حين يطلق قضايا قرآنية مقروءة ، وقضايا قرآنية مكتوبة ، وهذه القضايا تقرأ فى الصلوات ، ويسمعها الناس ، ويحفظها الله ، فهو سبحانه يعطي قضايا ، وهذه القضايا لا يمكن أن يطلقها الله وفي كونه واقع يضادها ... فلو أطلق قضية من القضايا ثم جاء واقع يعاندها لهان أمر الإسلام فى نفوس المسلمين .

فحين يقول الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

تكون هذه قضية قرآنية ، ولا بد أن تأتي قضايا الكون الواقعية موافقة لها .

إذن ... فما دام الله قد قال ذلك فانظر إلى أي معركة نشبت بين المسلمين وأعداء الإسلام ، فإن انتصروا فاعلم : كانوا جند الله ، وإن انهزموا فاعلم أن قول الله : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ صادق ، وأنهم تخلوا فى المعرفة عن جنديتهم لله ، ولذلك فقد انهزموا . إذن فالأمر الواضح أن المؤمن يجب أن يضع أمام عينيه أنه لا يواجه الحياة وحده ، ولكنه يعمل ، ويستعين بالله .

○○○

السؤال المائة والسادس والثلاثون :

علاقة الجن بالإنسان

تسأل نرمين محمود : ما مدى علاقة الجنس بالإنس ؟ وكيف علمنا بوجوده ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الجن وارد فى عالم الغيب ، وكل ما يكون من عالم الغيب يقال عنه « سمعيات » . أى أنها أشياء سمعناها من الشرع الذى آمنا به . وما دام قد ورد فى القرآن أشياء متعلقة بالجن فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ ﴾ [الجن] .

فكأن هذا جنس غريب عنا ، وله وجود ، وله استماع ، وله اختيار كما يراه من العقائد الصالحة .

والذي يقرأ سورة الجن يجد كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

والشيء الآخر : أن الله عز وجل أخبر عن أحد رسله أنه سخر له الجن . فى قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ : ١٣] .

وأثبت القرآن أيضًا أن الجن لا يعلم الغيب ، بدليل أنهم كانوا يخدمون سليمان ، وظلوا يخدمونه مع أنه ميت . ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

إذن .. فالجن جنس له وجود ، وله تكليف ، وله اختيار ، وله تناسل ، وكل هذا ثابت بنص القرآن الكريم ... كوننا لا نراه فذلك لأن طبيعة تكوينه تتنافى مع طبيعة تكويننا ، والله سبحانه وتعالى قال :

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

فهم يروننا ، ولكننا لا نراهم .

أما تسخير الجن لصالح بعض الناس ، فإن القرآن الكريم نص أيضًا عليه فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

وهنا نلاحظ أن الحق تبارك وتعالى سماهم رجالا ، وقال : إنهم زادوهم رهقًا ، فلقد ظن الناس أنهم يستعملونهم فيما يفيدهم فأتعبوهم ، لأن الإنسان إذا أخذ

خاصية جنس غير جنسه يظن أنه بذلك يزيد لنفسه فرصة النفع بالحياة ، ولكن اللّٰه يقول : لا ، ولكن اترك نفسك فى قانونك ، ولا تحاول أن تأخذ قانون الغير ، وإن كان أخف ، وإن كان أقدر لأنك إن اتخذته فلن يزيدك إلا تعبًا وإرهاقًا .

ولذلك نجد كثيرًا ممن يشتغلون بهذا الأمر أحوالهم سيئة ، ولا يموتون بخير ، ومصابين فى أولادهم ، وفي صحتهم ، وفي أحوالهم ، ولو كانوا يزيدون بالجن فرصتهم فى الحياة لنفعوا أنفسهم .

ومن العجيب - كما قلت مرارًا - أن هؤلاء الذين يشتغلون باستحضار الجن والأرواح الخفية كما يطلقون ، يأخذون أرزاقهم ممن لا يستحضرها ، وممن لا يعرف ذلك . ولو كانوا حقًا يستطيعون الانتفاع بالجن لكانت كافية لهم ، وما احتاجوا إلى غيرهم .

○○○

السؤال المائة والسابع والثلاثون :

الآيات الشافية فى القرآن

تسأل ن. ع. أ. عن الآيات الشافية فى القرآن ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن هذه الآيات تجتمع فى كل آية فيها كلمة شفاء ، وتقرأ بترتيب المصحف ، فقد قال العلماء : إن هذا استعانة بكلام اللّٰه على الشفاء ، وخصوصًا فى الأمراض التي لاتقدر عليها أسباب البشر . وبالرجوع إلى المعجم المفهرس وجدت أن الآيات التي جاءت فيها كلمة شفاء هي : ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤] .

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠] .

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] .

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل : ٦٩] .
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] .
﴿ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] .
وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفينا جميعًا .

○○○

السؤال المائة والثامن والثلاثون :

كفارة اليمين

يسأل س. ف. ع. عن كفارة اليمين .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

التكفير عن اليمين إما بالصيام ثلاثة أيام ، وإما بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، قال تعالى في قرآنه : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

○○○

السؤال المائة والتاسع والثلاثون :

تصرف العامل فى مال صاحب العمل

تسأل نجوى عثمان فتقول : إنها تعمل فى محل تجاري وقد أخذ أحد الناس منها بضاعة ولم يسدد ثمنها ، وما زال يماطل ، ففي ذمة من هذه البضاعة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لم يتضح من رسالتك إن كان ما أخذه هذا الشاب كان بعلم صاحب المحل ، أم بدون علمه ، فإن كان بعلمه فإنه دين على الشاب لصاحب المحل ، ولا شأن لك به ، ولا ذنب عليك ... أما إن كان بدون علمه ، وكان هذا استغلالا لمعرفته بك ، فيصبح الدين عليك أنت ، لأنك كنت تعطينه من باطنك ، وبدون إذن وعلم من صاحب المحل ، ولا تبرؤ ذمتك إلا أن تتحملي قيمة ما أخذه هذا الزبون المماطل ، لأنك تصرفت معه شخصيًا ، ولا توبة لك بدون أن تردي الحقوق إلى أصحابها ، أو تستبرأ الذمة ، بأن تعلمي صاحب المحل بما حدث ، وتطلبي منه إبراء ذمتك ، وإلا ظل هذا الحق دينا فى رقبتك إلى يوم القيامة .

○○○

السؤال المائة وأربعون :

الشك فى قبول الطاعة

وتسأل السائلة السابقة فتقول : إنها دائمًا تشك فى قبول اللّٰه تعالى لصلاتها ، وهي تريد حفظ القرآن الكريم ولا تقدر .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لقد طلب اللّٰه منا شرعًا أشياء : كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وغيرها وعلينا كلنا أن نؤديها كما طلبها اللّٰه تعالى منا .

فعليك أن تؤدي الطاعة حسبما طلب اللّٰه منك ، وأما القبول فعلى اللّٰه ، وحتى فى المستقيمين ، فكل الناس لا يعلمون إن كانت طاعاتهم مقبولة أم مرفوضة .

وأما حفظ القرآن فلم يكلف اللّٰه تعالى إنسانًا بأن يحفظ القرآن ، وإنما كلفه أن يحفظ من القرآن ما يقيم به عبادته ، ثم يقرأ القرآن بعد ذلك ، فإن تيسر له الحفظ كان خيرًا وبركة ، وإن لم يتيسر فلا شيء عليك .

○○○

السؤال المائة والحادى الأربعون :

قراءة البخت

تسأل القارئة نجية محمود فتقول : إن جارتي تقرأ الفنجان ، ويصدق قولها فى كثير من الأحيان ، فهل تعتبر قراءة الفنجان حلالا أم حرامًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يختلف القول عن قارئة الفنجان ، فهناك من تدس الوسطاء الذين يتصلون بشكل أو بآخر بمن يترددون عليها ، ليعرفوا أخبارهم ، ثم ينقلوها لهم ، ثم تبني القارئة على ذلك حكايات تحدثهم بها ، فينبهر المتردد عليها ، لمعرفتها أخباره ، وبذلك يعتقدون صدق قولها .

ومن الجائز أيضًا أن يستولى الشيطان على قارئة الفنجان ، فيتشكل فى الفنجان بالشكل الذى يريد ، فنراها تقول : إنها ترى فى الفنجان رجلًا ، أو طريقًا مفتوحًا ، أو سفرًا بالطائرة ، أو بالباخرة ، وكل هذا فى مقدرة الشيطان ، لأنه يستطيع أن يتمثل فى أي صورة يريد .

ونرى ذلك غالبًا فيمن يقرءون الفنجان بأجر ، فهم يتعيشون من خداع الناس ، ولكن يوجد من الناس من يفتح اللَّه عليهم بأي شكل ، فيجري على ألسنتهم أقوالا لا يقصدونها ، ونجدها تصدق ، وهؤلاء بالطبع لا يتعيشون من هذا العمل ، ولا يأخذون عنه أجرًا ، لأن هذه الفتوحات بيد اللَّه ، ولا يمكن أن يعتمد عليها الشخص ، لأنها ليست فى يده ، والمقصود من مثل هذه الحالات أن اللَّه سبحانه وتعالى قد يريد أن يكرم إنسانًا خيرًا طيبًا ، فيظهر له كرامة من نوع أو آخر .

والالتجاء إلى النوع الأول من المشعوذين حرام ، أما النوع الثاني فالاستئناس بكلامهم لا شيء فيه . على ألا يكون بقصد الإشراك باللَّه فى علم الغيب .

○○○

السؤال المائة والثانى والأربعون :

علم الغيب

وتسأل السائلة السابقة عن : علم الغيب ، والقدر المتاح منه للبشر . والقدر المحجوب عنهم .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الغيب نوعان : غيب مطلق ، وغيب مقيد .

والغيب المطلق هو الذى لا يعلمه أحد سوى الله عز وجل .

والغيب المقيد هو ما يعلمه البعض .

ولنضرب لذلك مثلا فنقول : إذا رصدت نتائج الامتحانات في آخر العام ، وقبل إعلان النتيجة ، فهناك تكون نتيجة الامتحان غيباً عنى وعنك ، ولكنها معروفة عند هيئة التدريس والمصححين .

وكذلك إذا سرق شىء منك ، فالسارق غيب بالنسبة لك ، لأنك لا تعرفه ، ولكنه ليس غيبًا عن نفسه وعمن معه .

فإذا عرفت أنا هذا الغيب ، فمن الجائز أني اتصلت بقوة ممن تستطيع أن تعلم وتخبرني ، وليس هذا عيبًا ، فمن الناس من يستعين بالجن ، فهو يكلفه ليعرف أخبارًا يخبره بها ، وهذه الأخبار لها واقع معلوم من البعض .

وكذلك هناك معلَّم – بتشديد اللام وفتحها – غيب ، فيكون الله سبحانه وتعالى قد ألهمه بشىء سوف يحدث فى المستقبل ، ولا علم لأحد به ، فهذا معلم غيب .

وأما عالم الغيب فيعلم بذاته ، وقد قال تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن] .

ومثل هذا الإنسان يُظهِرُ اللَّه تعالى عليه بعض الأشياء ، ولكنك لا تجد عنده أجوبة عن كل ما تريد ، لأنه لا يملك سوى ما أراد اللَّه سبحانه أن يطلعه عليه ، ويبشره به ، ولا شيء في أن يخبر هذا الإنسان الطيب أحدًا بما بشره اللَّه به .

والغيب حدث في الماضي ، أو حدث في المستقبل ، فقد يخبرك بشيء مضى فيكون قد خرق حجاب الزمان الماضي ، وعندما يخبرك بشيء مستقبل يكون قد خرق حجاب المستقبل . أما الحاضر فإنه خرق للمكان ، فيخبرني شخص بشيء حدث في الإسكندرية وهو جالس معي هنا في القاهرة في نفس زمان الحدث .

واللَّه سبحانه وتعالى تستوي عنده الأحداث ، فعندما يخبرنا بشيء مستقبل فكأنه حاضر ، لأنه لا توجد قوة تملك أن تفعل غيره ، فلا بد أن يحدث ما يخبرنا به اللَّه سبحانه وتعالى عن المستقبل .

ولذلك فإن القرآن يعبر عن المستقبل بالماضي المتحقق كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ [النحل : ١] .

فأتى فعل ماض ، ولا تستعجلوه دليل على أنه مستقبل ، إذن معنى ذلك أن الأمر المستقبل حادث لا ريب ، لأنه لن توجد قوة أخرى لتغير ما قاله اللَّه سبحانه جل شأنه ، فما قاله من أمر مستقبل هو أمر متحقق ، فكأنه قد تحقق بالفعل ، فالماضي أمر تحقق عند البشر ، والمستقبل أمر تحقق عند اللَّه سبحانه وتعالى .

ولذلك فعندما تقول : إن فلانًا أخبرني بغيب ، نقول : هل هو غيب عنك وعن كل الخلق ، أو إنه غيب عنك فقط ؟

فإن كان غيبًا عنك ، ومعلومًا عند غيرك ، فلا يكون قد عرف غيبًا ، لأن الخبر موجود عند البعض ، فمن الممكن أن يعرف هذا الخبر بطريق أو بآخر .

وإذا كان الحدث عند العالم الأعلى فقط ، ولا يعلم به أحد ، فيصبح فيضًا يرسله اللَّه في هبَّة من هبَّات الفيوض على بعض خلقه ، فينطق بالشيء ، وقد لا يدري به ، كما أخبر اللَّه سيدنا زكريا بأنه سيولد له ولد وأن اسمه يحيى .

ويمكن أن نتصور أن للعالم نموذجًا مصغرًا يبرز إلى الوجود على وفق ما قضى قديمًا تمامًا ، مثل المهندس الذى يصنع نموذجًا لعمارة سيبنيها ، فتأتي العمارة على وفق النموذج ، حتى ألوان الحجرات ، ونظام الأثاث ، وهكذا .

وكل هذا يأتي على قدر إمكانيات الفاعل ، فقد يخطط المهندس على أن تكون حجرة المعيشة بلون معين ، ولكن تقف قدرته وإمكانياته ساعة التنفيذ ، لعدم توافر اللون المطلوب فى الأسواق مثلا ، أو لا يستطيع تكوين نفس اللون الذى كونه عندما رسم النموذج ، فيأتي بلون قريب ، ولكنه ليس نفس اللون ، ويكون هذا بسبب سوء التخطيط ، أو عدم توافر الإمكانيات .

ولكن ما بالنا بالذي لا تتغير إمكانياته ، ولا تخونه قدرته . فعندما يقدر شيئًا ، فلا بد أن يحدث .

فتأتي هبَّات تُرينا بعض المشاهدات من هذا النموذج المرسوم . فنستطيع أن نعرف الشكل المستقبل ، فنقول : إن هذا المكان سيبنى به بيت صفاته كذا ، أو عدد حجراته كذا .

وهذه تعتبر بشرى ، فمن مبشرات النبوة الرؤيا الصادقة بأي شكل ، فمن الناس من يرى الرؤيا وهو نائم ، ومن الناس من لديهم صفائيات . فيستطيعون أن يروا الرؤيا عند الاستيقاظ .

وترى أن اللّه سبحانه وتعالى قد أعطى النبي ﷺ أخبارًا حدثت قديمًا ، ومعلوم أن محمدًا ﷺ لم يثقف نفسه ، فهو لا يعرفها ، وهم يعرفون عدم معرفته عليه الصلاة والسلام لها ، فتوافق الحقيقة القرآنية التي يقولها ما عندهم . واللّه سبحانه وتعالى يؤكد لهم عدم معرفة الرسول ﷺ لها فيقول : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [القصص : ٤٥] .

وفي هذا كله خرق لحجاب الزمن الماضي

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ [القصص : ٤٦] .

وفي غزوة مؤتة . عندما أخذ رسول الله ﷺ الرؤى فى وقت حدوثها ، وفي ذلك خرق لحجاب المكان .

وعندما كان ﷺ يعد للمعركة ، فيخط على الأرض ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، وبعد ذلك يأتي المستقبل ، ويصدق ما قال ، فمن الذى يستطيع أن يحدد حركة معركة يصول فيها الناس ويجولون ، فيعلم أن فلانًا سيضرب فى هذا المكان بالتحديد ؟ كيف هذا .

ويقول عن الوليد : ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم : ١٦] .

فيحدد موضع الضربة ، من يستطيع أن يحدد فى أي معركة . الأشخاص الذين يصرعون فيها . والأماكن التي يصرعون بها ؟ اللّهم إن هذا خرق لحجاب المستقبل . يخبره به من يعلم الحق ، ولا يوجد من يخرج الأمر عن إرادته .

وبذلك نرى أن هناك فرقًا بين من يعلم الغيب ، وإن كان الأمر مقدمات فيمكن لأى إنسان أن يصل إليه بترتيب المقدمات كذلك .

إذا كان الغيب معلومًا للغير فقد انتفى شرط من شروط الغيب ، وهو عدم معرفة أحد به .

والكلام هنا ينحصر فى الغيب المطلق ، الذى لايعلمه سوى اللّه سبحانه . فلا يقال عمن علمه إنه عالم غيب ، ولكنه معلَّم - بفتح اللام وتشديدها - غيب .

وإننا نأخذ على الناس إلحاحهم فى معرفة الغيب ، وهذا خطأ ، لأن من نعم اللّه على خلقه أن ستر عنهم الغيب ، وإلا فهناك شخص عنده ألف حادثة سارة فى حياته المستقبلية ، وحادثة واحدة محزنة ، وانظر إليه ، فترى أن الحدث الحزين قد طغى على الأحداث السارة ، فيغتمّ لهذا الحدث من قبل أن يقع ، ويعيش فى المصيبة معزولا عن اللطف ، لأن اللّه يلطف بنا عند المصيبة ، فلماذا الاستعجال؟

السؤال المائة والثالث والأربعون :

النفس والروح

يسأل عبد العظيم نعمان فيقول : ما النفس والروح ؟
وهل هما شيء واحد ؟ أو هما مختلفان ؟
وما مراتب النفس ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

حين يتردد سؤال بين أشياء ، فلا بد أن تعرف هذه الأشياء ، ولذلك فقد اختلف العلماء فى الإجابة عن هذا السؤال ، وتساءلوا : هل الروح هى النفس ، أو أنهما مختلفان ؟

أما مسألة الروح فمحال أن نعرفها ، لأن اللّه قال فى محكم كتابه :

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وهذا المجال من العلم داخل فى نطاق ما لم يؤت . وما دام قد قال لنا أيضًا فى قرآنه المجيد ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ يعنى من المتعلقات الخصوصية باللّه ... وما هو أمر ربنا ؟

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وبذلك فإن إرادة الخالق بأن تكون لنا حياة فكانت الروح . هل لها جوهر يستطيع أن يدخل ؟

نعم لها جوهر يستطيع أن يدخل ، بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القيامة] .

فهل لها حياة فى الجسم لم تخرج . إذن فالمسألة غير واضحة ، ما هو جوهرها ؟ هل نستطيع أن نعرفها ؟ أو نتمكن منها ؟ أو نحصل عليها بالتجربة ؟

ثم ننظر إلى النفس . فنجد أن الله تعالى قد تكلم عن النفس . وذكر منها اللوامة والأمّارة والمطمئنة والراضية والمرضية .

والنفس اللوامة . والنفس الأمارة بالسوء ، والنفس المطمئنة ، هى حالات النفس بالنسبة لمنهج الله . وما دام ذلك فإن المادة وحدها لا تكليف فيها ، لأنها مسخّرة مطيعة . لا اختيار لها فى شىء . والتكليف طوع الاختيار . فما دام الله يكلف بأن نفعل كذا ولا نفعل كذا . فهو يكلف فى منطقة الاختيار .

المادة وحدها قبل أن تدخل فيها الروح مادة مسخرة حامدة شاكرة عابدة خاضعة لله سبحانه وتعالى ... وكذلك الروح فى ذاتها . فلا علاقة للجسم وحده بالتكليف . ولا علاقة كذلك للروح وحدها بالتكليف ، فالتكليف ينشأ من وجود النفس .

إذن .. فالنفس هى اجتماع الروح بالمادة ... إذن إياك أن تقول : إن الروح خيرة ، فهذا كلام سطحى ، لأن المادة أيضًا بطبيعتها خيرة ، فلا توجد روح خيرة وروح شريرة . أو مادة خيرة ومادة شريرة ، فكل من الروح والمادة وحدها خيرة ، لأنها خاضعة للتسخير ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

ومعنى ذلك أن كل من لا توجد فيه النفس فهو مسخر

النفس هى : التحام الروح بالمادة ، حين تلتحم الروح بالمادة تكون الحياة ، فلا تحيا المادة بلا روح ، ولا تظهر الروح إلا فى المادة .

إذن فالمادة تحتاج إلى الروح ، والروح تحتاج إلى المادة ، وحين تلتقى الروح بالمادة توجد النفس .

فإذا خضعت النفس لمنهج خالقها أصبحت مطمئنة ، وإذا تمردت على منهج خالقها أصبحت أمارة بالسوء ، وإذا عصت مرة وأطاعت مرة كانت لوامة ، فهى تطيع ، ثم إذا عصت تابت وعادت إلى منهج الله ، فهى لوامة .

فإذا سمعنا من يقول : إن الروح خيّرة بطبيعتها ، والمادة شريرة بطبيعتها ، نقول : لا ، إنك لم تفهم ، فالمادة خيّرة كلها ، والروح خيرة كلها وبعد ذلك يأتى الشر من الاختيار .

حين توجد الروح فى المادة تنشأ الحياة ، وإذا لم توجد الروح فى مادة لها مواصفات خاصة فلن نعرفها . ومثال ذلك مصباح الكهرباء ، فالكهرباء شىء ، والمصباح الزجاجى شىء آخر ، وليس معنى المصباح الكهربائى أنه الكهرباء ، فكلاهما شىء مختلف .

فالمصباح مثل أجسامنا ، فهو المادة ، والروح مثل الكهرباء ، تقول الروح : أنا لا أظهر فى قالب مادى ، له مواصفات خاصة ، وإذا اختلت هذه المواصفات الخاصة لا تظهر الروح .

فإذا ضرب إنسان فى قلبه لا تظهر فيه الروح ، وإذا ضرب فى مخه لا تظهر فيه الروح ، إذن فالروح لا تظهر فى مادة لها مواصفات خاصة ، وكذلك المصباح ، إذا كسرت زجاجته ذهبت الكهرباء ، فهل معنى ذلك أن المصباح هو الكهرباء ؟ أم أن الكهرباء لا تظهر فى مصباح له مواصفات خاصة ؟

ولذلك اختلفت تسمية الموت عن القتل . مع أن كلا منهما إزهاق للروح . ولكن هذا إزهاق للروح بهدم البنية التى تعيش فيها الروح . فإذا اعتدينا على البنية فلا يصبح الجسم صالحاً لظهور الروح ، وهذا يسمى قتلا . أما الموت فهو أن تنفصل الروح عن البنية بدون تخريب لها .

إذن .. فكلمة الجسم وكلمة النفس وكلمة الروح مختلفات فى المعنى .

○○○

السؤال المائة والرابع والأربعون :

حقيقة البعث

يسأل عبد الرحمن مصطفى المزين من السويس : ما هى حقيقة البعث يوم القيامة . وهل يكون بالروح أو بالجسد ، أو بهما معًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

جاء الإسلام ليؤكد ما كان ينكره الكفار حين قالوا : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات : ١٦] .

وهذا دليل على أن البعث يكون للمادة التى هى من تراب وعظام . ثم قوله تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة ق : ٤] .

فما هو الذى تنقصه الأرض من الإنسان ؟ إنه المادة ... ثم قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة : ١٠] .

وهذا يدل على أن البعث يكون بالمادة ، نفس مع روح .

○ ○ ○

السؤال المائة والخامس والأربعون :

دخول الجنة

يسأل عبد الرازق على سليمان فيقول : هل يدخل الإنسان الجنة بالجسم أو بالنفس أو بالروح ، أو بهما جميعًا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

حين تكلم اللّه سبحانه وتعالى عن هذه الغيبيات قال : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة] .

ثم قال ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ ﴾ [الحج : ٥٨] .

فما دام اللّه يرزقنا فى الآخرة ، فالرزق للنفس الملتحمة بروح وجسد .

○○○

السؤال المائة والسادس والأربعون :

مراتب الروح

يسأل محمود الرشيدى فيقول : يقول الإمام الغزالى : إن الروح التى يحيا بها الإنسان ليست هى الروح البشرية المدركة ، بل هما روحان متنوعان ، فالجسد مطية روح الحيوان الأولى ، وهذه بدورها مطية الروح البشرية ... وقال الإمام الجنيد : الروح شىء استأثر اللّه بعلمه ، ولم يُطْلِع عليه أحدًا من خلقه ، ولا نعلم منه إلا أنه موجود ، فما رأى فضيلتكم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الروح التى يتكلم عنها الغزالى غير الروح التى يتكلم عنها الجنيد ، والذى شكل التناقض أننا فهمنا أنهما يقصدان إلى شىء واحد .

الروح التى تلتصق فى المادة لتحيا أمر سره عند اللّه كما قال الجنيد ، وهناك روح أخرى هى التى قال عنها الغزالى ... ولذلك فعندما نأتى إلى علم الأجنة نجد أن النبى ﷺ يقول : الإنسان يظل فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يرسل اللّه إليه ملكًا فينفخ فيه الروح .

فكأنه فى المرحلة الأولى لم يكن فيه روح ، ويقال عن هذه المرحلة نامية حيوانية ، فهى ليست روحًا إنسانية ، ولكى يكون إنسانًا فلا بد أن تكون له ملكات تحب

الاستطلاع ، والارتقاءات والطموحات ، ومثل ذلك ، ونحن لم نر فى عالم الحيوان ما يجتمع لينظم حياته ، أو ليرتقى بها ، فليس للحيوان ارتقاءات ، ولكنه يقف إلى حد ولكن الروح الإنسانية هى التى تعطى الملكات النفسية المتعددة ، والمتسامية ، والتى تعطى الإنسان الطموحات التى ترقيه .

فالإمام الجنيد يتكلم عن الروح التى هى السر التى ينفخها اللّٰه فى المادة لتحيا ، وتنمو وتتحرك ، أما الإمام الغزالى فقد لاحظ ملحظًا آخر ، هذا الملحظ هو أن اللّٰه سبحانه وتعالى حينما تكلم عن الحياة بين لنا حياتين فقال تعالى :

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

إذن .. فهو يخاطب الناس الذين يحبون حياتهم الأولى ، ولكن اللّٰه يريد حياة أخرى . حياة تناسب خلافة الإنسان فى الأرض ، حياة راقية ، فقال : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

إذن .. فإن لم تستجيبوا فكأنكم لستم أحياء ، فهو يخاطبهم ، ومعنى ذلك أنهم أحياء ومعنى أنكم إن لم تستجيبوا فلا حياة لكم أن هناك حياة أخرى ... فكأن الغزالى يشير إلى أن هناك حياتين ، حياة فيها الروح تنفخ فى المادة فتتحرك وتنمو ، ولكن ليست هذه هى الحياة المقصودة للخلق ، ولكن المقصود للخلق هو حياة القيم التى تعطيك الحياة الواسعة الأبدية .

لأن قصارى ما تعطيك هذه الحياة أمر دنياك ، ولكن لا تعطيك امتداد العمر فى أمر الآخرة . ولذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

تلك هى الحياة ، لأن الحياة التى نحياها الآن تفوتنا وتنتهى ، أما الحياة الأخرى فلن تنتهى أبدًا ، ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى سمى الروح التى تنفخ فى المادة ، والتى تتحرك وتنمو وتتعرض لمظاهر الحياة الدنيوية روحًا فقال :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] .

تلك هى الروح الأولى ، ولكن الروح الثانية هى التى تأتى بالقيم ، فهى روح المنهج ، ولذلك سمى من ينزل بها من الملائكة روحًا فقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ... ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء] .

وسمى القرآن الذى به القيم روحًا فقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

إذن .. هناك روح تتحرك بالمادة ، وتحيا وتنمو مثل الحيوان تمامًا ، ولكن بدون قيم ، وهناك روح أخرى أطلقت على جبريل وعلى القرآن .

إذن فمن يقولون : الحياة الروحية ، فليس المقصود بها الحياة الروحية الأولى ، ولكن الروح التى خضعت لروح المنهج ، والتى بها حياة الحياة .

○○○

السؤال المائة والسابع والأربعون :

إهداء ثواب القرآن

يسأل حامد شندى فيقول : هل يجوز قراءة القرآن وإهداء ثوابه لشخص آخر ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أجازه بعضهم ، ومنعه آخرون ، واستند المانعون إلى أنه ليس فى الجواز سند شرعى سليم ، وحديث : [أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب اللَّه] خاص بالرقية .. ولم يؤثر عن أحد من السلف أنه عمل شيئًا وأهدى ثوابه لغير الوالدين . قال تعالى :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم] .

فهذه الآية توضح أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره أيا كان ، ما عدا الوالدين لحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . وولد الإنسان من سعيه .

والأصل أن قراءة القرآن عبادة ، والنيابة فى العبادات غير جائزة ، والعبادة لا يؤخذ عليها أجر مالى ، إلا أن يكون هبة أو صدقة بصرف النظر عن القراءة

○ ○ ○

السؤال المائة والثامن والأربعون :

كروية الأرض

سائل من الكويت يقول : كيف تتفق كروية الأرض مع قوله الحق فى قرآنه الشريف : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ [الحجر : ١٩] . ألا تحمل كلمة مددناها معنى أنها مسطحة وليست كروية ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كلمة : ﴿ مَدَدْنَٰهَا ﴾ تعنى : بسطناها ، فما دامت توجد أرض فهى مبسوطة ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل ، فلو كانت الأرض مسطحة لوجدنا لها حافة ، وعندئذ لا يصلح تعبير ﴿ مَدَدْنَٰهَا ﴾ . ولكن كروية الأرض تجعلها ممدودة ، لأنك لن تجد نهايتها أو حافتها .

إن الاصطدام فى بعض المعانى فى القرآن يحدث بسببنا حين نفسر المعانى كحقائق قرآنية ، وهى ليست كذلك ، فنجدها تصطدم بحقائق الكون .

○ ○ ○

السؤال المائة والتاسع والأربعون :

علم الأرحام

يسأل سائل من الكويت أيضًا عن قوله تعالى :
﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ [لقمان : ٣٤] . **وهى يعتبر علم الطب بنوع الجنين من هذا الباب ؟**

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هل علم ما فى الأرحام يقتصر على الذكورة والأنوثة فقط ؟ أم أنه عام بما فى الأرحام وكل ما يتعلق بها من شكل ونوع وطول وعرض وعمر وسعادة وشقاء ... إن معنى يعلم ما فى الأرحام شامل لكل ما يتعلق بما فى الأرحام .

ولو افترضنا أن ما فى الأرحام يتعلق بالذكور والأنوثة فقط ، فهل يستطيع العلم الحديث أن يعرف ذلك بدون عمل تحاليل أو أشعة ، وبدون أن يجرى إجراءات طبية لمعرفة نوع الجنين ؟ هذا غير معقول .

أما الحق تبارك وتعالى فإنه يعرف ذلك دون أى إجراءات ، بل ويخبر عبدًا من عباده بذلك ، فنجده يقول :

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [مريم : ٧] .

○○○

السؤال المائة والخمسون :

نظرية داروين

ويسأل سائل من الكويت أيضًا فيقول : ما موقف الدين من نظرية داروين فى أصل الأنواع ، وأنه واحد ، وأن أصل الإنسان قرد ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لو افترضنا أن نظرية داروين صحيحة ، وأن أصل الأنواع واحد ، نقول لهم : سلسلوها كما سلسلنا الأزواج ، فستنتهى إلى شيء موجود عن شيء غير موجود ، وهذه هى قضية الدين .

ثم نأتى لنهدمها فنقول : إن الأشياء التى أثرت فى القرد الأول فجعلته إنسانًا ، لماذا لم تؤثر على بقية القرود ، فلم يصيروا أناسًا ، فلو كانت هذه النظرية صحيحة لكان يجب أن تنقرض القرود .

ثم إننا نجد من يعلم القرد ، وهذا ممكن ، ولكنه لا يستطيع أن ينقله إلى جنسه ، فالإنسان يعلم قردًا ، ولكن القرد لا يعلم قردًا .

إن كل هؤلاء يريدون الهروب من فكرة إيجاد اللَّه للخلق ، ولكنهم فى النهاية سيجدون موجودًا عن غير شيء ، فمن الذى أوجد المخلوق الأول ، أو حتى الخلية الأولى إذن ؟

○○○

السؤال المائة والحادي والخمسون :

الخلق الآخر

وسائل آخر من الكويت يقول : يقول اللَّه تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون] .

فما هو الخلق الأول الوارد فى الآية الكريمة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الجنين حين كانت تمر عليه هذه المراحل كان خلقًا بالتبعية ، لأن حياته وغذاءه تبع لأمه ، ولكن عندما يصبح له نفس مستقلة ، نجد الرحم ينقبض وينبسط ليطرد الجنين . ويصبح بذلك خلقًا آخر ، له نفس مستقلة .

فمعنى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ أنه قد اكتمل خلق الجنين ، فلم تعد حياته تابعة لحياة أمه . بل هو خلق مستقل ، وقد آن الأوان لكى ينفصل عن أمه ويستقل بحياته .

○○○

السؤال المائة والثاني والخمسون :

حول الأسلوب القرآنى

وسائل آخر من الكويت أيضًا يقول : يقول اللّه تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] . لماذا قدم الإناث على الذكور ؟ ولماذا نكر الإناث وعرف الذكور ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن اللّه سبحانه وتعالى يريد أن يعطى بهذه الأمة توازنًا عقديًا عند خلقه . والمسألة ليست مسألة ذكورة وأنوثة تلتقى لينشأ النسل ، ومع أن هذا اللقاء شرط أساسى ، إلا أننا يجب أن نعرف أن النسل هبة من اللّه تعالى قبل أى سبب آخر .

ولما كان الأمر فى الإناث غير مطلوب عادة ، بل العكس ، كانوا يتخلصون منهن ، فأراد اللّه سبحانه أن يقدم الإناث ، فما دامت هبة ، فمفروض ألا تردها ، فقال : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ . ولما كانوا لا يريدون الإناث نَكَّرهُن وعرف الذكور ليدل على آمالهم من الحياة .

○○○

السؤال المائة والثالث والخمسون :

حقيقة الصدفة

وسائل آخر من الكويت يقول : هل للمصادفة مكان فى الخلق ، أو فى أعمال الناس فى الدنيا ، فنحن نسمع أن فلانًا التقى بفلان مصادفة ، وأن واحدًا أنقذ من الموت مصادفة ، فهل للمصادفة مكان فى هذا الوجود ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أولا : يجب أن نعرف معنى كلمة « خلق » فالخلق إيجاد بتقدير أى إنه قدر « الماكيت » قبل الخلق ورسمه ، فتأتى الصورة على هيئة « الماكيت » فما ينشأ بغير تقدير مسبق على الخلق لا يكون خلقًا ولكنه مجرد وجود .

فخلق : يعنى قرر ما يفعل قبل الفعل ، مثل المهندس الذى يعمل [الماكيت] للعمارة التى سوف يبنيها ، ثم يأتى الواقع على وفق ما رسم .

ولكن حين يقول الناس : إنها مصادفة ، فإنها مصادفة عندهم ، لأنهم لم يرتبوها بأنفسهم ، ولكن الإنسان يجب أن يعلم أنه ليس فى الكون وحده ، بل إن فوقه مدبرًا لحركته ، إن كانت مصادفة فلأنها لم تدخل فى تقديرك أنت وتدبيرك أنت ، وإن دخلت فى تدبير المهيمن على حركتها ، والمهيمن على الكون .

فإذا أراد شاب أن يخطب فتاة ، وأراد الأهل أن يرتبوا بينهما لقاء بدون حرج إن لم يتم التوافق ، فيدبر القائمون بأمر الفتى والفتاة لقاء بينهما فى شارع أو فى مكان ما ، وكأنه مصادفة ، فهذا اللقاء مصادفة بالنسبة للفتى والفتاة ، لأنهما لم يدبرا هذا اللقاء ، ولكن هل هو مصادفة بالنسبة لمن فوقهما ، أم إنه تدبير وترتيب ؟

هذا بالنسبة لنا ، فما بالنا بالنسبة للّه جل شأنه ؟

○ ○ ○

السؤال المائة والرابع والخمسون :

تناسخ الأرواح

تسأل س . م . فتقول : هل يمكن أن تتجسد الروح بعد الموت فى بعض الحيوانات ، وهل يمكن استبدال الملابس أمام بعض الحيوانات الموجودة بالمنزل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن تجسد الأرواح فى بعض الحيوانات بعد الموت خرافة لم يرد شىء فيها ، فروح الإنسان جوهرة يودعها اللّٰه فى كيان الإنسان ، أما التناسخ وما يقال عنه فكله خرافات .

وأما استبدال الملابس أمام بعض الحيوانات بالمنزل فلا شىء فيه .

○○○

السؤال المائة والخامس والخمسون :

العروس والحجاب

تسأل أمل محمد أحمد عبد المقصود من شبرا .
فتقول : هل يجوز للعروس خلع الحجاب يوم زفافها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كان الزفاف وسط جمع من النساء فمباح أن تفعل هذا ، أما الزفاف الذى نراه الآن من اختلاط الرجال بالنساء فمحرم ، ومحرم أن تخلع العروس حجابها ..

○○○

السؤال المائة والسادس والخمسون :

استبراء المجهول

تسأل ن. ع. ع. ب. من الإسكندرية فتقول : اتهمت رجلا بالسرقة ظلمًا ، وأريد استبراء ذمتى منه ، غير أنه مجهول العنوان . فماذا أفعل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كنت تعرفين الرجل الذى ظلمته فعليك أن تستبرئى ذمتك منه ، وأن تطلبى منه أن يسامحك فى ظلمك له . وأما إن كنت تجهلين العنوان ، فليس أمامك إلا التوبة والاستغفار . واللّه يغفر لك إن شاء بمنّه وكرمه .

○○○

السؤال المائة والسابع والخمسون :

صباغة الشعر للمرأة

تسأل نادية همام فتقول : صباغة المرأة المحجبة لشعرها هل هو حلال أم حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن كانت تقصد بصباغة شعرها التزين لزوجها . فلا مانع . أما إن كان قبل الزواج وللفت الأنظار فيعتبر نوعًا من التدليس والخداع .

○○○

السؤال المائة والثامن والخمسون :

رؤيا الرسول فى المنام .

تسأل حرم اللواء محسن الغراب من الإسكندرية فتقول : إنها تشتاق إلى رؤية رسول اللّه ﷺ فى المنام . إلى أن يأذن اللّه لها بزيارة البيت الحرام ، فما هى الوسيلة إلى رؤيته ﷺ ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الرسول ﷺ لا يستدعى ، وإنما يتفضل ، فهو يأتى فى الرؤيا لمن يجده أهلا لهذا ، ولكنه لا يستدعى .

كذلك فإن رؤيته ﷺ فيض من فيوضات اللّه تعالى ، ولا توجد وسيلة لاستحضارها . فكل التجليات فيض ... أما شوقك وحبك لرؤياه ﷺ فيجب أن يترجم إلى عمل . بأن تتبعى خطاه . وتسيرى على نهجه القويم . وكذلك علينا جميعًا نحن المسلمين أن نترجم حبنا لرسول اللّه ﷺ إلى عمل يرضى ربنا ورسوله ، ونسعد به ونفتخر به يوم اللقاء .

○○○

السؤال المائة والتاسع والخمسون :

التركيز فى الصلاة

تسأل س. ر. ح. من إمبابة فتقول : إنها لا تستطيع أن تركز كل انتباهها فى الصلاة ، ولا تعلم إن كان اللّه تعالى سيقبل صلاتها أم لا ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الشيطان يحاول دائمًا أن يفسد العمل الصالح للإنسان الذى يقبل على اللّه ، وهذا هو عهد الشيطان بقوله :

﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف : ١٦] .

فكأن الشيطان لا يأتى إلا فى الأعمال الطيبة .. وتدخل الشيطان فى أثناء الصلاة للإنسان ظاهرة صحية للإيمان ، وغاية ما هناك أن الشيطان ينزغ لنا النزغ ، ثم نمسك نحن بطرف الخيط ونكُره .

ولو أننا بمجرد محاولة الشيطان النزغ لنا استعذنا باللّه من الشيطان الرجيم ، ولو كنا نقرأ القرآن نقف ونستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم .

والشيطان يأتى ليفسد العبادة ، فحين يأتى نعلم أن هذه ظاهرة صحية فى الإيمان ، لأنه لو لم تكن العبادة صالحة ما كان الشيطان يقصد إليها ، لأن الشيطان لا يفسد الفاسد ، ولكن لا تقفى عند الخاطر الذى يأتيك ، بل استعيذى فورًا بالله من الشيطان الرجيم ، اتباعًا لقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

○○○

السؤال المائة والستون :

تفريج كربة المؤمن

تسأل نفس السائلة السابقة فتقول : حديث رسول الله ﷺ : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » . وحديث : « كان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » . وتقول إنها كانت ساعدت أحد أقاربها فى كربته ، ولكنه تهرب منها ساعة حاجتها إليه . فهل تمتنع بعد ذلك عن مد يد العون إليه ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا مد الإنسان يد العون إلى أخيه الإنسان فى كربته انفعالا معه وهو المخلوق المحدود القدرة ، والمحدود العطف ، فإذا رأى الله ذلك ، فلا شك أن جزاءه يكون عظيما .

وإذا عمل الإنسان معروفًا لأخيه الإنسان ، فلا يصح أن ينتظر منه رد المعروف ، لأنه يفعله لوجه الله ، وأملا فى رضائه وحبه . وجحد الجميل هو أربى الخير للإنسان ، لأنه لا يتوقع الخير ممن يعقل له الجميل ، ولكنه يريد الثواب كله من الله جل شأنه .

السؤال المائة والحادي الستون :

صلاة الوتر

ونفس السائلة تسأل فتقول : كيف تصلى الوتر على مذهب الشافعية والحنفية ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

المذهب الشافعي يصلى الوتر ركعة واحدة بعد صلاة الشفع . أما الحنفية فالوتر عندهم ثلاث ركعات كما يصلى المغرب .

○○○

السؤال المائة والثاني والستون :

صداقة غير المسلمين

تسأل الآنسة س. ك فتقول : هل يمنع ديننا مصادقة من هم على غير ديننا من الفتيات ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لم يمنع ديننا من ذلك ، فإن الله لا ينهانا عن ود غير المسلمين . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ﴾ [الممتحنة] .

فما دامت ليست ممن نهانا الله عنهم فلا مانع من صداقتها ، بشرط ألا تظاهر بها على مسلمة .

○○○

السؤال المائة والثالث والستون :

النفاق

تسأل س. ل. م. فتقول : ما هى خطورة المنافقين ،
ولماذا اهتم القرآن بهم كل هذا الاهتمام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

تنقسم المجتمعات إلى ثلاثة أقسام : مجتمع يعصى الفرد فيه بنفسه الأمارة بالسوء ، ثم تستيقظ نفسه المطمئنة أو نفسه اللوامة ، لتلوم عليه تصرفه ، وذلك المجتمع فيه خميرة الاطمئنان إلى استيفاء الخير فى ذات الناس .

ولكن قد يوجد فى الناس نفوس غير لوامة ، فيأتى القوم الآخرون أصحاب النفوس اللوامة ، ليلوموا غيرهم على تصرفهم .

إذن .. فالقسم الأول من النفس ، تستيقظ النفس اللوامة على النفس الأمارة ، فتعدل مزاجها النفس بالنفس ، بدون تدخل من المجتمع الخارجى .

ولكن المجتمع الثانى تأتى فيه نفوس أمارة بالسوء دائمًا ، لا لوامة فيها ، فيأتى قوم يستبقيهم اللَّه عز وجل لاستبقاء عنصر الخير ، ليوجهوا الناس إلى الخير .

ويأتى القسم الثالث ، وهو الطامة الكبرى فى المجتمعات ، أن يعم الباطل كل الناس ، فلا تجد إلا نفوسًا أمارة ، حينئذ يتدخل منهج السماء ، لأن البشر لم يستطيعوا أن يقيموا اعوجاج البشر .

إذن .. فالسماء لا تتدخل إلا حينما يكون الباطل فى شراسته ، ويأتى الحق ، فلا تظن أن الباطل يستسلم للحق ، ولكنه يحاول أو يستبقى لنفسه الشراسة ، وفى هذا الوقت يواجه الحق بقوى ، إما أن تكون سافرة العداء ، وإما أن تكون قوى مستخفية العداء .

فالنفس البشرية تحب أن تكون قوية ، ولكن حبها للقوة فى ذاته يختلف ، فنفس ترى أنها تقوى على سواها ، ونفس أخرى ترى أنها قبل أن تقوى على سواها يجب أن تقوى على نفسها . وهناك نفوس أخرى لا تقوى على نفسها ، ولا على سواها .

فالمؤمن قوى على نفسه ، فألزمها منهج اللّه ، وقوى على أن يواجه شراسة الباطل ... فيه قوة داخلية ضد نفسه الأمارة ، وفيه قوة خارجية ، ضد شراسة الباطل . فالمؤمن تجتمع له القوتان .

ولكن الكافر تجتمع له قوة واحدة ، لم يقو على نفسه ليحملها على منهج اللّه ، وإن قوى على دعوة الباطل ليواجهها بالهجوم .

وهناك وصف آخر ، لا يقوى على نفسه ، ولا يقوى على دعوة الحق ليهاجمها ، إذن .. فهو معزول القوتين .. وهؤلاء هم المنافقون .

فالمنافق لم يقو على نفسه ، ولذلك لم يستطع أن يقبل دعوة الحق ، لأن نفسه شرسة ، راضها الباطل رياضة عنيفة ، فلم يقو أن يكبح جماحها من الميل إلى الباطل . وليته كان قويًا على دعاة الحق ليواجههم ، بل أشفق منهم ، وخاف منهم ، فأعلن الإيمان بالحق ظاهرًا ، لأنه لا قوة له لمواجهة هذا الحق ، وأيضًا لا قوة له على نفسه ولا قدرة عليها ليؤمن بهذا الحق .

وهؤلاء أخطر القسمين ،فهم أخطر من الكافرين ، لأن الكافر عاند بصراحة ، وعاند بكل وضوح ، وجعل قوة الحق تقف أمامه وقوفًا ظاهرًا ، غير مستور ، ولكن المنافق الذى نافق قوة الحق فادعى أنه معها لتعتمد عليه ، وتظن أن قوتها قد زادت ، وليته كان معها فقط ، بل هو فى الباطن هو عليها فكأنه حارب الحق من وجهين :

الوجه الأول : أنه جعل الحق يعتبره سيفًا معه .

والوجه الثانى : أنه من ناحية عدم اقتناعه وإيمانه سل سيفًا آخر على الحق .

إذن .. فقوة النفاق لشراستها وعملها فى الظلام كانت أخطر على الإسلام من قوة الكفر .

لذلك نجد أن الحق سبحانه وتعالى عالج الكفار بآيتين ، وعالج مسألة النفاق فى ثلاث عشرة آية ، لأن مظاهر النفاق متعددة ، لأنه فى الأصل حقيقة ملونة ، فلا هى قوة شجاعة تجاهر بمعارضة الحق ، ولا هى قوة راضت نفسها على أن تؤمن .

○ ○ ○

السؤال المائة والرابع والستون :

الزواج العرفى

يسأل أحمد على الباقر من السودان فيقول : ما هو الزواج العرفى ، وما حكمه الشرعى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الزواج العرفى هو الزواج الذى يشهده الشهود ، ويتم بإيجاب وقبول ، ولكنه لا يكتب فى الوثيقة الرسمية التى بيد المأذون . وهو عقد صحيح مستكمل الأركان والشروط ، ولا حرام فيه .

لكن ينقصه الإثبات الرسمى أمام المحاكم عند اللزوم حفظًا للأُسر ، وصيانة للحياة الزوجية ، فكثير من الناس يفقدون ضمائرهم ، وينكرون هذا الزواج ، وتعجز الزوجة عن إثباته ، فتضيع حقوقها ، وقد يضيع نسب الأولاد .

○ ○ ○

السؤال المائة والخامسة والستون :

عطر النساء

يسأل عليان السيد من طلخا فيقول : هل يصح للمرأة أن تضع عطرًا على ملابسها ، وتخرج إلى الشارع أو إلى العمل ، وهى باللباس الشرعى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

استعمال المرأة للعطر خارج بيتها حرام ، قال رسول الله ﷺ : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا » .

وقد شدد الإسلام على المرأة . وأمرها ألا تبدى زينتها إلا ما ظهر منها وألا تتعمد جذب انتباه الرجال فى الشوارع أو فى العمل بالعطور وغيرها ، أما زينة المرأة وعطرها لزوجها وداخل بيتها فهو مباح مندوب إليه .

○ ○ ○

السؤال المائة والسادس والستون :

الطلاق الرجعي

يسأل حسن عبد الرحمن فيقول : رجل طلق زوجته طلاقًا رجعيًا ، فهل يشترط رضا الزوجة فى الرجوع إليه ، وكيف يحصل الرجوع بينهما ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الزوج هو الذى يملك حق رجعة زوجته فى الطلاق الرجعى ، من غير اعتبار رضاها ، ما دامت فى العدة ، لقوله تعالى :

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

والرجعة تكون بالقول أو بالفعل . فإن قال لها : راجعتك ، تمت المراجعة . وإن دخل بها ، أو كانت منه مقدمات الدخول فهو رجعة .

○ ○ ○

السؤال المائة والسابع والستون :

المضاربة وصناديق التوفير

يسأل حسن عبد السلام سعد فيقول : ألا يعتبر المال المودع فى صناديق التوفير من باب المضاربة ، ويكون ما نأخذه من مال زائد فى مقابل ذلك ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لاشك فى أن إيداع المال فى صندوق التوفير مع اشتراط زيادة معينة من الربح هو من باب القرض بفائدة . وليس من المضاربة فى شىء .. فعقد المضاربة هو ضرب من عقود الشركة ، أى شركة بين صاحب المال وبين العامل . يعطى الأول ماله ، ويبذل الثانى جهده فى سبيل استثمار هذا المال ، على أن يكون ربح ذلك بينهما حسب شروطهما ، وعلى أن يكونا شريكين أيضًا فى الخسارة .

أما صناديق التوفير ، فإن صاحب المال له حق مقرر على البريد أو البنك ، وذلك المال الزائد هو فى مقابلة الأجل ، ويستحق هذه الزيادة بمجرد عقد الإيداع متى حل الأجل ، سواء ربحا أو خسرًا .

وهذا العمل غير معروف فى الشركات الإسلامية ومن هنا كان حراما .

ومن تاب من هذا العمل فلا يطيب له من المال الذى أخذه من قبل سوى رأس ماله ، ولابد من الرجوع به إلى أصحابه ، فإن جهلهم تصدق به عنهم ، لا بنية الثواب له ، إذ لا ثواب له على ذلك ، ويستغفر اللّٰه .

○○○

السؤال المائة والثامن والستون :

ذكرى الأربعين

يسأل عبد الرحمن رمضان من دمياط فيقول :
يعنى الناس بمرور أسبوعين ، وأربعين يومًا ، وعام .
على وفاة الميت ، ويجددون فى هذه الأيام المآتم ،
فهل لهذه العادة أصل فى الشرع ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

هذه العادة ليس لها سند من الشرع ، بل هى من البدع . وجمهور العلماء أجمعوا على كراهة هذا العمل ، لأنه يجدد الحزن ، ويكلف أهل الميت الكثير من

النفقات دون فائدة ، فهو عمل مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ والسلف الصالح من بعده . والرسول عليه الصلاة والسلام جعل نهاية الحزن ثلاثة أيام إلا لمسافر بعد غياب ، فله أن يقدم العزاء ، وتحد المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام .

○○○

السؤال المائة والتاسع والستون :

زواج العقيم

يسأل م . ن . س فيقول : أنا شاب ولى رغبة فى الزواج ، ولدى القدرة على نفقاته ، غير أن الأطباء قالوا إنى غير قادر على الإنجاب .. فهل يحق لى الزواج ، وكيف الطريق .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الزواج يقوم أساسًا على العشرة الحسنة ، والحياة السعيدة ، والأولاد شىء طبيعى فى الزواج ، فالأولاد زينة الحياة الدنيا ، وهم حلم كل زوجين .

فإذا كانت لك قدرة على الزواج إلا أنك لا تستطيع الإنجاب فواجه من تتقدم إلى الزواج منها بذلك قبل العقد ، فقد تقبل أن تعيش معك على هذا الأساس .

وهناك أسر كثيرة تعيش بلا أولاد فى سعادة وهناء ، فهذه إرادة الله ، ولا دخل لهم فى ذلك .

○○○

السؤال المائة والسبعون :

الزى الإسلامى وطاعة الأم

تسأل ليلى عبد الخالق من فاقوس شرقية فتقول : أردت أن ألتزم بالزى الإسلامى ، ولكن أمى

تعارض فى ذلك ، وأعلم أن طاعة أمى واجبة ، فكيف أوفق بين الطاعتين ؟ وما شروط الزى الإسلامى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، والحجاب مفروض على نساء جميع المؤمنين ، وهو واجب شرعى محتم ، للتعفف والتستر والاحتشام ، فلا تعودى إلى الفتنة بعد إذ نجاك اللَّه منها ، وحاولى أن تقنعى والدتك بأنك تنفذين أمر اللَّه ، وتصونين نفسك ، وعن طريق المناقشة الهادئة يمكنك أن تكتسبى رضاء والدتك ، ولا تخرجى عن طاعتها إلا إذا أصرت على رأيها .

○○○

السؤال المائة والحادي والسبعون :

مكبر الصوت فى الصلاة

يسأل على سالم الكفراوى من الدلنجات فيقول : ما حكم استعمال مكبر الصوت فى الصلاة بالمساجد فى الداخل والخارج ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

استعمال مكبر الصوت فى المساجد لا بأس به إذا كان الهدف منه إبلاغ النداء للصلاة ، وإسماع صوت الإمام وتكبيراته ، وتوصيلها المصلين ، وخاصة فى هذا الوقت حيث زاد فيه المصلون ، وأصبح أكثرهم يؤدون الصلاة خارج المسجد ، ولولا المكبر ما سُمِعَ صوت الإمام . والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ، فلا يزيد على ما فوق ذلك إلا لحكمة شرعية ، ويراعى الاعتدال فى تكبير الصوت دون شدة مزعجة أو ضعف لا يؤدى الغرض .

○○○

السؤال المائة والثاني والسبعون :

وصف المسلم بالكفر

تسأل س. ع. ف. فتقول : ما الحكم فى رجل مسلم يصف مسلمًا آخر بأنه كافر لأنه لا يصلى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا كان الشخص الآخر قد وقع فى مكفر فعلا ، كأن أنكر معلومًا من الدين بالضرورة ، أو لم يعترف بشريعة الصلاة وتركها عامدًا متعمدًا فهو كما قال صاحبه . قال ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » .

وهكذا فوصف المسلم لأخيه بالكفر لابد وأن يكون معه دليل قوى يثبت به كفره وخروجه عن الإسلام بالفعل .

○○○

السؤال المائة والثالث والسبعون :

الأمانة والإنسان

تسأل علية حامد من شبرا فتقول : ما هى الأمانة المقصودة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ؟ ومن هو هذا الإنسان ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

المقصود بالأمانة فى الآية الكريمة : التكاليف التى كلف اللّه بها الإنسان ، وقد أبت السموات والأرض والجبال حملها لا تمردًا ، بل خوفًا ورهبة من ساعة الأداء .

وقيل : إن الأمانة هى : المحافظة على الصلوات وأداء الزكاة والصوم والحج ، أو هى جميع أمانات الناس وودائعهم ، أو هى صيانة المرأة لعرضها ، أو صيانة الإنسان لدم غيره .

والإنسان فى الآية هو آدم . وقال بعضهم هو نوع الإنسان كله .

○ ○ ○

السؤال المائة والرابع والسبعون :

زكاة مال الحج

يسأل جمعة عبد العزيز من الزيتون فيقول : جمعت مالاً وأحفظه عندى لأودى به فريضة الحج . فهل على هذا المال زكاة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

تجب الزكاة فى المال إذا بلغ النصاب ، ومر عليه عام فى حيازتك . على أن يكون هذا النصاب زائدًا عن حاجتك ، ومن ثم يجب عليك أن تؤدى الزكاة عن هذا المال ، وما نقص منه عن تكاليف الحج تزيده أنت بعد دفع الزكاة إن شاء اللّه تعالى .

○ ○ ○

السؤال المائة والخامس والسبعون :

مصر فى القرآن

تسأل السيدة عفاف أحد الزفتاوى من الإسكندرية فتقول : ما عدد المرات التى ذكر فيها اسم مصر فى القرآن الكريم ، وما هى السور التى ذكرت فيها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لقد ذكر اسم مصر فى القرآن الكريم خمس مرات ، هى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ [يونس : ٨٧] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ [يوسف : ٢١] .

﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩] .

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] .

﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة : ٦١] .

هذه هى الآيات التى وردت فى القرآن الكريم وفيها اسم مصر ، أما الأوصاف فقد وردت أكثر من عشرين مرة ، ويمكنك أن تجدى كل ذلك فى القاموس .

وفى الآيات الأربع الأولى قصدت مصر بالتحديد ، أما فى الخامسة ، فقد يقصد بها مصر ، وقد يقصد بها مصر من الأمصار . فالمصر هو مكان له مفت وقاض وأمير بالمدينة .

○○○

السؤال المائة والسادس والسبعون :

صلاة الفجر وصلاة الصبح

وتسأل نفس السائلة السابقة فتقول : ما الفرق بين صلاة الصبح وصلاة الفجر ، وأيتهما فرض ، وأيتهما سنة ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

صلاة الصبح هى الصلاة المفروضة ، ووقتها من طلوع الفجر إلى شروق الشمس ، وقد قال الناس عن صلاة الصبح صلاة الفجر ، لأنها الصلاة التى تأتى وقت الفجر .

ولصلاة الصبح سنة مؤكدة قبلها . ولذلك لا تقضى سنن فائتة إلا سنة الصبح فقط ، فهى تقضى كالفرض .

○○○

السؤال المائة والسابع والسبعون :

القرب من الله مع عدم الالتزام

تسأل الطالبة سيدة محمد عبد الرحمن فتقول : إنها لا تصلى بانتظام ، وهى ترى فى منامها ما يشير إلى أن لها صلة قوية بالأنبياء ، وهى تسأل : كيف يكون الله راضيًا عنها بدليل ما تشاهد فى منامها من رؤى . رغم عدم صلاتها ، وعدم التزامها بالزى الإسلامى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كيف تكونين غير ملتزمة . وتثقين فى هذه الرؤى والخواطر . إن ما تذكرين من خواطر لا يأتى لغير ملتزم أبدًا ، فلا تتعلقى بها . ولا تعتمدى عليها كدليل على رضاء الله تعالى عنك بينما أنت غير ملتزمة .

وإن كنت تهدفين حقًا إلى تحصيل رضا الله عنك . فعليك بالالتزام بما أمر ، والانتهاء عما نهى ، وأول ما يجب عليك الانتظام فى الصلاة . التى هى عماد الدين . لا تضيعى نفسك يا فتاة بأوهام من عصيان . اتقى الله . واعرفى واجباتك نحو ربك ، وافعليها ، حتى تكونى جديرة بحب الله ورضاه .

○○○

السؤال المائة والثامن والسبعون :

كل شىء مكتوب

تسأل أ. أ. م. من الدقى فتقول : هل كل شىء مكتوب على الإنسان فى الدنيا ، بما فى ذلك النجاح والرسوب فى مراحل التعليم ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

صحيح أن كل شىء مكتوب على الإنسان ، وأن الأقلام قد جفت ، ولكن هناك فرقًا بين ما كتبه اللَّه ليجريه على عبده ، وبين ما كتبه اللَّه لأنه علم أن عبده سيفعله .

فالأمور القهرية كتبها اللَّه لتنفذ ، والأمور الاختيارية كتبها اللَّه لأنه علم أن العبد سيفعلها .

ولذلك فعلى التلاميذ والطلبة أن يبذلوا جهدهم فى الاستذكار والاجتهاد ، حتى ينجحوا ويتفوقوا ، أما أن يضيعوا أوقات استذكارهم فى اللَّهو واللعب ، ثم يقولوا : إن اللَّه كتب علينا الرسوب فهذا شىء غريب .

○ ○ ○

السؤال المائة والتاسع والسبعون :

خروج البنت مع رجل أجنبى

تسأل س . د . فتقول : هل خروج البنات مع الرجال الأجانب والجلوس فى أماكن عامة مثل الكازينوهات والنوادى وما شابه ذلك يعتبر من المعاصى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لقد أحزنني هذا السؤال جدًا . وأسفت لأن الشباب لا يعلم الحكم فى هذا السؤال ، لأنه منطقى وبديهى .

واعلمى يا ابنتى أن الرجل المتمسك بدينه يرفض الزواج من فتاة خرج معها ودخل ، وإن فعل ذلك البعض من غير المتمسكين بالدين فإن الشك دائمًا يلعب دورًا هامًا فى مثل هذه الزيجات .

ودليل ذلك فشل نسبة كبيرة جدًا من الزيجات التى تتم بمثل هذه الطريقة غير الشرعية .

○○○

السؤال المائة والثمانون :

بر الوالدين بعد وفاتهما

تسأل فايزة سيد عثمان فتقول : إنها التزمت بعد وفاة والدتها بقراءة ما تيسر لها من القرآن الكريم ، إلى جانب الاستغفار والدعاء لها .

وهى تسأل : هل من نصيحة لفضيلة الشيخ لها لتفعلها لتفيد أمها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يا فايزة ، عليك بنفسك أولا ، فالتزمى أنت أولا منهج اللّٰه ، فإذا التزمت فإن أى دعاء منك يكون مقبولا عند اللّٰه إن شاء اللّٰه رب العالمين .

وحديث رسول اللّٰه ﷺ يشير إلى قبول دعاء الولد الصالح لوالديه ، « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . واشتراط صلاح الولد لقبول الدعاء شرط هام ، يجب أن نلتفت إليه ، فليس أى ولد يقبل دعاؤه ، ولكن يقبل بشرط الصلاح .

ولذلك فعليك بنفسك وصلاحها أولا ، وبعد ذلك تدعين بالقرآن أو بالصدقة أو بالدعاء .

○○○

السؤال المائة والحادي والثمانون :

الصدقة من مال الزوج

تسأل م . أ . أ . بكلية التجارة فتقول : هل يحق للمرأة غير العاملة أن تتصدق من مال زوجها ؟ وإذا رفض الزوج عمل زوجته ، فهل يحق لها أن تؤدى فريضة الحج عن والدتها المتوفاة برًا بها من مال زوجها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يمكن للمرأة غير العاملة أن تتصدق من مال زوجها إذا استأذنته . وكذلك لا يحق لها أن تحج عن والدتها من مال زوجها إلا إذا أذن لها هو بذلك .

○○○

السؤال المائة والثاني والثمانون :

الندم على المعصية

تسأل المعذبة ن . أ . من الإسكندرية عن : معاص حدثت منها فى طفولتها ، وقد ندمت عليها ، ماذا تصنع ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن ندمك على ما حدث منك فى طفولتك ، وعزمك على ألا تعودى إليه بعد ذلك أبدًا ، واستمرار الاستغفار ، والإكثار من عمل الصالحات ، عليك بكل ذلك عسى اللّه أن يغفر لك .

السؤال المائة والثالث والثمانون :

قص الشعر للمرأة

تسأل سهيلة الشيخ من العباسية فتقول : هل قص الشعر للمرأة حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا شيء فى قص المرأة شعرها ..

○○○

السؤال المائة والرابع والثمانون :

أخطاء خطيرة فى خطبة الزواج

وتسأل نفس السائلة فتقول : ما حكم الخطبة على الخطبة ؟ هل يبطله عقد زواج الخاطب الثانى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

عقد الزواج من الخاطب الثانى صحيح ، ولا شيء فيه ، ولكن رسول اللّٰه ﷺ منع أن يخطب الإنسان على خطبة أخيه . أما أن يرفض الخاطب الأول ، ثم يعقد الزواج برجل آخر ، فلا شيء فيه .

ولكن يجب تحديد الخطبة أولا ، لأن الناس لا تعرف حدود الخطبة ، ونجدهم وقد اتفق ولى الفتاة مع الشاب الذى يريد خطبتها على تزويجه لها ، ويتفقان على المهر ، مع وجود الناس كشهود ، وبعد ذلك يعتقدون أن هذه خطبة ، لأن المأذون الشرعى لم يعقد القران على ورق موثق .

والحقيقة أن ما تم ليس بخطبة ، ولكنه عقد توافرت فيه كل شروط العقد ، وبعد ذلك إن اختلفا تجدهما ينفصلان بدون طلاق ، رغم أنه كان يجب الطلاق ، لأن ما قد تم كان عقدًا وليس خطبة ، ولذلك فإن الانفصال يجب أن يكون بطلاق ، وليس بأن يفسخ الخطبة . وهذا من الأخطاء الشائعة .

وهناك نوع آخر من الخطأ ، وهو أن تكون الخطبة خطبة وليس عقدًا ، أى أن يتفق ولى الفتاة مع من يريد زواجها على أن يتزوجها بعد وقت يتعارفان عليه ، ولكننا نجدهم يرتبون على هذه الخطبة ما يترتب على العقد ، من انفراد بها ، والخروج معها ، والخلوة ، وغير ذلك .

وفى كليهما فساد عظيم فى الأولى والثانية ، ولا يتوافر حكم اللّه فى كل منهما .

والخطبة الصحيحة هى إظهار نية الزواج ... وهنا لابد من وضع حدود العلاقة ، لأن الخاطب أجنبى عن خطيبته ، لا يحق له الخلوة بها ، وما نراه من فساد هو من هذا الاختلاط .

وكذلك إذا أخذ الاتفاق شكل العقد ، فإذا اختلف الطرفان ، ولم يتم زواجهما ، فلا بد للرجل أن يطلق ، لأن الاتفاق كان عقدًا ، وليس خطبة ..

○○○

السؤال المائة والخامس والثمانون :

حكم التصوير

وتسأل نفس السائلة ، هل التصوير حلال أم حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لا شىء فى التصوير ، لأن الصورة هى ظل للخلقة الموجودة بالفعل .

○○○

السؤال المائة والسادس والثمانون :

حجاب المرأة وأهل الزوج

تسأل الشريفة زهراء هاشم من المملكة السعودية فتقول : هل يجوز للمرأة المتزوجة أن تكشف الحجاب أمام أهل زوجها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يمكننا إيجاز توضيح من لا يصح له رؤية المرأة بدون حجاب بأنه كل رجل أجنبى عنها كان يصح له الزواج بها . وهذا لا يعنى أن زواج المرأة يبيح لها التحلل من الحجاب أمام غير محارمها .

ولكن يجب أن تلتزم بالحجاب من سن البلوغ ، ويظل الحجاب واجبًا عليها حتى تصبح فى سن لا يرجى زواجها ، أو طلبها ، وهن من عبر عنهن القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور : ٦٠] .

ولا تظن المرأة أن الزواج يحصنها من أعين الرجال ، فمن لا يخاف اللّٰه ولا يخشاه ، لا يختلف عنده الأمر ، ولا يفرق بين المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة .

○○○

السؤال المائة والسابع والثمانون :

حجاب الوجه واليدين

وتسأل نفس السائلة السابقة فتقول : هل من الضرورى تغطية الوجه والكفين من المرأة فى الحجاب ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الحجاب الشرعى يوجب تغطية المرأة لكل جسدها ، ما عدا الوجه والكفين ، ويشترط فيما ترتديه المرأة ألا يكون ضيقًا بحيث يصف جسمها ، ولا يكون كاشفًا ، بمعنى ألا يكون شفافًا يظهر ما تحته .

○○○

السؤال المائة والثامن والثمانون :

مكان جهنم

تسأل عزة البدرى من عابدين . عن : الآية الكريمة من سورة آل عمران : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٣] .

فتقول : إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين تكون جهنم إذن ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

لقد فهمت خطأ أن السموات والأرض هى كل ملك الله سبحانه وتعالى ولكنه قال فى محكم كتابه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

إذن .. هناك ما هو أوسع من السموات والأرض ، وما السموات والأرض فى ملك الله إلا كحلقة ألقاها ملك فى صحراء .

كذلك فما دام عرض الجنة السموات والأرض فلا بد أن يكون طولها أكبر من السموات والأرض .

○○○

السؤال المائة والتاسع والثمانون :

الحداد وزيارة المقابر

تسأل سائلة لم تذكر اسمها فتقول : هل لبس الملابس السوداء بعد الأربعين ، والذهاب إلى القبور يوم الخميس حلال أم حرام ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن لبس السواد غير وارد أصلا فى ديننا للحداد ، ولا يوجد أى لباس خاص بالحداد ، ولكن الحداد عندنا هو الامتناع عن الزينة والعطر ، وهذا بطبيعة الحال للمرأة فى بيتها ، لأن العطر والزينة لا يحلان أصلا للمرأة خارج بيتها .

لكن واجب المرأة التزين والتعطر لزوجها داخل بيتها فقط .

والحداد لا يزيد على ثلاثة أيام إلا عند وفاة الزوج ، فمدة حداد المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ، وهى المعروفة بالعدة .

وأما زيارة المقابر فكان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور ، ثم أحلها بعد أن استتب الإيمان فى قلوب المسلمين ، ولكن يجب أن يكون الهدف من الزيارة هو الاعتبار بالموت كموعظة يستفيد بها المؤمن فى حياته ، فإن زيارة القبور تزهد فى الدنيا ، وتذكر بالآخرة .

أما تحديد أيام معينة فى الأسبوع أو فى السنة لزيارة المقابر فلا أصل له فى الدين ، كما يجب أن نلفت النظر إلى أمر هو غاية الأهمية ، وهو أن زيارة القبور يجب أن يكون لها احترامها ووقارها وعبرتها ، لا أن تكون مجالًا لتجديد الأحزان ، أو المبيت ، أو غيره ، مما ترى من أعمال لا يرضى عنها الله ورسوله .

○○○

السؤال المائة والتسعون :

عداوة الأزواج والأولاد

تسأل ع . ع . ق . عن الآية الكريمة من سورة التغابن : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] .

وتقول : أليس فى الآية الكريمة تعارض مع دعوة الإسلام إلى رعاية الزوج والأولاد ؟ وكيف أعلم أن زوجى ومن بين أولادى من هو عدو لى فأحذره ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن الآية الكريمة لم تقل : إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم . ولكن قال تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ .

وهنا فرق كبير . فهو سبحانه جل شأنه قال لنا : إن بعض الأزواج وبعض الأولاد يكونون من الأعداء ، وهم من يحملون أزواجهم فوق طاقاتهم مما قد يدفع الأزواج إلى اللجوء إلى ما يحل الله لهم حتى يوفوا بطلباتهم . وكذلك بعض الأبناء .

إذن .. فيجب أن نكون حريصين وحذرين فى ألا تغلب عواطفنا نحو أزواجنا ونحو أولادنا فتتعدى حدود الحلال والحرام التى قننها لنا الحق تبارك وتعالى ، لأن بعض الأزواج ولا نقول كلهم ، وكذلك بعض الأبناء لا كلهم تغلبهم أنانيتهم ، وتكون طلباتهم فوق الطاقة .

وقد يكون بالأزواج والآباء والأمهات ضعف نحو تلبية طلباتهم ، مما قد يدفعهم إلى معصية الله ورسوله .

○○○

السؤال المائة والحادي والتسعون :

الطلاق الشفوى المتكرر

تسأل ع. ع. س. من محافظة الشرقية فتقول : إنه تكرر من زوجها إيقاع الطلاق عليها ، وكان يردها ، دون أن يكتب ذلك ، وهى فى حيرة من موقفها منه ، وهى تشك فى علاقتها به ، وقد تركت الصلاة لشعورها بأن وجودها معه فى منزل الزوجية حرام . فماذا تفعل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

كتابة الطلاق أو المراجعة لا دخل له بالديانة . فالكتابة أمر مدنى ، اشترطه القانون لقبول الدعوى .

ولكن هناك فرقًا بين الديانة والقضاء ، فأنت ديانة مطلقة بإيقاع يمين الطلاق دون كتابته ، وكذلك حين ردك لم يكتب ذلك . ولكنك تصبحين زوجة أمام القضاء .

ولشرح ذلك أقول : إذا كنت مدينًا لشخص ما بمبلغ كتبت به وثيقة على نفسى [كمبيالة] . وفى الطريق قابلته وأعطيته ما له عندى ، ولم يكن معه الكمبيالة ، فلم آخذها منه .

حينئذ أكون ديانة قد سدَّدتُ ما عليَّ من ديْن . ولكن قضاء يستطيع أن يقدم الكمبيالة كمستند ضدى ، فكأننى لم أسدد له النقود قضاء ، ويحكم القاضى له باسترداد نقوده بما لديه من مستند رغم سدادى له حقيقة وديانة .

وبذلك يمكنك معرفة إن كنت ما زلت زوجة له أم أنت مطلقة ، بدون الاستناد إلى ما كتب ، ولكن إلى ما حدث شفاهة أيضًا .

وهذه أمانة تحاسبين عليها ويحاسب عليها زوجك يوم القيامة ، وإن كان زوجك قدطلقك ثلاث مرات فاعلمى أن اللّٰه لن يجعل لك الخير فى الحياة معه .

فإن لم يستطع أن يحافظ على حياتك معه وهو يعلم أنه زوجك أمام اللّٰه فمن باب أولى لا يمكنه ذلك وهو يعلم فى سريرته أنه لم يعد زوجًا لك أمام اللّٰه ، وإن كان كذلك أمام الناس .

○○○

السؤال المائة والثاني والتسعون :

علاج الغضب

تسأل منى . م . من الإسكندرية فتقول : إنها تثور لأتفه الأسباب ، وعند ثورتها تكون معتقدة تماما أنها على حق . ولكن بعد أن تهدأ تمامًا تعلم أنها كانت مخطئة لجموح ثورتها وتفاهة السبب ، وهى تطلب المشورة والرأى .

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إنه ما دام قد ثبت لك بالعادة أن ثورتك تكون على غير حق ، فيجب عليك أن تستجيبى ساعة الثورة إلى أنك على غير حق . فما دامت التجربة قد أوصلتك إلى صدق من حولك فى رأيهم عن سرعة ثورتك ، فيمكنك توصية من يحيطون بك من الأهل والأصدقاء المقربين أن يلفتوك عن ثورتك من أول الأمر .

كما أنصحك بكثرة قراءة القرآن الكريم ، ومحاولة تدبر معانيه ، فقد قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

○○○

السؤال المائة والثالث والتسعون :

صلاة النافلة والجماعة

يسأل نزيه عبد اللّه فيقول : إذا كنت أصلى ركعتين تطوعًا ، وبدأت صلاة الجماعة ، فهل أقطع صلاة النافلة ، حتى أدرك الجماعة من أولها ، أم ماذا أفعل ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

بل عليك إتمام الركعتين خفيفتين ، فإذا سبحت اللّه العظيم فسبحه ثلاثا ولا تزد ، واقرأ سورة قصيرة ، ولا تقطع صلاتك أبدًا ، فلا تحبطوا أعمالكم . قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] .

بل أكثر من هذا إذا كنت تسير فى طريقك إلى الصلاة وبدأت الصلاة قبل وصولك فلا تسرع الخطا ، لأنك فى صلاة منذ خروجك من بيتك .

○○○

السؤال المائة والرابع والتسعون :

النبى الأمي

يسأل محمود سالم الزغبى من مطاى فيقول : أطلق القرآن على الرسول ﷺ وصف [الأمى] . وقد اعتاد الناس أن يطلقوا على الجاهل وصف الأمى ، فما هى حقيقة أمية الرسول ﷺ ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

الأمى نسبة إلى الأم ، كأنه باق على حالته التى ولد عليها ، والمراد به الذى لا يقرأ الخط ولا يكتبه ، وهذا الوصف من خصوصيات النبى محمد ﷺ ، لأن كثيرًا من الأنبياء عليهم السلام كان يقرأ أو يكتب .

والأمية فى حق الرسول ﷺ وصف تشريف ، لا وصف تنقيص ، لأنه إذا كان أميًا وأنزل عليه هذا الكتاب المعجز فلا شك أنه من عند اللّه ، وأنه صادق فى دعوى الرسالة .

وكذلك فالأمية دليل على أن علمه ﷺ من اللّه مباشرة ، وليس من البشر ، ولو لم يكن أميًا لقيل : إنه قرأ ونقل من غيره .

○ ○ ○

السؤال المائة والخامس والتسعون :

الأب الذى يسب الدين

تسأل فهيمة عبد اللطيف عثمان من طنطا : ابتليت بأب يسب الدين ، وسب الدين كفر ، فهل أطيعه وهو دائم السباب للدين ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

سب الدين يخرج الإنسان من دائرة الإسلام والعياذ باللّه ، ومع ذلك فللوالدين حق على الابن فى برهما وإكرامهما وطاعتهما ، وهو ما تنادى به الفطرة ، ويوجبه الوفاء ، والعرفان بالجميل .

والقرآن الكريم صريح فى هذه الحالة ، فاللّه تعالى يقول :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان : ١٥] .

فلا طاعة لهذا الأب فى معصية اللّه ، وعليك معاملته بالمعروف ، وتوضيح خطورة ما يقترف من إثم بالحسنى ، فإن لم يتب فلينكر الابن بقلبه عليه وذلك أضعف الإيمان

○○○

السؤال االمائة والسادس والتسعون :

جزاء الانتحار

يسأل عبد اللّه خالد السمان فيقول : نسمع أن المنتحر يموت كافرًا ، فهل صحيح ؟ وما حكم المنتحر ؟ وهل حدثت واقعة انتحار على عهد الرسول ﷺ ، وماذا قال فيها ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

من قتل نفسه بأية وسيلة كانت ، فقد قتل نفسًا حرم اللّه قتلها إلا بالحق ، والإسلام لم يبح للمسلم أن يفر من الحياة لبلاء نزل به ، لأنه خلق للجهاد ، وإيمانه يأبى عليه ذلك .

وقد أنذر الرسول ﷺ من يقوم على جريمة الانتحار بحرمانه من رحمة اللّه فى الجنة واستحقاق غضبه فى النار فقال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح ،

فجزع ، فأخذ سكينًا فوخز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، فقال اللّه ، بادرنى عبدى بنفسه ، فحرمت عليه الجنة » .

وقال أيضًا : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ».

○○○

السؤال المائة والسابع والتسعون :

بكاء السماء

يسأل محمد جبر عفيفى من دمياط فيقول : يقول اللّه تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ فهل تبكى السماء على أحد ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

ما دامت السماء لم تبك على هؤلاء ، فهى تبكى على سواهم من المؤمنين الصالحين .

وفى الحديث قال رسول اللّه ﷺ : « ما من إنسان إلا له بابان فى السماء ، باب يصعد منه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه » .

وفى حديث آخر : « إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه فى الأرض ، ومصعد عمله فى السماء » .

ومن القرآن والحديث يتضح أن السماء والأرض تبكيان على موت المؤمنين الصالحين .

○○○

السؤال والثامن والتسعون :

احترام القرآن

تسأل زهرة على الباجورى فتقول : ما حكم الدين فيمن يلف البضائع فى ورق مكتوب فيه آيات من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، أو أسماء اللّه تعالى ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن ، وتنزيهه وصيانته . فمن استخف بالقرآن أو بشىء منه فهو كافر بإجماع المسلمين .

وعلى هذا يحرم جعل الأوراق التى فيها شىء من القرآن أو الحديث غلافًا .

والجدير بالمسلم أن يتجنب فعل شىء فيه مساس بقدسية كتاب اللّه تعالى أو أى اسم معظم ، حتى يكون إيماننا بالقول والعمل .

○○○

السؤال المائة والتاسع والتسعون :

سماع القرآن عند المذاكرة

تسأل فوقية على محمد من البدارى فتقول : أستمع إلى القرآن الكريم وأنا أذاكر دروسى ، فهل هذا جائز ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إن مذاكرة العلم عبادة وتسبيح ، ولكن على من يستمع إلى القرآن أن ينصت له ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

وعلى هذا ينبغى على السائلة أن تجد فى المذاكرة ، لأن المذاكرة عبادة وبعدها فلتستمع إلى كتاب الله بإنصات وخشوع ، لأنه عبادة أخرى

○○○

السؤال المتين :

خطأ الإمام فى الجماعة

يسأل فتحى السيد السلامونى فيقول : إذا أخطأ الإمام فصلى ثلاث ركعات بدلا من أربع فماذا نصنع ؟

ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

إذا أخطأ الإمام فى عدد الركعات أو نسى شيئاً ، فعلى من خلفه من المأمومين أن يذكروه به بالتسبيح ، فيقولون : « سبحان الله » ليتدارك ما فاته .

فإذا تذكر الإمام أنه نسى ركعة بعد انتهاء الصلاة ولم يوجد فاصل طويل بين السلام والتذكر فليقم ويتم ما فاته ، أما إذا طال الفصل بين السلام والتذكر فليعد الصلاة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

○ ○ ○